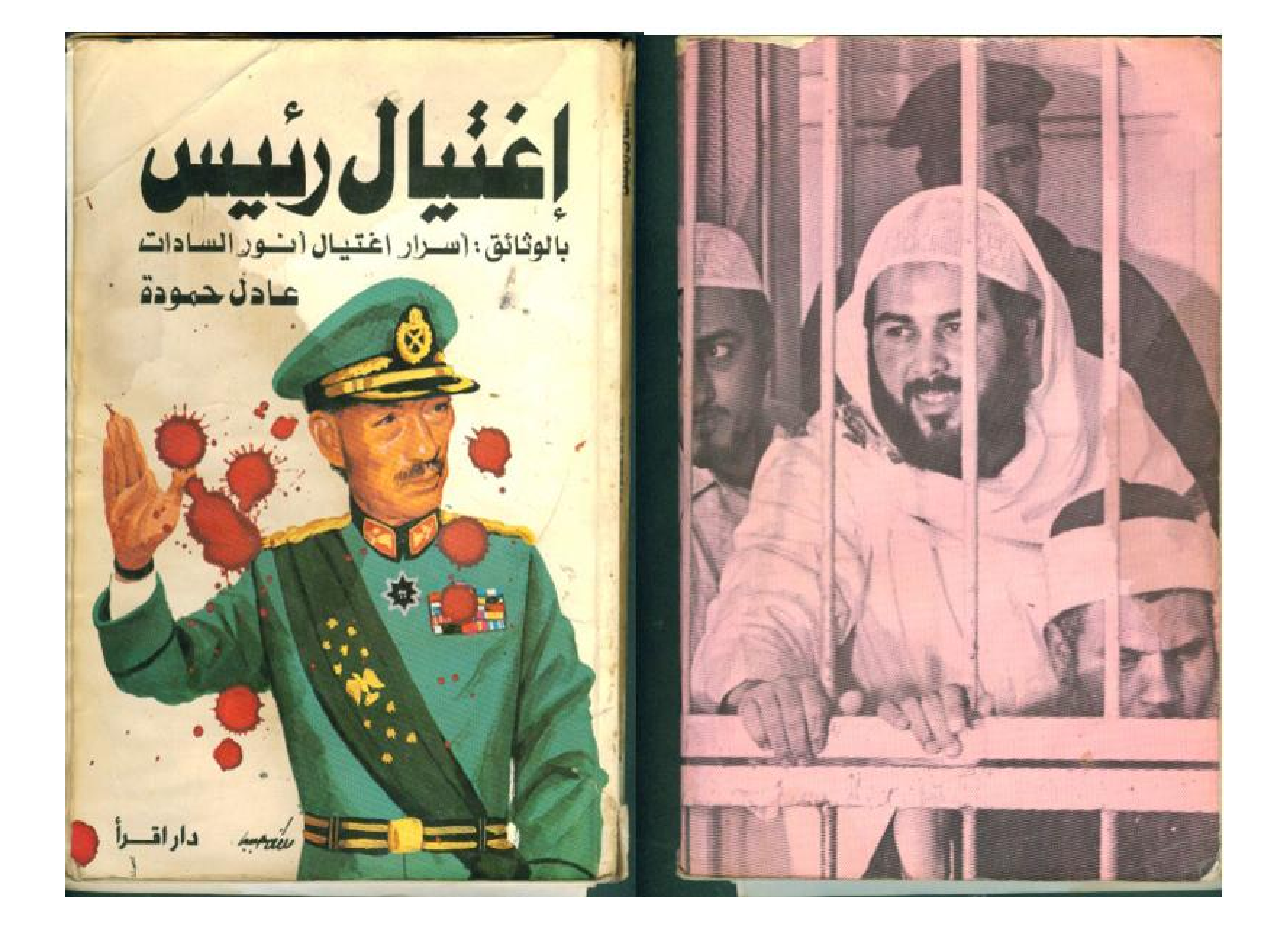

اغتيال رئيس
بالوثائق: أسرار اغتيال أنور السادات
عادل حمودة
دار اقرأ



ولدت «فكرة» هذا الكتاب فى نفس يوم «اغتيال» السادات . .

يوم الثلاثاء ٦ أكتوبر ١٩٨١ . .

كنت فى «المنصة» لحظة أن قامت «القيامة» فيها . . لحظة أن انكفأ السادات على وجهه ، وعلى بطنه ، وتحول جسده - من شدة الرصاص والغيظ - إلى «غربال» ، وفصل نصفه العلوى عن نصفه السفلى . . لحظة أن هبت رياح الموت والرعب والذهول على كل من كان فى هذا المكان «الاسمنتى» المحصن بالحرس ، والمدرعات والطائرات . . لحظة أن انحنت رؤوس الحكم وراحت تحتمى بمقاعد كانت تجلس عليها . .

لحظتها . .

لم يفهم أحد ماذا حدث ؟ ولماذا حدث ؟

لم يعرف أحد من الذى نفذ العملية ؟؟ ولا من الذى دبرها ؟؟

وجريت إلى مستشفى «المعادى» حيث نقل الجميع إليها . . الجناة والمجنى عليه . . خالد الإسلامبولى ورفاقه وأنور السادات . . جريت إلى مستشفى «المعادى» لأعرف «النهاية» قبل أن أعرف «البداية» . . لأعرف تفاصيل الفصل الأخير قبل أن أعرف تفاصيل الفصل «الأول» . . وعرفت هناك أن السادات قد مات قبل أن تتحرك مروحة طائرة الهليكوبتر التى حملته من المنصة إلى المستشفى . . وعرفت أن خالد ورفاقه على وشك العودة إلى الحياة بعد أن أبت مشيئة الله أن يموتوا قبل أن نعرف منهم ما حدث . . ولماذا وكيف حدث ؟! .

على أنه من المؤكد أن كل من فى مصر - وربما فى العالم أيضا - كان - فى



تلك اللحظات الصعبة ـ يريد أن يعرف ماذا «سيحدث» قبل أن يعرف ماذا «حدث» ؟!

كان الكل يريد أن يعرف «نتائج» اغتيال السادات قبل أن يعرف «أسباب» هذا الاغتيال .. هل سيطاح بالحكم القائم وتستولى سلطة جديدة على البلاد ؟ .. هل سيتحرك الجيش ؟ .. هل ستتدخل قوى خارجية ؟ .. هل هناك «بيان أول» فى طريقه إلى مبنى الإذاعة والتليفزيون فى «ماسبيرو» ؟!.

ولم يهدأ الناس إلا عندما أعلن حسنى مبارك بعد عشاء ذلك اليوم خبر مصرع السادات .. فقد كان هذا الإعلان ـ بصوت وصورة نائب الرئيس ـ بمثابة دليل قوى على أن السلطة «الشرعية» فى البلاد لاتزال تحكم .. وأن حادث الاغتيال لم يتطور إلى ما هو أكثر من ذلك ..

لكن ..

قبل أن يهدأ الناس تماما ، وقعت حوادث العنف فى أسيوط ، وحاولت جماعات دينية متطرفة الاستيلاء على المدينة الكبرى المعروفة بعاصمة «الصعيد» تمهيدا لإعلان الثورة «الإسلامية» الشعبية .. وحاصرت قوات الأمن «المركزى» المدينة الصعيدية ناشفة الرأس وفرضت عليها حظر التجول ، والنوم بعد صلاة المغرب ..

وكان على أن أسافر إلى أسيوط وهى لاتزال تحت الحصار ..

كان على أن أسافر إليها قبل أن استكمل «تحرياتى» عن حادث الإغتيال ..

لقد تابعت ـ من قبل ـ أحداث الصدامات بين الجماعات الإسلامية وقوات البوليس هناك ، وعرفت كيف ولدت هذه الجماعات وكيف نمت ، وكيف برزت مخالبها وأنيابها ، فكان لابد أن أعرف ماذا حدث فيها بعد أقل من يومين على إغتيال السادات .. وسافرت من القاهرة إلى أسيوط مع زميل المصور الصحفى «صلاح أحمد» ، ونجحنا فى دخول أسيوط ، ونجحنا فى رصد كل ما جرى فيها بالقلم والصورة ، ونجحنا فى الخروج منها سالمين ..



وعدت من أسيوط لأواصل تحرياتى عن حادث الاغتيال ..

لقد كانت المعلومات المتاحة نادرة .. ومن الصعب الحصول عليها .. وليس هناك من يؤكد صحتها أو يكذبها .. ورغم ذلك كنت أول من نشر أجزاء من التقرير الطبى لمستشفى المعادى .. وكنت أول من نشر أن الرصاصات القاتلة التى أصابت السادات لم يطلقها خالد الاسلامبولى وانها أطلقها حسين عباس من فوق العربة .. وكنت أول من نشر معلومات شخصية عن الجناة الأربعة الذين قتلوا السادات ..

نشرت ذلك ، وغيره فى الأسابيع الأولى ، التالية على الحادث .. ونقلت بعض صحف العالم ما نشرته .. وأشادت به ..

وجاءت المحاكمة ..

وحضرت جلستها العلنية الأولى ..

وفى الاستراحة نجحت فى أن أصل إلى قفص المتهمين ، وسجلت حوارا سريعا مع خالد الإسلامبولى ، المتهم الأول ، وعبد الحميد عبد السلام ، المتهم الثانى ، ونجحت فى أن أخرج من قاعة المحكمة وشريط «الكاسيت» الصغير فى جيبى .. ونشرت ما سجلته .. وكان ما نشرته هو الحوار الصحفى الوحيد الذى نشر مع المتهمين فى مصر .. وربما فى خارجها أيضا ..

وكان ثمن نشر هذا الحوار : حرمانى من حضور باقى الجلسات العلنية ..

رحت بعيدا عن صداع الحياة اليومية أصوغ كل ما حصلت عليه من معلومات وأسرار ووثائق ..

ولم تعجبنى الصياغة الأولى .. ولا الثانية .. ولا الثالثة ..

وكانت الصياغة الرابعة .. هى الصياغة الأخيرة التى دفعت بها إلى الناشر ..

وقد تصورت أن جرأة الناشر ـ مهما بلغت ـ لن تصل إلى حد نشر



الكتاب كما هو . . لكننى فوجئت به متحمسا لألغام الكتاب قبل ألغازه . . ولأسراره قبل أخباره . .

وقال :

- إما أن نقول كل شىء أو لا نقول ! هذا تاريخ . . والتاريخ أمانة !

وانبسطت . .

فهذا بالضبط ما أومن به . .

وهذا بالضبط ما كنت أسعى اليه وأنا أكتب كل حرف فى هذا الكتاب الذى عشته من الألف إلى الياء . . والذى أفتح به كنوزا من الأسرار المجهولة ، وأفك به طلاسم من الألغاز المعقدة ، وأحل به علامات استفهام حائرة لاتزال «تزن» فى عقولنا حتى الآن . .

هذا بالضبط هدفى من نشر هذا الكتاب . . وهدف الناشر الجرىء أيضا . .

مهما كان الثمن . .

فالله خير حافظ .

عادل حمودة
٣٠ مايو ١٩٨٥
مصر الجديدة

شكرا

أتوجه بالشكر إلى كل من وضع مستقبله على رمح الخطر وأمدنى بالوثائق والأوراق والأسرار التى حولت هذا العمل من كتاب إلى مفاجأة تاريخية .

المؤلف

١

.. وفى اليوم السادس
.. قتل !

« مش معقول .. مش معقول .. مش معقول »
آخر ماقاله السادات
قبل إغتياله مباشرة

لابد أن رقم « ٦ » كان « رقم » أنور السادات !

بـــل . . .

لابد أنه كان أهم رقم فى حياته . . وتاريخه . . ومشواره السياسى . .

ففى «٦» فبراير عام ١٩٣٨ تخرج فى الكلية الحربية . . وفى «٦» يناير عام ١٩٤٦ اشترك فى اغتيال «أمين عثمان» . . وفى «٦» يناير عام ١٩٥٠ عاد الى الخدمة فى الجيش بعد أن طرد منه على أثر مصرع «أمين عثمان» وفى «٦» أكتوبر عام ١٩٧٣ قاد حرب أكتوبر ، وعبرت القوات المسلحة قناة السويس ، وحطمت أسطورة خط «بارليف» . . وفى «٦» اكتوبر عام ١٩٨١ أغتيل بطريقة «دراميـة» ، يصعب على خيـال أمهر مخرجى الأفلام البوليسية فى العالم تصورها . . وفى «٦» مارس عام ١٩٨٢ ، صدرت الأحكام فى قضية إغتياله . .

ولابد أن نعترف ، أن رقم «٦» كان فى كل هذه الأحوال ، والمناسبات ، رقما «قدريا» ، ليس من اختياره . . ولا فضل له فى تحديده . .

فلا هو اختار موعد تخرجه فى الكلية الحربية ، ولا هو اختار موعد عودته الى الجيش ، بعد أن طرد منه . . ولا هو حدد ساعة صفر حرب أكتوبر ، ولا هو حدد تاريخ اطلاق الرصاص عليه . .

وعندما كانت المحكمة العسكرية العليا ، تصدر الأحكام على المتهمين باغتياله ، كان هو فى العالم الآخر ، منذ خمسة شهور تقريبا .

ولابد أن نعترف أن رقم «٦» كان يحمل له فى كل مرة مفاجأة غير متوقعة . . فأحيانا كانت المفاجأة ترفعه الى سابع سماء ، وأحيانا كانت تنزل به الى سابع أرض . . أحيانا كانت المفاجأة سارة ، وأحيانا كانت حزينة . . وفى كل الأحوال كانت المفاجآت . . تاريخية . .

ولعل ٦ أكتوبر خير دليل على صحة هذا الكلام ..

ففى ٦ أكتوبر (١٩٧٣) دخل التاريخ منتصرا ، وفى ٦ أكتوبر (١٩٨١) خرج من الدنيا مقتولا ..

فى ٦ أكتوبر (١٩٧٣) كان أول حاكم «عربى» يحقق نصراً على إسرائيل ، وفى ٦ أكتوبر (١٩٨١) كان أول حاكم «مصرى» يغتاله أفراد من شعبه ، منذ عصر الأسرات الفرعونية وحتى عصر الأقمار الصناعية ..

○○

صباح الثلاثاء ٦ أكتوبر ١٩٨١ ..

لم يكن هناك ما يشير الى أن هذا اليوم سيكون يوما غير عادى ..

لم يكن هناك ما يشير إلى أن هذا اليوم سيكون آخر يوم فى عمر ، وفى حكم ، السادات ..

لم يكن هناك ما يشير إلى أن هذا اليوم الذى يحتفل فيه السادات بذكرى إنتصاره ، سيكون هو يوم مصرعه ..

فى ذلك الصباح ، وقفت «٦٠ لوارى» عملاقة ، تحمل جنود الأمن المركزى ، خلف جامع «جمال عبد الناصر» بالقرب من وزارة الدفاع ، التى تعود السادات زيارتها صباح كل ٦ أكتوبر .. اصطف جنود الشرطة بطول طريق صلاح سالم ، والطرق الفرعية المؤدية إلى أرض العرض العسكرى .. أغلقت حواجز الشرطة العسكرية الشوارع الرئيسية فى المنطقة .. تولت نقاط الأمن المتعددة ، والمتنوعة ، تفتيش بطاقات المدعوين لحضور العرض ، والتأكد من أن سياراتهم الخاصة ، لصق على زجاجها الأمامى ، التصريح الأحمر ، الذى إستخرجته إدارة المراسيم بوزارة الدفاع ..

والطريف أن إدارة المراسيم بوزارة الدفاع ، إستخرجت بطاقة دعوة لوزير الدفاع لحضور العرض ، رغم أنه هو صاحب الدعوة أصلا .. وقد حرص الوزير على حملها معه .. لأنها قد وجدت بعد حادث الاغتيال ، وحرزت مع باقى احراز القضية ..

والطريف أيضا أن ابنة وزير الدفاع ـ وهى طبيبة شابة ـ جاءت إلى المنصة فى العاشرة صباحا برفقة شقيقها ، وضابط عميد من هيئة مكتب الوزير (العميد عبد الحكيم عبيد) ورغم ابرازها لبطاقة الدعوة ، وبطاقتها الشخصية ، فقد رفض ضابط من ضباط الخدمة الخاصة أو الحرس الخاص ، السماح لهم بالدخول ، لأنهم جاءوا بعد الموعد المحدد بدقائق ، ووقف الثلاثة فى حيرة ، حتى أنقذهم ضابط عميد آخر من ضباط المراسيم بوزارة الدفاع وممن يتعاملون بشكل دائم مع رجال الرئاسة فى مثل هذه المناسبات ، واستطاع إدخالهم الى المنصة من بابها الخلفى .

إلى هذا الحد كانت تبدو إجراءات الأمن ..

بـــل ..

إن إجراءات الأمن وصلت فى صرامتها « الشكلية » إلى حد منع ضابط ـ عقيد من سلاح الإشارة ومجموعة صغيرة من المهندسين ـ الضباط ، من دخول المنصة فى الساعة السادسة من صباح ذلك اليوم .. وكانت مهمة عقيد الاشارة ومجموعته الفنية الصغيرة هى التأكد النهائى من سلامة الخطوط التليفونية الملحقة بالمنصة .. وهى خطوط يصل عددها الى أكثر من مائة خط ، وتخصص لرجال رئاسة الجمهورية وضباط القيادة العامة ، وقادة الأسلحة المشتركة فى العرض ورجال المخابرات الحربية والعامة وعدد من الوزراء كالداخلية والخارجية والصناعة ، حتى يستطيع معاونوهم ابلاغهم بأية أنباء طارئة ، عاجلة أثناء العرض .. وهذه الخطوط أقامها سلاح الإشارة ومن السهل إصابتها بأى أعطال .. لذلك كان اختبارها فى السادسة صباحا أمرا ضروريا .. لكن ضابطا برتبة رائد من رجال الحراسة الخاصة بالرئيس ـ كان يقضى ليلته بالمنصة ـ منع هذا العقيد ضابط الإشارة وزملاءه من الإقتراب .. وقال : فلتفسد جميع الخطوط ، ولكنك لن تدخل المنصة .. هذه أوامر عليا !

○○

فى ذلك الصباح ، استيقظت مبكرا ، على غير عادتى ، إستعدادا للذهاب الى العرض العسكرى ..

كانت هذه هى المرة الأولى التى أتحمس فيها لتلبية دعوة حضور العرض

العسكرى ، الذى كنت أفضل متابعته فى التليفزيون حيث كان ينقل على الهواء مباشرة . .

لم أعرف سر حماسى المفاجىء لحضور العرض العسكرى هذه المرة . .

تناولت فنجانين من القهوة « السادة » وراحت عيناى تمران على الصحف اليومية الثلاث . .

كانت الصحف تتحدث ـ بفرح ـ عن الأسلحة «الغربية» التى ستظهر فى العرض بنسبة كبيرة ـ هذه المرة ـ تصل إلى ٥٠٪ من جملة الأسلحة المشتركة فى العرض . . وكانت تتحدث ـ بإفراط ـ عن الأسلحة الأمريكية الجديدة التى ستظهر فى استعراض عسكرى مصرى ، لأول مرة . . تحدثت عن طائرات «الفانتوم» . . وطائرات الهليكوبتر «شينوك» ، بجانب حديثها عن طراز «جازيل» من الهليكوبتر الفرنسية . . وطراز «سى كينج» من الهليكوبتر البريطانية . . وبجانب حديثها عن طائرات «الميراج . .» ومدافع ١٣١ مم وعرباتها المدرعة . . ونشرت الصحف أيضا ، تقريرا من معهد الدراسات الاستراتيجية فى لندن ، يؤكد : أن الجيش المصرى يعتبر من أقوى الجيوش فى الشرق الأوسط . .

انتهيت من الصحف سريعا . . ووضعت بطاقة الدعوة «الصفراء» ، التى تحمل رقم «١٨٩» فى جيبى . . ولصقت تصريح مرور سيارتى الصغيرة ، المطبوع باللون الأحمر ، وبعد دقائق كنت فى أرض العرض .

○ ○

كان السادات يجلس ـ كالعادة ـ فى الصف الأول . . ومعه كبار المدعوين والضيوف . . على يمينه جلس نائبه حسنى مبارك ، ثم . . الوزير العمانى : شبيب بن تيمور . . وهو وزير دولة فى السلطنة ، وكان مبعوث السلطان قابوس ، الذى كان الحاكم الوحيد بين الحكام العرب ، الذى لم يقطع علاقته بمصر ، ولا بالسادات بعد زيارة القدس ، ومعاهدة « كامب ديفيد » . . ولذلك كان طبيعيا أن يحظى مبعوثه ، ولو لم يكن رتبة كبيرة ، بكل هذا التكريم ، ويجلس فى الصف الأول من المنصة بعد نائب الرئيس ، وأن يصبح أهم ضيف أجنبى وعربى فى العرض .

بعد الوزير العمانى ، جلس ممدوح سالم ، مستشار رئيس الجمهورية ، الذى كان من قبل رئيسا للوزراء ، والذى كان أول وزير للداخلية بعد سقوط « مراكز القوى » وحركة ١٥ مايو ١٩٧١ . .

بعد ممدوح سالم كان يجلس الدكتور عبد القادر حاتم ، المشرف العام على المجالس المتخصصة ، وهى هيئة تابعة لرئاسة الجمهورية . . وهو أصلا من رجال عبد الناصر القلائل الذين قربهم السادات إليه . .

وبعد د . حاتم كان يجلس د . صوفى أبو طالب رئيس مجلس الشعب ، وهو الرجل الذى يتيح له الدستور ـ بحكم منصبه أن يصبح رئيسا مؤقتا للجمهورية ، لو قتل الرئيس الحالى ، أو مات فجأة ، وذلك حتى يختار الرئيس الجديد . .

على يسار السادات كان يجلس وزير الدفاع محمد عبد الحليم أبو غزالة . .

ثم . . المهندس سيد مرعى ، صهر السادات ، ومستشاره السياسى ، وأقدم وزراء الزراعة فى عهد جمال عبد الناصر . .

وبعده . . كان عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر . .

ثم . . دكتور صبحى عبد الحكيم رئيس مجلس الشورى . . فرئيس الأركان عبد رب النبى حافظ . . فقادة الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة . .

وفى الصف الثانى ـ خلف السادات مباشرة ـ كان يجلس سكرتيره الخاص فوزى عبد الحافظ ، وهو « مساعد » قديم بالجيش أيام كان السادات ضابطا صغيرا . . وظل على علاقة قوية به حتى أصبح رئيسا للجمهورية . .

بجانبه وخلفه كان يجلس الوزراء وكبار الشخصيات العامة والسفراء الأجانب . . وغيرهم !!

ولا أحد يعرف بالضبط الحوار ، والتعليقات المتبادلة بين السادات ونائبه ووزير الدفاع . . لكن . . بعض المصادر تشير إلى أنهم كانوا يتحدثون عن شحنات الأسلحة الأمريكية الجديدة ، ومواعيد وصولها . . وكانوا يتحدثون عن إحتفالات الانسحاب الإسرائيلى الأخير من سيناء فى ٢٥ ابريل ١٩٨٢ ، والترقيات الإستثنائية التى كان سيحظى بها بعض كبار الضباط بهذه المناسبة . .

ولا نستطيع أن نؤكد صحة هذا الكلام ، وإن كنا نستطيع ـ بالعقل والمنطق ـ توقع حدوثه . . ذلك أن السادات كان يعتبر « تنوع مصادر السلاح » و « معونات



السادات قبل موته بلحظات

السلاح الأمريكى ، من ضمن منجزاته الكبرى . . كما أنه كان يعتبر الإنسحاب الإسرائيلى الأخير من سيناء حادثا تاريخيا ضخما لا يقل عن حادث عبور القناة . .

على أنه من المؤكد أن حالة السادات النفسية والمعنوية كانت فى القمة . .

وكثيرا ما كان يقف تحية للمارين أمامه . . وأحيانا كان يرفع «الكاب» لهم . . وأحيانا كان يصفق لهم . . وأحيانا كان يدخن الغليون . . ولم يتوقف عن تبادل التعليقات مع نائبه ووزير الدفاع . .

○ ○

بدأ العرض العسكرى بداية تقليدية . .

طوابير من جنود وضباط الأسلحة المختلفة . . حملة الأعلام . . طلبة الكليات العسكرية . . بالونات وألعاب نارية فى السماء . .

ثم . . .

جاء دور طائرات « الفانتوم » . .

وراحت تشكيلاتها تقوم ببعض الألعاب البهلوانية ، وتنفث سحبا من الدخان الملون . .

وفى نفس الوقت . .

قال المذيع الداخلى : « والآن تجىء المدفعية » . .

فتقدم قائد طابور المدفعية لتحية المنصة ، وهو محاط بعدد من راكبى «الموتوسيكلات » . . وأمام الرئيس ونائبه ووزير الدفاع وكبار القادة والضيوف ، وكاميرات التليفزيون توقف فجأة أحد هذه « الموتوسيكلات » . . أصيب بعطل مفاجىء . . غير متوقع . . واختفى النبض من الموتور تماما . .

لم يتوقف قائد الطابور ، حتى لا يرتبك من يتبعونه ، وترك قائد « الموتوسيكل » يتصرف بمفرده . . وكان أن نزل الرجل من فوق « الموتوسيكل » وراح يدفعه بيديه إلى الأمام . . وكان من حسن حظه أن معدل سير باقى « الموتوسيكلات » كان بطيئا ، يسمح له بملاحقتها . . لكنه سرعان ما هبط فوق كتفيه طائر سوء

الحظ ، فزلت قدمـاه ، وانكفأ على الأرض ، ووقـع « الموتوسيكل » فوقه . . فتدخل جندى كان يقف بالقرب من المنصة ، وأسعفه بقليل من الماء . .

مر الحادث بسلام . .

وساهمت فى ذلك تشكيلات « الفانتوم » التى كانت لاتزال فى السماء ، وتسرق أنظار ضيوف المنصة . . الذين راحوا يستمتعون ببراعة الطيارين الذين يقودونها . .

وبينما الطائرات فى الجو ، كان طابور من عربات المدفعية الثقيلة يتقدم بقرب المنصة الرئيسية . . وفجأة . . إرتجت إحدى العربات . . وانحرفت الى اليمين قليلا . . وتصـور الحـاضرون أن السيارة أصابتهـا لعنة « الموتوسيكـل » وتعطلت . . وعندما نزل منها ضابط ممتلىء قليلا ، تصوروا أنه سيسعى لإصلاحها . . أو أنه سيطلب العون لدفعها الى الأمام بعيدا عن المنصة ، كما حدث من قبل فى عروض عسكرية سابقة أقيمت فى عهدى عبد الناصر والسادات . .

لم يشك أحد فى عطل العربة ـ الجرار . .

بل إن قليلين هم الذين انتبهوا لذلك . .

وكان أول ما فوجىء به الحاضرون بعد ذلك هو رؤية الضابط الممتلىء الذى قفز من العربة وهو يلقى بقنبلة يدوية ، تطير فى الهواء ثم ترتطم بسور المنصة منفجرة . .

فى ذلك الوقت كان المذيع الداخلى يحيى رجال المدفعية ويقول : « إنهم فتية آمنوا بربهم » !!

كان ذلك الضابط هو الملازم أول خالد الاسلامبولى الضابط العامل باللواء ٣٣٣ ـ مدفعية . .

جرى خالد الاسلامبولى إلى العربة ، وفتح بابها ، وأمسك بمدفع رشاش . . عيار ٩ مم . . طراز «بور سعيد» . . فى نفس هذه اللحظة ، كان هناك فوق صندوق العربة شخص آخر ، يلقى بقنبلة أخرى . . سقطت بالقرب من المنصة بحوالى ١٥ مترا . . وسقط من ألقاها فى صندوق العربة . .

وكان ذلك الشخص هو عطا طايل . .

وقبل أن ينتبه أحد ، من الصدمة ، ألقى خالد الاسلامبولى ، القنبلة اليدوية الدفاعية الثالثة فى اتجاه المنصة . . فسقطت بالقرب منها . . لكنها لم تنفجر هى الأخرى . . واكتفت بإخراج دخان كثيف منها . .

وقبل أن ينتهى الدخان ، انفجرت القنبلة الرابعة ، وأصابت سور المنصة أيضا . . وتناثرت شظاياها فى أنحاء متفرقة . . لكن . . هذه الشظايا لم تصب أحدا . . وكان السبب هو سور المنصة الذى كان بمثابة « الساتر » الذى حمى من خلفها من شظاياها . .

وكان رامى هذه القنبلة هو عبد الحميد عبد العال . .

فى تلك اللحظة انتبه أبو غزالة . . وأحس أن ثمة شيئا غير طبيعى يحدث . . وقد تأكد من ذلك بعد أن لمح الرشاش فى يد خالد الاسلامبولى . . واكتشف أنه عار الرأس ، ولا يضع «البيريه» كالمعتاد . .

وانتبه السادات هو الآخر . .

وهب من مقعده واقفا . . وانتصبت قامته . . وغلى الدم فى عروقه . . وسيطر عليه الغضب . . وصرخ أكثر من مرة :

« مش معقول » . . « مش معقول » . . « مش معقول » . .

وكانت هذه العبارة المكررة هى آخر ما قاله السادات . . فقد جاءته رصاصة من شخص رابع كان يقف فوق ظهر العربة ويصوب بندقيته الآلية (عيار ٧,٩٢) نحوه . . وكان وقوف السادات ، عاملا مساعدا لسرعة اصابته . . فقد أصبح هدفا واضحا ، وكاملا ، ومميزا . . وكان من الصعب عدم إصابته . . وخاصة أن حامل البندقية الآلية هو واحد من أبطال الرماية فى الجيش المصرى وقناص محترف . .

كان ذلك هو الرقيب متطوع حسين عباس على . .

اخترقت الرصاصة الأولى الجانب الأيمن من رقبة السادات فى الجزء الفاصل بين عظمة الترقوة وعضلات الرقبة . . واستقرت أربع رصاصات أخرى فى صدره ، فسقط فى مكانه . . على جانبه الأيسر . . واندفع الدم غزيرا من فمه . . ومن صدره . . ومن رقبته . . وغطت ملابسه العسكرية المصممة فى لندن على الطراز النازى ـ الألمانى . . ووشاح القضاء الأخضر الذى كان يلف به



خالد الاسلامبولى فى المنتصف ، وعبد الحميد على يمين الهجوم ، وعطا طايل يستعد للانسحاب

صدره .. والنجوم والنياشين التى كان يعلقها ويرصع بها ثيابه الرسمية المميزة ..

بعد أن أطلق حسين عباس دفعة النيران الأولى ، قفز من العربة ، ليلحق بخالد وزملائه الذين توجهوا صوب المنصة .. فى تشكيل هجومى ، يتقدمه خالد وعبد الحميد على يمينه ، وعطا طايل على شماله .. وبمجرد أن اقتربوا من المنصة أخذوا يطلقون دفعة نيران جديدة على السادات .. وهذه الدفعة من النيران أصابت بعض الجالسين فى الصف الأول ، ومنهم المهندس سيد مرعى ، والدكتور صبحى عبد الحكيم الذى سارع بالانبطاح أرضا ليجد نفسه وجها لوجه أمام السادات الذى كان يئن ويتألم ويلفظ أنفاسه الأخيرة .. ومنهم فوزى عبد الحافظ الذى أصيب باصابات خطرة وبالغة وهو يحاول أن يكوم الكراسى فوق جسد السادات ، الذى ظن أنه على قيد الحياة ، وأن هذه المقاعد تحمى حياته ، وتبعد الرصاصات المحمومة عنه ..

كان أقرب ضباط الحرس الجمهورى إلى السادات عميد اسمه أحمد سرحان .. وبمجرد أن سمع طلقات الرصاص تدوى ، سارع اليه وصاح فيه :

« انزل على الأرض ياسيادة الرئيس .. إنزل على الأرض .. إنزل » ..

ولكن ..

كان الوقت ـ كما يقول العميد أحمد سرحان ـ متأخرا .. « **وكانت الدماء تغطى وجهه ، وحاولت أن أفعل شيئا وأخليت الناس من حوله ، وسحبت مسدسى وأطلقت خمسة عيارات فى اتجاه شخص رأيته يوجه نيرانه ضد الرئيس** » .[1]

لم يذكر عميد الحرس الجمهورى من هو بالضبط الذى كان يطلق نيرانه على السادات .. فقد كان هناك ثلاثة أمام المنصة يطلقون النيران (خالد ، وعبد الحميد ، وعطا طايل) .. كانوا يلتصقون بالمنصة إلى حد أن عبد الحميد كان قريبا من نائب الرئيس حسنى مبارك وقال له :[2]

ـ «أنا مش عايزك .. احنا عايزين فرعون » ..

وكان يقصد بفرعون : أنور السادات !

---

(١) تحقيقات المحكمة العسكرية العليا.

وأشاح خالد لأبو غزالة بيده ، قائلا :(٣)

ـ إبعد .

قال ذلك ، ثم راح هو وزملاؤه يواصلون إطلاق الرصاص .. فقتل كبير الياوران ، اللواء حسن عبد العظيم علام (٥١ سنة) الذى أختير لمنصبه عام ١٩٧٩ ، وكان الموت الخاطف أيضا من نصيب سبعة آخرين هم مصور السادات الخاص محمد يوسف رشوان (٥٠ سنة) الذى انتدب لهذا العمل عام ١٩٧٢ .. وسمير حلمى (٦٣ سنة) .. وخلفان ناصر محمد من سلطنة عمان .. وشانج لوى أحد رجال السفارة الصينية .. وسعيد عبد الرءوف بكر ..

وقبل أن تنفد رصاصات خالد الاسلامبولى ، أصيب الرشاش الذى فى يده بالعطل .. وهذا الطراز من الرشاشات معروف أنه سريع الاعطال ، خاصة إذا امتلأت خزانته (٣٠ طلقة بخلاف خمس طلقات احتياطية) ، عن آخرها .. وقد تعطل رشاش خالد بعد أن أطلق منه ٣ رصاصات فقط !

مد خالد يده بالرشاش الأخرس إلى عطا طايل الذى أخذه منه وأعطاه بدلا منه بندقيته الألية ..

واستدار عطا طايل ليهرب ..

لكنه فوجىء برصاصة تأتى له من داخل المنصة وتخترق جسده ..

فى تلك اللحظة فوجىء عبد الحميد أيضا بمن يطلق عليه الرصاص من المنصة .. أصيب بطلقتين فى أمعائه الدقيقة ورفع رأسه فى اتجاه من أطلق عليه الرصاص ليجد رجلا يرفع طفلا ويحتمى به كساتر ، فرفض اطلاق النار عليه .. وقفز خلف المنصة ليتأكد من أن السادات قتل .. واكتشف لحظتها أنه لا يرتدى القميص الواقى من الرصاص .. وعاد وقفز خارج المنصة وهو يصرخ :

ـ الله اكبر .. الله اكبر !

فى تلك اللحظة نفدت ذخيرة حسين عباس فأخذ منه خالد سلاحه وقال له : « بارك الله فيك .. اجر .. اجر » .. ونجح فى مغادرة أرض الحادث تماما .. ولم يقبض عليه إلا بعد يومين .

(٢) و (٣) تحقيقات المحكمة .

أما الثلاثة الآخرون فقد أسرعوا ـ بعد أن تأكدوا من مصرع السادات ـ يغادرون موقع المنصة .. فى اتجاه رابعة العدوية .. وعلى بعد ٧٥ مترا ، وبعد قرابة دقيقة ونصف ، انتبه رجال الحرس ، وضباط المخابرات الحربية للجناة ، فأطلقوا الرصاص عليهم .. فأصابوهم فعلا .. وقبضت عليهم المجموعة ٧٥ ـ مخابرات حربية وهم فى حالة غيبوبة كاملة .

وبعد أن أفاق الحرس من ذهول المفاجأة .. وبعد اصابة المتهمين الثلاثة ، بدأ اطلاق النار بصورة عشوائية على كل من يرتدى الزى العسكرى ، ويجرى فى نفس الاتجاه الذى كان يجرى فيه الجناة .. فأصيب ٣ أشخاص . وفيما بعد .. ثبت من تحقيقات المحكمة أن عبد الحميد وعطا كانا ينزفان وهما يجريان .. وثبت أيضا أن رجال المجموعة ٧٥ أخذوا أسلحتهم بعد اصابتهم .. وثبت كذلك أن بعض هذه الأسلحة كان بها ذخيرة .

وقال العقيد محمد فتحى حسين (قائد المجموعة ٧٥) أمام المحكمة :(٤)

ـ إن أسلحة بعض المتهمين كان فيها ذخيرة وأنهم لم يردوا على رجال المخابرات عندما أطلقوا عليهم الرصاص ! وكان عدم الرد على رصاص رجال المخابرات الحربية ـ كما قال لى شوقى خالد محامى عبد الحميد ـ قناعتهم بانتهاء مهمتهم عند قتل السادات ، ولأنهم اعتبروا أنفسهم منذ تلك اللحظة شهداء ..

وفيما بعد .. شوهد ممدوح سالم ـ فى الفيلم التليفزيونى الايطالى الذى صور الحادث ـ وهو يلقى عددا من المقاعد فى اتجاه موقع السادات .. وشوهد وهو يشد حسنى مبارك الى أسفل .. وشوهد نائب رئيس وزراء سابق وهو يتسلل باحثا عن مهرب من هذا الجحيم .

○○

عندما جرى اطلاق النار كانت جيهان السادات ، واحفادها ، وزوجات كبار المسئولين ، فى غرفة خاصة تطل على أرض العرض ، ومحجوزة عن المنصة الرئيسية بحاجز من زجاج ..

رأت جيهان السادات ما حدث خطوة بخطوة ..

طابور المدفعية .. أسراب الطائرات .. نزول الاسلامبولى من العربة .. الانقضاض على زوجها .. القنابل التى انفجرت .. الرصاص الذى دوى .. وزوجها وهو يقع على الأرض ..

(٤) ص ١٥٧ من تحقيقات المحكمة .

ولابد أن نعترف أنها كانت تتمتع بهدوء الأعصاب . . حتى أنها لم تغضب إلا عندما وصلت المشاهد الدرامية الدامية أمامها إلى ذروتها . . وسقط زوجها مضرجا بدمائه . .

لحظتها . .

ولحظتها فقط . .

قالت جيهان السادات لسكرتيرتها :

ـ مدام صادق . . دول مجانين !

وعندما راحت فايدة كامل ، المطربة ، والمحامية ، وعضو مجلس الشعب وزوجة وزير الداخلية « النبوى اسماعيل » تصرخ ، وتولول ، نهرتها جيهان السادات وهى فى حالة ذهول . .

وقالت لها :(٥)

ـ اسكتى . . لو متنا ، فلنمت بشرف !

سكتت فايدة كامل لحظة . .

ثم . .

صرخت :

ـ محمد . . محمد . . هاتوا لى محمد . . ياخرابى يامحمد . .

وكان محمد ، هو « محمد النبوى اسماعيل » ، زوجها ، الذى نجح فى الهرب من مكان الحادث فى سيارة ضابط ملازم أول ، واختفى تماما ، ولم يظهر إلا بعد أن اكتشف أن الحادث لم يسفر عن إنقلاب . .

واندفعت جيهان السادات إلى باب الغرفة لتحاول الوصول إلى زوجها . . لكن أحد رجال الحرس الخاص بها ، منعها من ذلك بشدة ، وأمسك بذراعها وألقى بها على الأرض من أجل سلامتها !

(٥) كتاب : «يوم أن قتل السادات» للصحفيين الإسرائيليين «دوديد جرانوت» و «جاك رابينج» .

س : اسمك وسنك ووظيفتك ؟(٦)

جـ : خالد أحمد شوقى الاسلامبولى ، ٢٤ سنة ، ملازم أول بالقوات المسلحة

س : ما هى المهام التى اتفقتم عليها سواء بالنسبة لك ، أو بالنسبة لكل واحد ممن معك ؟

جـ : أنا أرمى قنبلة يدوية بمجرد نزولى من العربية ، والثانية وراها على طول ، وعبد الحميد يضرب واحدة من العربية والرابعة للدفاع كانت مع عبد الحميد ، ثم يتقدم عبد الحميد وعطا من جهة اليمين بالنسبة لنا وأنا فى المنتصف وحسين فى الشمال .

س : والقنبلة الرابعة ؟

جـ : كانت مع عبد الحميد للدفاع .

س : كيف أوقفت العربية ؟

جـ : بعد تهديد السائق وقفت على الفور .

س : وبماذا هددته ؟

جـ : الرشاش كان على رجلى وهددته به .

س : ولكنه يعلم أنه ليس به ذخيرة ؟

جـ : أول ما قلت له أقف ، وقف على طول .

س : هل كان يعلم أن به ذخيرة ؟

جـ : لا .

س : وما صلتك بهذا السائق ؟

جـ : هو من سريتى .

س : هل كنت متفقا معه ؟

جـ : لا .

س : وما الذى أخافه ؟

جـ : معرفش ، أنا قلت له أقف لأضربك بالنار فوقف .

س : هل شددت فرامل اليد ؟

جـ : لا ولكن كنت ناوى أشدها إذا لم يقف .

س : من الذى حمل الرشاش أمام المنصة الرئيسية ؟

(٦) من محاضر التحقيق مع خالد الاسلامبولى .

جـ : كان الرشاش على حجرى والقنبلة اليدوية فى يدى فارتبك السائق ووقف .

س : وكيف تم تبديل الخزنة الفارغة بالخزنة المعمرة ؟

جـ : بمنطقة الانتظار وكانوا بينظفوا عادى وهو كان تحتى فأنا حطيت دي مكان دي .

س : هل أرسلت السائق لأحضار مأكولات أو غير ذلك ؟

جـ : نعم . . أرسلته لاحضار سندويتشين ولم آكلهما .

س : ولماذا ؟

جـ : لأنه سبق لى أن تناولت الإفطار .

س : فلماذا أرسلته إذن ؟

جـ : حتى لا يجلس فى الكابينة إلا ساعة بدء التحرك ، وحتى لا يكتشف أن الرشاش به ذخيرة وأنا كنت بأحاول «أزوحه» من العربة حتى ينزل .

س : ألم تفض إليه بشىء ؟

جـ : لا طبعا !

○ ○

استغرقت العملية ٤٠ ثانية . .

أى أقل من دقيقة . .

أقل من دقيقة ، من لحظة نزول خالد الاسلامبولى إلى لحظة انسحابه هو والآخرين . . كانت كل ثانية من هذه الثوانى بالنسبة للجالسين فى المنصة دهرا بأكمله . . كانت كل ثانية هى الموت بعينه حتى بالنسبة للذين نجوا بعمرهم وبقوا على قيد الحياة . . كانت كل ثانية هى رقم فى مسلسل العد التنازلى للانطلاق إلى العالم الآخر . .

كان مشهد المنصة فريدا من نوعه . .

قتلى . . جرحى . . فوضى . . دماء . . كراسي مقلوبة . . نياشين بعيدة عن أصحابها . . كتل متناثرة من اللحم البشري . . ذعر . . خوف . . أنين . .

ذهول . . ارتباك . . حيرة . . ومفاجأة شلت الجميع . . وصدمة عنيفة كانوا فى حاجة لبعض الوقت لكى يفيق الأحياء والجرحى منها .

○ ○

س : اسمك ، وسنك ، ووظيفتك ؟(٧)

جـ : عبد الحميد عبد العال ، ٢٨ سنة ، ضابط سابق بالدفاع الجوى ، وأعمل حاليا ، أعمال حرة .

س : من الذى حدد مهام التنفيذ . مثلا من الذى يتجه إلى يمين المنصة ، ومن يتجه الى شمالها ، ومن يتجه الى وسطها ؟

جـ : لم يتم الاتفاق بيننا على خطة معينة للتنفيذ وإنما جرى التنسيق عند التنفيذ حسب الموقف .

س : كيف حصل خالد على الرشاش ؟

جـ : هذا الرشاش خاص بالسائق ولا أعرف كيف تحصل عليه منه ويسأل خالد فى ذلك .

س : هل كنت تمارس رياضة بدنية ؟

جـ : نعم .

س : ما طولك ؟

جـ : حوالى ١٧٨ سنتيمتر .

س : عندما واجهت المنصة من المتصف ، كيف تمكنت من اطلاق النار على السيد الرئيس ؟

جـ : رفعت البندقية الآلية فى اتجاه السادات والماسورة مائلة لأسفل ٢٠ درجة .

○ ○

فيما بعد ثبت من التحقيقات التى أجرتها النيابة العسكرية والمحكمة أن عطل «الموتوسيكل» الذى وقع قبل وقوف عربة خالد الاسلامبول وهيأ الأذهان لاحتمال عطلها هى الأخرى ليس له أى علاقة بحادث الاغتيال .

(٧) من محاضر التحقيق مع عبد الحميد عبد العال .

كذلك . .

ثبت من التحقيقات أن سائق السيارة لا علاقة له بالجناة ولا بخطتهم .

كذلك . .

ثبت أن السادات طلب من القناص الذى كان يجلس على مقعد أسفل المنصة الرئيسية أن يترك مكانه ويصعد إلى خلف المنصة . .

قال الجندى :

- لقد قال لى الرئيس ارجع إلى الخلف لاحسن عبود الزمر ييجى من ورا !

فسألته المحكمة :

- كيف تتأكد من كلامك ؟

قال :

- اسألوا السادات !

كذلك . .

ثبت أن السادات لفظ أنفاسه الأخيرة قبل أن يحملوه خارج المنطقة .

00

س : اسمك ، وسنك ، ووظيفتك ؟[٨]

جـ : **عطا طايل حميده رحيل ، ٢٦ سنة ، ملازم أول مهندس ، احتياط .**

س : ماذا حدث يوم العرض ؟

جـ : **يوم العرض الصبح ، ٦ اكتوبر ، طلعنا خالد معاه ضمن الطقم فى العربية ، وكانت العربية قاطرة المدفع ١٣٠ مم وكانت العربة التى تسير يمين القول بالنسبة للمنصة وكان تسليح الطاقم بنادق آلية .**

وكانت بنادقنا فقط بها ذخيرة ، واللى جاب الذخيرة خالد ، وبعدين رحنا راكبين فى العربية ، وفى فترة الانتظار أعطى خالد لعبد الحميد قنبلتين يدويتين ، وعبد الحميد أخذ واحدة وأعطانى واحدة . . وحينما وقفت السيارة أمام المنصة حسب الاتفاق بيننا قام حسين باطلاق النار من العربية فى اتجاه المنصة وعبد الحميد وأنا ألقينا القنبلتين اليدويتين . . وأنا الذى بدأت ، وأنا ألقيت القنبلة مسافة بسيطة بحيث لم تصل الى المنصة ، وسقطت أنا فى أرض العربية . . وقمت وجدت كل الجنود أو معظمهم نزلوا من العربية فنزلت وسقطت تحت عجلات المدفع الذى كان قد بدأ التحرك ، والبندقية مرمية بجانبى ، فقمت من تحت عجلات السيارة إلى المنصة ، ولم أر المقصود (الرئيس) . . ووجدت الصف الأول عبارة عن كراسى وليس بها أحد وأنا وصلت فى النهاية ، وأنا أطلقت النار على الكراسى فى الصف الأمامى ، وأنا أطلقت مالا يتعدى عشر طلقات وأصبت من شخص كان فى حوالى الكرسى الخامس فى المنصة ولم أرض ضربه بالرغم من أنه كان فى مرمى يدى وسقطت على الأرض من إصابتى ونقلت الى المستشفى .[٩]

س : من كان آمركم فى هذه العملية ؟

جـ : خالد .

س : وهل كنت تنوى قتل رئيس الجمهورية ؟

جـ : نعم .

س : وهل كنت تنوى قتل غيره ؟

جـ : النبوى اسماعيل .

س : حدد دور كل واحد منكم فى التنفيذ حسب الخطة المتفق عليها ؟

جـ : **التخطيط المتفق عليه كان انه لما تقف العربية يقوم حسين باطلاق الرصاص وأنا وعبد الحميد نرمى القنابل وخالد يطلق الرصاص بعد ما ينزل من العربة . .** ونهاجم المنصة جميعا حسب الفرص المتاحة .

س : وما الذى تم فعلا تنفيذه لهذا التخطيط ؟

جـ : ما تقدم بعينه .

س : ألم تكونوا تخشون من اكتشاف الذخائر والقنابل ؟

جـ : بلى .

(٨) من محاضر التحقيق مع عطا طايل .

(٩) نجح عطا طايل رغم اصابته فى الابتعاد عن مكان الحادث ٧٥ مترا ، ثم قبض عليه .

بجانب القتلى ، جرح ٢٨ شخصية أخرى . .

كان على رأسهم وزير الدفاع محمد عبد الحليم أبو غزالة . . وكانت اصابته سطحية . . على عكس إصابة « الكاب » الخاص به ، والذى أصيب بشظايا متطايرة من مقذوف رصاص ، كانت قد تناثرت نتيجة ارتطامها بسور المنصة . . وأصيب بطلق نارى نافذ بالرفوف خارج منطقة استدارة الرأس(١٠)

وأصيب اللواء محمد نبيه السيد رئيس هيئة التدريب بالقوات المسلحة ، واللواء عبد رب النبى حافظ رئيس هيئة الاركان ، واللواء عبد المنعم واصل ، والعقيد نزيه محمد على من الحرس الجمهورى ، وكلود رويل سفير بلجيكا بالقاهرة ، وماهر محمد على عضو مجلس الشورى ، ومحمود حسين عبد الناصر الأمين العام لرئاسة الجمهورية ، ووجدى مسعود من السكرتارية الخاصة للسادات وجيمى تالى وزير الدفاع الايرلندى ، وشبيب بن تيمور وزير الدولة العمانى ومبعوث السلطان قابوس ، وعدد من الضباط المصريين والامريكيين . . وغيرهم .

وفيما بعد اتضح أن من بين المصابين بعض الضباط الأمريكيين والكوريين ممن كانوا يساهمون فى حماية الرئيس أنور السادات . . فقد ظهر أن الرئيس السادات كان قد كون جماعة خاصة من عناصر أمريكية ، وكورية (كوريا الجنوبية) وصينية (الصين الوطنية) لحراسته . .

وكانت الصحف المصرية قد نشرت أسماء الذين أصيبوا منهم دون أن تشير من قريب أو بعيد لوظائفهم ، كما فعلت مع الشخصيات الأجنبية والدبلوماسية الأخرى . .

س : اسمك ، وسنك ، ووظيفتك ؟(١١)

جـ : حسين عباس محمد ، ٢٧ سنة ، رقيب متطوع من قوة الدفاع الشعبى .

(١٠) تقرير الطب الشرعى رقم ٦٨ لسنة ٨١ المؤرخ ٢٥/ ١١/ ١٩٨١ والموقع من الدكتور عبد الغنى الشبرى مستشار وزير العدل للطب الشرعى والمرسل إلى إدارة المدعى العام العسكرى فى ٢٩/ ١١/ ١٩٨١ ، والملحق بكتاب وزير الدفاع .

(١١) من محاضر التحقيق مع حسين عباس .

س : ماذا جرى يوم الحادث ؟

جـ : فى الساعة الثالثة صباح يوم العرض ، الثلاثاء ، أحضر خالد الذخيرة وعطا قام بوضعها فى الخزن الثلاث بنادق آلية وكل خزنة ٢٧ طلقة وقام عطا بأخذ أرقام البنادق التى بها ذخيرة .

وفى الساعة السادسة صباحا اجتمعنا واستلمنا السلاح واخترنا البنادق الآلية التى بها الذخيرة وركبنا العربة التى خصصها خالد لنا وهى العربة رقم (١) ضمن قول الكتيبة ، أى العربة الأولى على اليمين التى تواجه المنصة مباشرة أثناء السير .

وهو كان قد أخبرنا أنه سيقوم بجذب فرامل اليد لتقف العربة أمام المنصة .

وكنا قد اتفقنا على أنه بمجرد ما تقف العربة سيقوم خالد وعطا بقذف قنبلة يدوية ثم يعقب ذلك اطلاق النار .

س : وكيف تم تنفيذ الجريمة خطوة بخطوة ؟

جـ : أول من نزل خالد ونزل وأعطى عطا قنبلة فألقاها عطا من العربية فى اتجاه المنصة بينما ألقى خالد القنبلة بعد نزوله وعلى ما اتخيل أول من نزل خالد ، وتلاه عطا ، ثم عبد الحميد وأنا آخر من نزل .

س : ماذا حدث بعد نزولكم ؟

جـ : أنا أحكى الذى حدث معى فقط . . تقدمت تجاه الظالم ، أى المنصة ، وكانت هوجة وأنا كنت قد أطلقت دفعة نيران من فوق العربة تجاه المنصة ، وأول ما نزلت ضربت دفعة واكتشفت إن الذخيرة نفدت بعد وصولى إلى المنصة فاتجهت يسارا .

س : كيف أطلقت النار على المنصة ؟

جـ : ضربت من فوق العربية بالتوجيه الغريزى .

س : هل كنت تراه ؟

جـ : أنا كنت أوجه السلاح إلى منتصف المنصة كما أطلقت دفعة واحدة بعد نزولى فى نفس الاتجاه .

س : ألم تقترب من المنصة ؟

جـ : اقتربت من المنصة !

س : هل أطلقت النار بعد وصولك إلى المنصة ؟

جـ : لا .

س : لماذا ؟

جـ : **لأنى تبينت أن الذخيرة نفدت !**

س : ألم تصوب سلاحك فى اتجاه السيد الرئيس عند وصولك الى منتصف المنصة ؟

جـ : **نعم ، حصل ، واكتشفت إن الذخيرة خلصت .**

س : ألم تحاول صعود السلم اليسار للمنصة الرئيسية ، نقصد اليسار بالنسبة لك ؟

جـ : **شرعت فى الصعود .**

س : وكيف اكتشفت فراغ الذخيرة لدى شروعك فى الصعود ؟

جـ : **بالضغط على التتك .**

س : فى اتجاه من صوبت لدى شروعك فى صعود السلم ؟

جـ : **على الذى أمامى وانا طالع السلم .**

س : والذى أمامك على السلم ، ظالم هو السادات ؟

جـ : **لا أعلم . .**

س : لماذا تضربه اذن ؟

جـ : **أنا أضرب الذى يعترضنى لكى أصل الى هدفى .**

س : وماذا فعلت بعد ذلك ؟

جـ : **لما فوجئت بنفاد ذخيرتى رجعت للخلف ثم جريت يسارا حتى قابلنى خالد وأخذ منى سلاحى واندسست أنا فى الناس الذين كانوا متجمعين على يمين الطريق بعد المنصة حيث كانت هوجة . .**

س : ولماذا أخذ منك خالد السلاح ؟

جـ : **لأنه وجدنى متعبا !**

س : وماذا فعلت بعد اندساسك فى الناس كما تقول ؟

جـ : **كانت هيصة وأنا مشيت مع الناس عادى لغاية الجهاز المركزى للتنظيم والادارة . ثم سرت يسارا فى الشارع الذى يحاذى سور الاستاد ويسير به المترو ووصلت حتى مترو الدراسة بشارع صلاح سالم وسرت يمينا قليلا حتى أوقفت سيارة تاكسى قبل أن أصل الموقع الذى به بوابة القوات الجوية ، والتاكسى أوصلنى إلى الألف مسكن .**

س : ولماذا نزلت فى هذا الموقع بالذات ؟

جـ : **هذا مكانى .**

س : ألم تكن تتوقع القبض عليك ؟

جـ : **نعم**

س : هل أبلغت أحدا بما ارتكبت ؟

جـ : **نعم . . أبلغت زوجتى فقط !**

س : هل أبلغت أحدا سواها ؟[١٢]

جـ : **لا**

س : أبدا ؟

جـ : أبدا .

س : متى التحقت بالقوات المسلحة ؟

جـ : **فى ١٩٧٢/١٢/١٤ ، تطوعت وقدر لى أن أعمل بسلاح المشاه وأن أتخصص فى معلم صف .[١٣]**

س : وما الذى قاله لك خالد وقتما أخذ سلاحك ؟

جـ : **أخذ السلاح ولم يقل لى سوى اجر .**

س : ولماذا لم يجر هو الآخر ، بمعنى يهرب هو الآخر ؟

جـ : **هو كان بيجرى ولا أعرف ماذا حدث له .**

س : ولم أخذ سلاحك بدلا من أن ينصحك بالقائه ؟[١٤]

جـ : **هذا ما كان ويسأل عن مقصده .**

س : من كان آمركم فيما عزمتم عليه من اغتيال رئيس الجمهورية ؟

جـ : **خالد هو الذى يسر لنا الطريق .**

س : ومن الذى دبر وخطط ؟

جـ : **هو !**

(١٢) تصور خالد وعبد الحميد وعطا أن حسين قد استشهد ، وهذا التصور جعلهم يزجون عليه «بالاسم» أمام سلطات التحقيق والمخابرات العسكرية التى كانت تعرف بوجود رابع للجناة ، وتصورت أنه قتل ، وعندما نطق زملاؤه بالاسم أدركت أنه على قيد الحياة وراحت مكانه للقبض عليه .

(١٣) كان حسين عباس من أبطال الرماية فى القوات المسلحة عام ١٩٧٥ . . وقد أصيب بعد ذلك بلغط فى القلب ، الأمر الذى أدى به إلى الخدمة فى مكان بعيد عن التشكيلات المقاتلة ، وهو الدفاع الشعبى .

(١٤) أثناء المحاكمة ، قيل إن خالد الاسلامبولى بعد أن تعطل الرشاش ، أخذ بندقية حسين ، لا بندقية عطا طايل ، وأعطاه الرشاش ، الذى ألقى به وهرب . . لكن هذا الاحتمال لا يتماشى مع أقوال حسين فى تحقيقات النيابة العسكرية والتى أكد فيها أنه لم يسلم سلاحه لخالد إلا بعد أن نفدت الذخيرة منه . . أى أنه لم يسلمه إلا بعد أن أصبح عديم الفائدة . . ومن الممكن أن يكون التصور الذى طرح فى المحكمة سليما إذا كانت أقوال حسين فى التحقيقات غير دقيقة .

فيما بعد وصفت حيثيات الحكم على المتهمين ما جرى فى المنصة . . وقالت :

فى الثامنة تقريبا ، بينما كان الجنود ماضين فى أعمال النظافة للمدافع والعربات ، أعطى خالد لعبد الحميد قنبلتين يدويتين دفاعيتين ، احتفظ عبد الحميد بواحدة ، واعطى الثانية للمتهم عطا طايل ، كما خبأ خالد القنبلتين الأخريين فى تابلوه العربة ، وفى نفس الوقت قام بتغيير الرشاش الخاص بالسائق بخزنة أخرى مملوءة بالذخيرة ووضع الخزانة الفارغة تحت الكرسى ولقد حدث كل ذلك فى غيبة القائد الخاص بالسيارة الذى أرسله خالد لشراء « سندويتشين » . . كما قام خالد باعادة ترتيب جلوس أفراد طاقم عربته فأجلس عبد الحميد خلفه مباشرة فى صندوق العربة وظهره للمنصة ، كما أجلس حسين عباس فى آخر صندوق العربة فى نفس الصف الذى يجلس فيه عبد الحميد وظهره إلى المنصة كذلك بينما أجلس عطا طايل فى مواجهة عبد الحميد ووجهه للمنصة . .

وكانت الخطة التى وضعها خالد لتنفيذ عملية الاغتيال هى أن يجذب فرامل اليد عند اقتراب العربة من المنصة ولكن حدث اختلال فى المسافات بين العربات فهدأت العربة من سيرها للحفاظ على الفرامل ، وهنا تمكن خالد من اكراه السائق على التوقف أمام المنصة الرئيسية بتهديده باطلاق النار عليه إن لم يمتثل لأمره فأوقف السائق العربة وأسرع خالد بالنزول منها وألقى بقنبلة ، تبعه عطا طايل بقنبلة أخرى سقطت على بعد خمسة عشر مترا تقريبا ، كما ألقى عبد الحميد بقنبلة ثالثة سقطت قرب المنصة ، أما القنبلة الرابعة فقد عثر عليها داخل المنصة الرئيسية سليمة ، لم تنفجر ، وتبع القاء القنابل مباشرة إطلاق النيران من صندوق العربة فأحدث ذلك ارباكا شديدا للجالسين بالمنصة ، ومفاجأة غير متوقعة للقائمين على حراسة الرئيس . . وفى ثوان كان المتهم الأول خالد قد اختطف الرشاش القصير من كبينة القيادة (العربة) وقفز الجناة الثلاثة الأخرون من صندوق العربة واتجهوا صوب المنصة الرئيسية وأمكنهم تصويب أسلحتهم واطلاق النيران على الجالسين فى المنصة سواء بالمواجهة المباشرة القريبة أو من الجانبين مع التركيز على الموجودين بالصفوف الأولى . .

وسقط الرئيس الراحل مضرجا فى دمائه ، ولفظ أنفاسه الأخيرة متأثرا بجراحه ، كما سقط سبعة آخرون قتلى ، وأصيب ثمانية وعشرون أيضا باصابات مختلفة ممن كانوا بالمنصة وحولها . .

ولما أدوا مهمتهم الأثمة انسحبوا يجرون عشوائيا فى اتجاه حى رابعة العدوية تطاردهم عناصر الأمن المختلفة وتمكنوا من القبض على المتهمين الأول والثانى والثالث بعد إصابتهم باصابات مختلفة ، كما أمكن للمخابرات الحربية التوصل الى معرفة المتهم الرابع ، والقاء القبض عليه فجر يوم الجمعة الموافق ٩/١٠/١٩٨١[١٥]

٥٥

هذا ما حدث يوم الاغتيال .

هذا ما حدث فى أسوأ يوم يحمل رقم « ٦ » فى عمر وتاريخ ومشوار السادات .

(١٥) المتهم الأول هو خالد الاسلامبولى ، والمتهم الثانى هو عبد الحميد عبد العال والمتهم الثالث هو عطا طايل والمتهم الرابع هو حسين عباس . وقد ذكر حسين عباس فى التحقيق الذى أجرى معه : « يوم الخميس ٨/١٠/١٩٨١ علمت أن عربة بها ثلاثة أفراد حضرت إلى المنطقة التى أسكنها مساء للسؤال عن شخص يدعى عباس فلذا ذهبت إلى بيت اختى بشارع نور الاسلام بكفر فاروق ، قسم المطرية ، و « بيت » الليلة ، وحوالى الساعة الثانية صباحا وقبل الفجر ، أى فجر الجمعة وجدت أناسا يدخلون علينا وقد قاومتهم بمطواه قرن غزال فضربونى فى وجهى ورأسى وقبضوا على » .

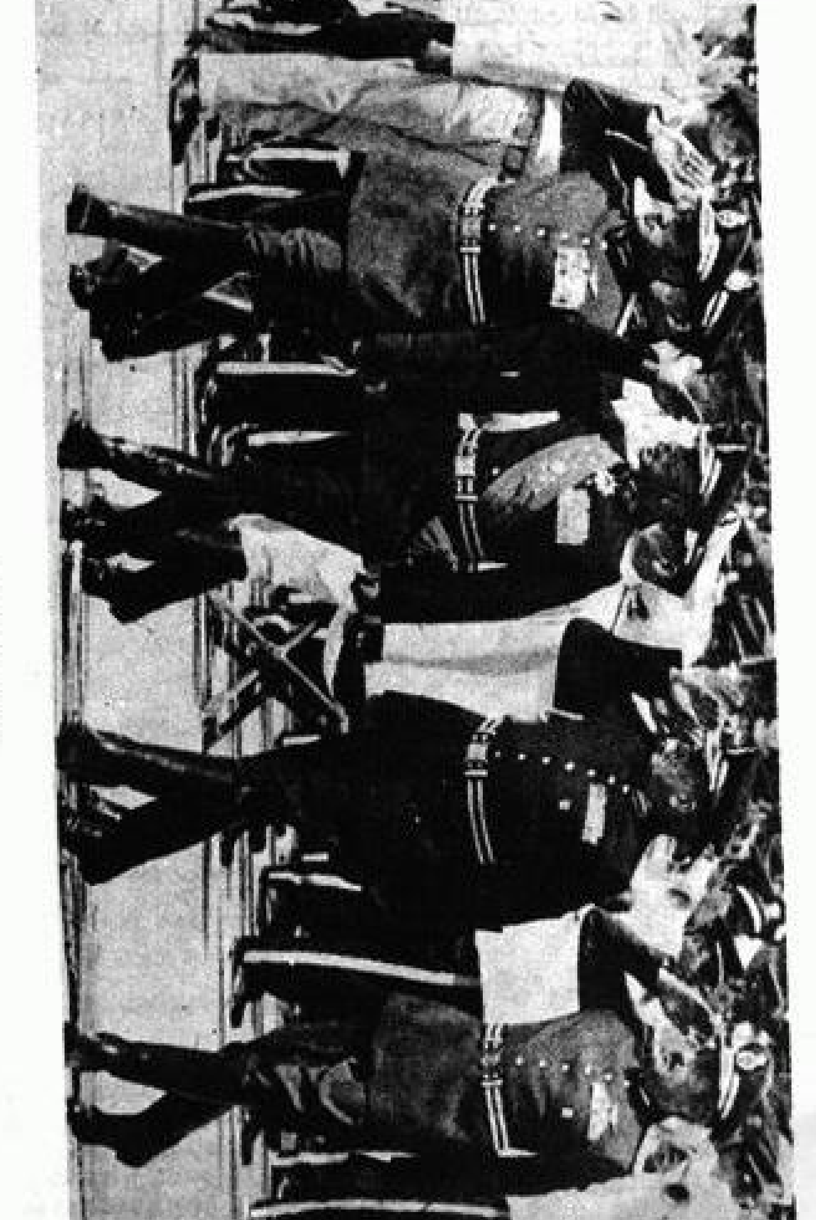
| ٢ |

بداية العد التنازلى !

« لقد وقع السادات شهادة وفاته بيده »

مصطفى أمين

سبتمبر ١٩٨١



الاستعراض الأخير للسادات

لا يوجد حاكم ، أو قائد ، أو زعيم واحد على ظهر الكرة الأرضية لا يتوقع أن يموت مقتولا . .

هذه سنة العمل السياسى . .

وهى سنة سار عليها زعماء مصر فى تاريخها الحديث . . من سعد زغلول إلى مصطفى النحاس . . ومن محمد نجيب الى جمال عبد الناصر . .

فالنحاس مثلا تعرض للاغتيال اكثر من مرة . . أشهرها كانت المرة التى ألقى فيها حسين توفيق قنبلة على سيارته . . والتى تلتها مرة أخرى أطلق فيها الرصاص عليه وهو يركب سيارته أيضا . .[1]

ومحمد نجيب تعرض للاغتيال عام ١٩٥٦ على يد بعض الضباط الصغار الذين خطفوه أيام حرب السويس ، من فيلا زينب الوكيل إلى الصعيد تمهيدا لاذابته فى حمض قوى مركز .[2]

وجمال عبد الناصر ، تعرض لمحاولات اغتيال متعددة ، كان أولها فى المنشية عام ١٩٥٤ ، ثم جاءت محاولات أخرى متنوعة . ، مرة بدس السم فى القهوة . . ومرة بدس السم فى الطعام . ومرة بتفجير سيارته . . ومرة باطلاق الرصاص عليه . . ويقال إن المخابرات المركزية حاولت ذلك واعترف رجالها ـ فى مذكراتهم ـ بهذه المحاولات . . ويقال إنه مات مسموما . وإن لم يوجد دليل يثبت ذلك .[3]

---

(١) يتهم هيكل فى كتاب «خريف الغضب» السادات بتدبير محاولتين لاغتيال النحاس ـ ص ٥٦ ـ ٥٧ من الطبعة السابعة .
(٢) انظر كتابنا : «الوثائق الخاصة بالرئيس نجيب» ـ الناشر روز اليوسف .
(٣) قال فى ذلك منير حافظ ـ الرجل الثانى فى مكتب معلومات عبد الناصر ـ ونشرت ما قاله فى «الأنباء» الكويتية ـ يناير ١٩٨٥

والسادات مثله مثل أى حاكم آخر كان يتوقع إغتياله ..

ولكنه ..

لم يتوقع أبدا أن يغتال بالأسلوب ، ولا بالطريقة التى جرت ظهر الثلاثاء ٦ اكتوبر ١٩٨١ ..

كان السادات يتوقع أن يكون إغتيالا تقليديا .. سم فى فنجان القهوة ، أو طبق الطعام ، أو تبغ البايب .. إطلاق الرصاص عليه من بندقية « قناص » محترف ، قوى الأعصاب وهو فى سيارته ، أو فى البرلمان ، أو فى حديقة بيته .. تعرض موكبه لهجوم عنيف ، مسلح بالقنابل وغيرها ..

أو ..

أى أسلوب تقليدى آخر للإغتيال ..

وكان يؤكد هذا الإحساس ويغذيه ، أن كل « المحاولات » التى تعرض لها السادات لقتله كانت كلها ـ بالفعل ، محاولات تقليدية ..

ووفقا لما نشرته مجلة « تايم » الأمريكية ـ وثيقة الصلة بالمخابرات الأمريكية ـ تعرض السادات لتسع محاولات إغتيال ، منذ تولى الحكم فى سبتمبر ١٩٧٠[٤]

ونحن لا نعرف مدى صحة هذا الرقم .. وإن كنا نعرف أن مصادر الأمن المصرية لم تنف هذا الكلام .. وبالطبع .. لم تؤكده .

كانت هناك محاولة لاغتياله فى عام ١٩٧١ .

وكانت هناك محاولة ثانية فى ١٢ اكتوبر ١٩٧٢ .

وكانت هناك محاولة ثالثة فى ابريل عام ١٩٧٤ .

وفى ابريل ١٩٨١ ، تغير مسار طائرته الخاصة وهى فى طريقها إلى الولايات المتحدة الأمريكية .. وبدلا من التوقف فى « لشبونة » توقفت فى قاعدة عسكرية

(٤) مجلة «تايم» ـ ١٢ اكتوبر ١٩٨١ ـ وقد ذكرت المجلة أن اجراءات الأمن كانت مشددة أثناء المؤتمر الثانى للحزب الوطنى الذى عقد عام ١٩٨١ فى جامعة القاهرة ، الأمر الذى فرض تفتيش اعضاء المؤتمر ٣ مرات ، بعد أن قيل لرجال الأمن : احترسوا ، إنهم سيقتلون الرئيس وهو فى طريقه إلى المؤتمر ، أو فى داخل المؤتمر ، وقيل إن هذه المحاولة ـ التى سبقت محاولة المنصورة ـ هى المحاولة الثالثة التى تعرض لها السادات خلال عامه الأخير .

فى بريطانيا .. وكان السبب هو احتمال تعرض السادات ، وطائرته لهجوم مسلح قيل إن الليبيين دبروه له ..

وفى نفس الشهر ، قبض على « فلسطينى » من قطاع غزة ، وهو يحمل متفجرات كانت مجهزة لاغتيال السادات .

وأثناء رحلته الأخيرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، ألغى السادات زيارة للنمسا بعد أن اكتشفت مؤامرة اضافية لاغتياله فى سالزبورج . وقد كشف مستشار النمسا الأسبق « برونو كرايسكى » أسرار هذه المحاولة فى ديسمبر ١٩٨٤ أمام محكمة فى فيينا ، مثل أمامها شاب فلسطينى يدعى « بهيج يونس » اتهم بأ كان وراء التخطيط لاغتيال عضو يهودى فى المجلس البلدى لفيينا ومهاج « كينس » فى العاصمة النمساوية .

وقال كرايسكى :[٥]

ـ إن مصدر هذه المعلومات كان الاستخبارات الاسرائيلية ![٦]

وقال :

ـ إن زيارة الرئيس السادات للنمسا كانت ستتم فى ١٠ أغسطس ١٩٨١ وقد طلبت منه آنذاك تأجيل زيارته لسالزبورج نظرا إلى أنه لم يكن فى استطاع ضمان سلامته .. وعندما اغتيل السادات بعد أسابيع تأكد لنا أن المعلومات الت توافرت لدينا كانت جيدة جدا .

٥٥

بعد اغتيال السادات ، كشفت التحقيقات ، وكشف تقرير أعده اللواء حس أبو باشا مساعد وزير الداخلية فى ذلك الوقت (أصبح بعد ذلك وزيرا للداخ ثم وزيرا للحكم المحلى) أن فكرة الاغتيال قد طرحت عدة مرات بين بعض أف تنظيم «الجهاد» .. وكان ذلك فى نهاية عام ١٩٨٠ أو بداية عام ١٩٨١ «ويبدو أنه كان بين الذين شاركوا فى هذه الأفكار كل من محمد عبد السلام

(٥) مجلة «شبيجل» ـ ألمانيا الغربية ـ ٢١ ديسمبر ١٩٨٤ .
(٦) أكد هذا الكلام وذكره بوضوح وزير الدفاع الاسرائيلى الأسبق «عيزرا وايزمان» فى كتابه «الحرب من السلام» وقال فيه : «إننا إكتشفنا محاولة لاغتيال الرئيس السادات فسارعنا بإبلاغه لننقذ حياته» .

عطية وهو عضو بارز فى التنظيم والمقدم عبود عبد اللطيف الزمر وهو ضابط كبير بالمخابرات الحربية » و « كان الحديث الذى دار فى ذلك الوقت لا يقتصر على مجرد اغتيال السادات ولكن كان الاغتيال ـ فى نظرهم ـ مقدمة للإستيلاء على السلطة فى مصر بعد الخلاص من السادات » .[7]

واقترحوا . .

اغتيال السادات وهو جالس فى منصة العرض العسكرى فى ٦ اكتوبر عام ١٩٨١ ، وذلك بتجنيد طيار انتحارى ، يوجه طائرته إلى المنصة ، ودكها فوق رأسه ، لكن سرعان ما تبخر الاقتراح لعدم تمكنهم من تجنيد الطيار الذى يمكن أن يثقوا فيه ، ويضمنوا تنفيذ المهمة على يديه .[8]

واقترحوا . .

اغتياله وهو فى استراحة القناطر . . وكان صاحب الاقتراح هو عبود الزمر . . وقد ذهب الزمر بنفسه إلى مكان الاستراحة لتفقد امكانيات الأمن والحراسة حولها . . لكنهم سرعان ما عدلوا عن هذا الاقتراح بسبب صعوبة اختراق ساتر الأمن ، واستحالة الوصول الى السادات .

واقترحوا . .

إطلاق الرصاص عليه أثناء مرور القطار الذى يستقله على محطة « المنصورة » فى ٢٥ سبتمبر ١٩٨١ . . وقد تحول هذا الاقتراح إلى خطة بالفعل . .

كانت الخطة هى : ان يندس رجالهم وسط الجماهير المحتشدة بالقرب من محطة قطارات « المنصورة » ثم يتحين هؤلاء الفرصة المناسبة لسحب أسلحتهم واطلاق الرصاص على السادات . .

كانت خطة سهلة . . وممكنة . . ومضمونة النجاح ، خاصة بعد تدبير الرجال والسلاح الضروريين . لكن . . قبل أيام قليلة من ساعة الصفر انكشف المخطط ، وضبطت الأسلحة والذخائر والخرائط فى احدى الشقق بالقاهرة . .[9]

---

(٧) هيكل ـ المصدر السابق ـ ص ٤٩٧ .

(٨) يحاول هيكل (فى خريف الغضب) الربط بين هذه المحاولة وما جرى بالفعل يوم ٦ اكتوبر ١٩٨١ ، لكن الربط غير حقيقى تماما .

(٩) الصحف المصرية ـ أواخر سبتمبر ١٩٨١ .

وكانت اجهزة الأمن قد رصدت تحركات مجموعة الاغتيال ، وصورت اجتماعات أعضاء التنظيم السرية ، على شرائط فيديو . وقد شاهد السادات هذه الشرائط بنفسه وعرف بأمر عبود الزمر ، فكان أن أعلن عن هذا المحاولة ، وأشار إلى عبود الزمر بقوله : «أنا عارفه وهو سامعني دلوقتي»!

وقد رفض السادات نصيحة كبار أصدقائه ، وعلى رأسهم عثمان أحمد عثمان ، بإلغاء رحلة المنصورة ، وأصر على أن تكون بنفس الترتيبات المقررة . .

وقال :

ـ كله بأمر الله!

وأضاف :

ـ أنا لا أخاف على نفسي وانما على مصير من حولي!

○○ . .

هناك دليل آخر على أن حياة أنور السادات كانت محاصرة بالخطر . . ومحاولات الإغتيال . .

هذا الدليل هو رد فعل الفريق سعد الشاذلى بعد إعلان نبأ مقتل السادات . .

إن الفريق سعد الشاذلى كان رئيس الأركان للقوات المسلحة المصرية أثناء حرب إكتوبر ١٩٧٣ . . وقد دب الخلاف بينه وبين السادات بعد «الثغرة» التي فتحها «شارون» وعبر من خلالها إلى غرب القناة . . ووصل الخلاف بين السادات والشاذلى إلى حد الإتهام . . إتهم السادات الفريق الشاذلى بعدم القدرة على قوات الثغرة . . ورد الشاذلى الإتهام باتهام السادات بأنه المتسبب فيها . .

ووصل الموقف إلى مرحلة من التوتر، أدت إلى أن أبعد السادات، الفريق الشاذلي من رئاسة الأركان، وعينه سفيراً لمصر في لندن، ثم لشبونة.. ثم أنتقل الموقف من التوتر إلى القطيعة.. وقرر الفريق الشاذلي أن لا يعود إلى مصر، وفضّل الأقامة في مدينة الجزائر.. وراح يشن هجوماً لا رجعة فيه على السادات، وعلى نظام حكمه..

وقد إتهم أنور السادات الفريق سعد الشاذلي بأنه وراء بعض العمليات الإرهابية التي وقعت في مصر..

واتهمه أيضاً بتكوين جبهة معارضة له من كتاب وسياسيين مصريين من الخارج، من أجل إسقاط أو تغيير نظام الحكم في مصر..

وهذه الجبهة هي: «الجبهة الوطنية المصرية»!

كل هذا...

جعل البعض يتصور أن الفريق الشاذلي هو الذى قتل السادات.. أو.. على الأقل هو الذى يقف وراء من قتلوا السادات..

فقد قيل:

ان الذين قتلوا السادات هم ضباط صغار من تلاميذ سعد الشاذلي:

وقيل:

- انهم أعضاء في تنظيم جديد من ضباط «أحرار» جدد في الجيش المصري، جند الأعضاء فيه بواسطة سعد الشاذلي:

لكن..

فيما بعد ثبت أن كل هذا الكلام لا علاقة له بما جرى..

فقد ثبت أن خالد الأسلامبولي، تخرج من الجيش بعد أن تركه سعد الشاذلي بسنوات تزيد عن الثلاثة.. أى أنه لم يعرف خالد الإسلامبولي، ولا خالد الإسلامبولي تتلمذ على يديه.. ويوم كان سعد الشاذلي سفيراً لمصر في لندن، كان خالد الإسلامبولي طالباً في المدرسة الثانوية بإحدى مراكز صعيد مصر..

وثبت أن تنظيم خالد الإسلامبولي ليس تنظيماً داخل الجيش، بل هو من التنظيمات الدينية المتطرفة.. بل وثبت أن خالد لم يكن عضواً في هذا التنظيم..

على أن كل هذه الحقائق لم تمنع الفريق سعد الشاذلي من الإيحاء بأنه كان وراء عملية مقتل السادات..

ولم تمنعه من الإيحاء بأن هذه العملية هي الخطوة الأولى من مخطط أكبر وأشمل يستهدف تغيير نظام الحكم في مصر..

أي أنه أوحى للعالم أنه هو الذى دبر، وخطط، ونفذ.. وأنه هو الذى سيرسم مستقبل مصر بيديه..

وبعد أن عرف العالم الحقيقة، إكتشف أن سعد الشاذلي قد خدعه.. وضلله.. وأوحى لنفسه ما ليس عنده..

فكان أن أصبح الشاذلي في خبر كان رغم أنه لا يزال يعيش في مدينة الجزائر.. إن الشاذلي دفع ثمن مبالغته في تفسير ما حدث.. فقد طالب الشعب المصري من خلال ستديو برنامج «عالم الظهيرة» بهيئة الاذاعة البريطانية «بي. بي. سي» - القسم العربي، بالتظاهر في الشوارع والمدن من أجل الحرية، ومن أجل الافراج عن المعتقلين السياسيين..

وأيضاً..

من أجل تغيير نظام الحكم..

لكن.. شيء مما طالب به الشاذلي لم يتحقق..

وعندما سئل في حديث مع مجلة «نيوزويك» الأمريكية أجراه معه «سوليان سكوت» تليفونياً:

- من قتل السادات؟

تهرب من السؤال وقال :

- تعرف انني قلت انني لا أستطيع مناقشة هذا الأمر !

وجرى باقي الحوار بينهما كالتالي :

- ما هو شعورك تجاه مقتل السادات ؟

- انني سعيد . . ممتلىء بالسعادة لقتل السادات ، الا أن السادات لم يكن هدفنا الرئيسي ، انما هدفنا هو النظام في مصر . . ان التخلص من السادات هو خطوة على الطريق الصحيح . . ولكن هناك الكثير جدا مما يجب أن يتم .

- من الذي يعارض ما أطلقت عليه النظام « الاوتوقراطي » في مصر ؟

- المعارضة تمتد من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ، مع وجود الكثيرين من الوسط ، فهي تشمل الناصريين والشيوعيين والمتعصبين دينيا كجماعة التكفير والهجرة .

- ما الذي يجمع ويوحد بين هذه الجماعات ؟

- الشيء الذي يجمعنا هو فكرة اسقاط السادات !

- هل ستبقى المعارضة متحدة لو تولت الحكم ؟

- ان كل جماعة سوف تقوم بذاتها وتكون حزبها الخاص ، وستحصل كل مجموعة على نصيبها من السلطة من خلال الانتخابات !

- هل يمكن تحقيق الهدف الديمقراطي الذي تسعون إليه بوسائل العنف والارهاب التي تلجأون اليها ؟

- وما الذي تستطيعه غير ذلك ؟

- ما هي خططك الفورية ؟

- سوف أعود للجزائر وسوف نبذل كل ما في استطاعتنا لاسقاط النظام .

فتحت هذه التصريحات من جديد ، ملف الفريق الشاذلي في مصر ، وهو الملف الموجود في أرشيف المدعي العام الاشتراكي ويحمل رقم ١٢ لسنة ١٩٨١ ، ويتضمن أوراق الجبهة الوطنية المصرية التي تهدف إلى اسقاط النظام - كما يقول الادعاء - في مصر ، وتضم إلى جانب الشاذلي كلا من : عبد المجيد فريد (أمين عام رئاسة الجمهورية في عهد جمال عبد الناصر) وميشيل كامل (كاتب يساري معروف ومدير تحرير مجلة الطليعة التي كانت تصدر من الأهرام حتى أغلقها يوسف السباعي في عهد السادات) وأحمد عباس صالح (كاتب يساري ورئيس تحرير مجلة الكاتب التي أغلقت في السبعينيات هي الأخرى) ود . حكمت أبو زيد (وزيرة الشئون الاجتماعية السابقة وأول امرأة تتولى منصب الوزارة في تاريخ مصر ، وكان ذلك في عهد جمال عبد الناصر) .

وقد نظرت هذه القضية أمام محكمة « القيم » بعد حوالي الشهر من وفاة السادات . . بالتحديد في ١٥ نوفمبر عام ١٩٨١ . .

٥٥

لقد كان للسادات عدد كبير من الخصوم السياسيين - الذين تمنوا الخلاص منه - في الداخل والخارج . . وقد ظهرت الدفعات الأولى منهم في حياة السادات ، بمجرد أن ظهر هو على مسرح الحكم ، وتولى السلطة بعد وفاة عبد الناصر في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ . .

وكانت هذه الدفعات الأولى هي ما أسماها السادات باسم « مراكز القوى » . . وقد نجح السادات في التخلص منها وادخال قادتها السجن في ١٥ مايو ١٩٧١ . . وقد أتاح له ذلك ، فتح النيران بحرية - من خلال صحافته الرسمية - على جثمان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر . . وهو الهجوم الذي كان أشبه بالمدفعية التمهيدية لإصابة أهدافه الحقيقية ، وهو التحول عن سياسات سلفه . . من الاشتراكية إلى الانفتاح . . من الاتحاد الاشتراكي إلى تعدد الأحزاب . . من التعامل مع السوفيت إلى الارتماء في أحضان الأمريكيين . . وقد خلقت سياسته الجديدة دفعات جديدة من الخصوم السياسيين الذين ينتمون للناصرية ولليسار بشكل عام . .

ومنح السادات مساحة أكبر لخصومه بسبب تصرفاته الاستفزازية ، التي أثارت غضب وسخرية الكثيرين من طوائف وطبقات الشعب المصري على أسلوبه « الفاخر » في الحياة . . فقد جعل من زوجته - سيدة مصر الأولى - مركز قوى جديدا في الحكم . . وبجانب مرتبه الرسمي (٩٠٠ جنيه في الشهر) وضع تحت تصرفه حوالي مليون جنيه سنويا ، اعتمادا خاصا يتصرف فيه ، دون



مستندات . . وراح يجهز وينشىء استراحة خاصة له فى كل مكان يمكن أن يزوره على أرض مصر : فى ميت أبو الكوم ، والقناطر ، وأسوان ، ومرسى مطروح ، والهرم ، والاسكندرية بخلاف القصور المعروفة التى كان يستخدمها . . وراح يتصرف فى آثار مصر الفرعونية ويقدمها لأصدقائه من زعماء العالم دون مناسبة ، وباشارات تليفونية من أفراد السكرتارية الخاصة له وللسيدة زوجته . . واشتهر عنه أنه لا يحب قراءة التقارير اليومية التى كانت تقدم له ، واكتفى بأن يسمع صوت رأسه ، وصوت زوجته ، وصوت المستشارين من أصدقائه ، وعلى رأسهم المهندس عثمان أحمد عثمان . .

وفى عهده اخترقت الأنوف رائحة الفضائح المالية ، والصفقات المريبة . . من صفقة « البوينج » الأمريكية إلى صفقة « الأتوبيسات » الايرانية . . وغيرها . .

وفى عهده انفجرت فضائح ارتبطت بأشخاص كانوا على صلة به ، أو بأحد من أصدقائه . . مثل عصمت السادات . . وتوفيق عبد الحى . . ورشاد عثمان . . وغيرهم . .

فى عهده ازداد الغنى ثراء . . وازداد الفقير فقرا . .

ووصلت قمة هذه الحقيقة وذروتها فى انتفاضة ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ ، والتى عبر فيها الشعب المصرى بصورة فجائية ، وغير متوقعة عن غضبه من كل التصرفات الإستفزازية - الخاصة والعامة - التى اتخذها السادات . . والذى أثبت من خلاله الشعب المصرى أن السادات فى كفة وهو فى الكفة الأخرى . . وأثبت أيضا أنه حاكم اهتزت « شرعيته » فى الحكم . . ولم يصدق السادات أن هذا يمكن أن يحدث له ، فأصيب بانهيار عصبى حاد ، ترتب عليه علاجه علاجا نفسيا ، وحقنه بحقنة خاصة كل ١٢ ساعة . . وراح يصر على أن هذه الانتفاضة لم تكن إنتفاضة « شعبية » وإنما انتفاضة « حرامية » . .

ولم يتعلم السادات من هذا الدرس . .

وأعلن بأسلوب « الصدمات الكهربائية » الذى كان يحترفه عن سفره إلى القدس . . وانهاء حالة الحرب مع اسرائيل . . « من أجل الرخاء ومن أجل أن لا يموت أبناؤه » . .

ولم يحقق السادات من هذه الخطوة سوى مزيد من الخصومة السياسية فى الداخل والخارج . . وكسب المعارضون له مساحة اكبر . . وتضاعفت هذه

المساحة بعد توقيع معاهدة « كامب ديفيد » مع مناحم بيجن ، وبضمان من جيمى كارتر . . فانهالت عليه قوى المعارضة فى حزبى « التجمع » و« العمل » . . وراحت تهاجمه علنا ، وتنتقد تصرفاته السياسية والعائلية . .

ثم . . تضاعفت مساحة الخلاف بين السادات وخصومه بعد سلسلة القوانين سيئة السمعة التى أصدرها ، وعلى رأسها قانون « العيب » ، وبعد الاعتداء على المؤسسات والنقابات ، وعلى رأسها نقابة « المحامين » . . وبعد أن حل مجلس الشعب بعد كامب ديفيد . . وبعد أن ألغى « الرقابة الادارية » . .

باختصار . .

بعد أن تصرف فى البلد على أنها عزبة « موروثة » له . . ولأسرته من بعده . .

○ ○

وكل هذا يوضع فى « كوم » . . وما حدث فى اتجاه التيار الدينى يوضع فى « كوم » آخر . .

لقد بدأ هذا التيار ينشط بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وذلك من باب اللجوء إلى ملاذ يمكن أن ينقذ الشباب من أكبر صدمة مروعة تعرض لها . .

لكن . . رغم ذلك لم ينشط هذا التيار إلى درجة التكاثر والنمو والانتعاش إلا بعد تولى السادات الحكم . . فمنذ اللحظة الأولى كان واضحا أنه يغازل هذا التيار . . أطلق على نفسه لقب « الرئيس المؤمن » . . وسمى دولته بدولة « العلم والإيمان » . . وأصر أن يكون اسمه «محمد» أنور السادات ، وطالب الصحف بكتابة اسمه ثلاثيا لابراز اسم «محمد» . . وحافظ على عادة أن ينقل التليفزيون صورته وهو يصلى الجمعة . .

وعندما أعلن السادات : أن عام ١٩٧١ هو عام «الحسم» . . حسم قضية الاحتلال الاسرائيلى لسيناء . . وعندما لم يتحقق ما أعلنه ، وما وعد به ، انفجرت مظاهرات الطلبة والشباب فى الجامعة . . وراحت صحف الحائط تسخر منه ومن تصرفات زوجته . . واتهمت أجهزة الأمن اليسار والناصريين بأنهم وراء هذه المظاهرات . . ولقى هذا الاتهام قبولا حسنا عند السادات ، فأعلن حربا «سرية» ضد هذه التيارات فى الجامعات . . ولجأ مستشاروه إلى حيلة

تقليدية وهى استخدام الجماعات الدينية ـ بعد مساعدتها وتشجيعها وتدعيمها ـ كمخلب قط يرشق فى صدر وقلب وعيون اليساريين والناصريين . . وقد مولت أمانة التنظيم فى الإتحاد الإشتراكى ، وبمساعدة بعض جهات الأمن ، أفراد هذه الجماعات بالمطاوى ، وبالنقود اللازمة لمهمتهم . . حتى نجحت هذه الجماعات فى السيطرة على إتحادات الطلبة ، والفوز فى إنتخاباتها . .

وتركت الجامعة ، منذ بداية السبعينيات ، للجماعات الاسلامية ، تسيطر عليها ، وتفعل بها ما تشاء . . وسرعان ما كبر الأسد الذى رباه نظام السادات وأعده ليأكل اليسار والناصريين ، وراح يهدد هذا النظام نفسه بالالتهام . .

وكشر الأسد عن أنيابه ـ أول مرة ـ فى عام ١٩٧٤ ، وحاول أن يجرب قوته فى عملية الهجوم على « الكلية الفنية العسكرية » . . التى قادها دكتور الفلسفة « صالح سرية » مع بعض الطلبة ، تمهيدا لاحتلال اللجنة المركزية العليا للإتحاد الإشتراكى العربى ، على أن يسعى بعد ذلك لقتل السادات ، والسيطرة على الحكم ، وفرض «حزب التحرر الإسلامى» على السلطة . .

وقد فشلت المحاولة ، وأثبت الأسد أنه لايزال شبلا . . وتم القضاء على المحاولة . . وأعدم عدد لابأس به من الذين قاموا بالمحاولة . .

ولم يحاول السادات أن يتعلم هذا الدرس . .

فكانت المحاولة الثانية . . التى خطف فيها بعض أنصار تنظيم «التكفير والهجرة» وزير الأوقاف الأسبق ، الشيخ «محمد الذهبى» من بيته فى حلوان إلى مكان مجهول ، وهددوا بقتله مالم ينفذ النظام مطالبهم . . وكان على رأس هذه المطالب ، إذاعة بيان خاص بهم فى الإذاعة والتليفزيون يستنكرون فيه عدم فرض الشريعة الإسلامية على أساليب الحياة والحكم فى مصر . .

وقد رفض السادات إذاعة البيان . . وقتل الشيخ الذهبى بالفعل . . وامتلأت الصحف بالكلام عن تنظيم «التكفير والهجرة» . .

وقد كان هذا الاسم يعبر عن فكرة أصحابه . . وهو رفض المجتمع «الفاسق» الذى وجدوا فيه ، وقطع كل الصلات والاتصالات بينهم وبينه . . والانسحاب إلى الصحارى والجبال ، ليقيموا هناك مجتمعات إسلامية «نقية» ، تقوى درجة بعد درجة حتى يصلوا إلى مرحلة القوة التى تمكنهم من إعادة غزو المجتمع الذى

خرجوا منه ، وتطهيره من كل كفر وفساد وانحلال ، واعلان المجتمع الاسلامى الأصيل .

ومرة أخرى لم يحاول السادات أن يتعلم الدرس . .

وتصور أن أفضل حل للقضاء على هذه القوة الجديدة ـ الخطرة ـ هو خلق قوة أخرى ، تتصادم معها ، وتنشغل بها . . تماما كما فعل نفس الشىء مع هذه القوة نفسها ، حينما وضعها أمام قوة اليسار والتقدم . . وكانت القوة المرشحة للعب هذا الدور ، هى قوة التعصب الدينى الطائفى . .

كان التيار التقدمى وأمامه التيار الاسلامى . .

فأصبح التيار الاسلامى وأمامه التيار المسيحى . .

وبدأت النيران تشتعل . .

نيران التعصب . . ونيران الطائفية . .

فوقعت أحداث كثيرة تحت هذه العناوين . . منها أحداث الفتنة الطائفية التى وقعت فى الصعيد (ابريل ١٩٨٠) . . ومنها أحداث الفتنة الطائفية فى الزاوية الحمراء (يونيو ١٩٨١) التى أسفرت عن سقوط ١٧ قتيلا و ٥٠ جريحا واعتقال ٢١٢ من المسلمين والمسيحيين . .

ولا تفسير لهذه الأحداث سوى : أن السادات قتل القتيل ومشى فى جنازته !

ومما لا شك فيه أن أحداث الصعيد التى وقعت فى ابريل ١٩٨٠ ، خاصة فى المنيا وأسيوط هى الاختبار الأول لقوة تنظيم أعلن عنه فيما بعد ، هو تنظيم «الجهاد» . .

ففى يوم ٣ ابريل ، تجمع حوالى ٥٠٠ طالب فى أحد مدرجات جامعة أسيوط ليستمعوا الى خطبة يلقيها طالب الطب ، وأمير الأمراء حلمى الجزار . . وهو طالب بطب القاهرة ، وسافر إلى أسيوط لهذه المهمة . .

وصرخ حلمى الجزار :

ـ إلى متى . . إلى متى تسمحون لأولاد الأفاعى هؤلاء أن يبعدوا الشباب عن دينهم ؟ . . ومن المسئول عن كل ذلك ؟

وأجاب على سؤاله الأخير :

ـ إنه «هو» . . هو الذى منح الشاه رعايته وحمايته وسمح له بأن يدنس أرضنا الطاهرة !

وصرخ الطلبة :

ـ الشاه مجرم . . سفاح . . سفاك للدماء !

قبل هذه المحاضرة ، وقع صدام بين رجال الأمن وعدد من الطلبة من أعضاء هذه الجماعات بعد خروجهم من أحد المساجد . . فقتل شاب وجرح ٦ آخرين ، واعتقل ٥٤ منهم .

وفى جنازة الشاب القتيل تجددت المظاهرات ، والمصادمات .

ومن بين الطلبة البارزين فى جامعة أسيوط ، والمعروفين بنشاطهم الدينى ، كان كرم زهدى ، الذى كان حاضرا خطبة حلمى الجزار وشجعه على المزيد من التمرد على أعداء الإسلام . .

وقد التقى كرم زهدى ، بعد شهور ، فى أسيوط ، بمحمد عبد السلام فرج ، وقدم له نسخة من كتاب جمعه من مؤلفات الفقيه الاسلامى « ابن تيمية » وأسماه بالفريضة الغائبة . . (وفيما بعد سيظهر دور كرم زهدى ومحمد عبد السلام فى عملية اغتيال السادات) . .

قال محمد عبد السلام :

إن حكامنا مثل حكام المغول ، تستروا وراء الاسلام لكنهم فرضوا علينا شريعة أخرى غير شريعة الإسلام . . ولقد آن الأوان للمسلمين فى مصر أن يبدأوا «الجهاد» ضد النظام الكافر !

ووافق كرم زهدى . .

وأصبح بعد هذا اللقاء عضوا فى تنظيم « الجهاد » وأميرا للصعيد !

وكما نجح محمد عبد السلام فى ضم كرم زهدى ، نجح فى تجنيد عدد آخر كبير من المثقفين . . وضباط الجيش . . كان من بينهم نقيب فى القوات الجوية اسمه «أحمد موسى» إستاء أن تستورد مصر الكتاكيت من اسرائيل . . وكان من بينهم العقيد أحمد المقرنبانى قائد كتيبة حرس المطار . . ورائد اخر بنفس الكتيبة . . وطيار بالقوات الجوية اسمه عصام التهامى وهو برتبة مقدم . .

ولم يمر العام حتى كان لتنظيم الجهاد خلايا فى القاهرة والجيزة والاسكندرية وأسيوط والمنيا وسوهاج وقنا . . وكان أمراء هذه المحافظات يشكلون مجلسا قياديا سموه «مجلس الشورى» . .

ومن خلال هذا المجلس اقترح عبود الزمر تكوين ثلاث لجان ، كل منها مكون من ثلاثة أو أربعة أشخاص ، الأولى : لجنة «الإعداد» ومهمتها إعداد الأسلحة والـذخائر والسيارات . . والثانية : اللجنة «الاقتصادية» ومهمتها تدبير الأموال . . والثالثة : لجنة «الدعاية» ومهمتها توزيع المنشورات لخلق البلبلة فى الشارع المصرى . وعندما اقتربت عملية بناء التنظيم من نهايتها ، أصبح من الضرورى وجود شخصية قيادية مؤثرة تكون على قمته . . ويكون لها ثقلها فى الفتوى . .

واقترح كرم زهدى اسم الشيخ عمر عبد الرحمن . . وهو رجل فى الأربعين من عمره . . ضرير . . كان أستاذا بكلية أصول الدين بالفيوم . . ورئيس قسم التفسير بجامعة الأزهر ـ فرع أسيوط . .

وسافر كرم زهدى لاقناع الدكتور عمر بالانضمام لهم . .

ورفض الرجل . .

وقال له :

ـ إنى ضرير . . وامكانياتى محدودة . . ولا أقدر على هذه المهمة .

ولحق محمد عبد السلام بكرم زهدى ، وأعاد الكرة فى محاولة إقناع الدكتور عمر . وأخيرا نجحا فى ذلك ، على أساس أن يكون انضمامه لفترة محددة فقط .

وعند هذا الحد من النجاح ، لم ينتظر أعضاء تنظيم «الجهاد» الثورة الاسلامية التى كانوا يدعون لها ويسعون لقيامها ، وإنما نشطوا من خلال الجماعات الاسلامية ـ غير المسيسة ـ إلى فرض نفوذهم على الجامعات ، من خلال فصل الطلبة عن الطالبات . . ومنع الحفلات الجامعية . . والقيام برحلات إلى المقابر . . والدعوة للصلاة فى الميادين العامة . . والدعوة إلى عودة الحجاب واطلاق اللحى . .

ووصل نجاحهم إلى حد اقامة صلاة عيد الأضحى سنة ١٩٨٠ فى ميدان عابدين ، وحضر الصلاة ٤٠٠ ألف مصل أمام القصر الجمهورى . .

ولم يكن من المنطق تصور أن يحدث ذلك دون موافقة السلطات ورضاها . .

وتطور هذا النجاح إلى حد استخدام المطاوى ثم جنازير الحديد داخل الجامعة ، وخارجها فى مدينة أسيوط . . واعتدوا على أستاذ جامعى هناك ، لأن زوجته سوفيتية . . وأغلقوا محلا لبيع الخمور . . وتعرضوا لشرطى يسير مع ابنته . .

٥٥

وراء تنظيم «الجهاد» برز فكر دينى مختلف . .

وهو فكر يفرق بين مرحلتين من مراحل الدعوة . . مرحلة الاستضعاف : وفيها تكون الجماعات الاسلامية غير قادرة على المواجهة ، وعليها أن تنسحب حتى تكون مستعدة لمرحلة «الجهاد» وهى المرحلة الثانية ، التى تخرج فيها الجماعات من عزلتها وتسعى لفرض نفسها عن طريق الجهاد .

وصاحب هذا الفكر فى الأصل «أبو الأعلى المودودى» ، الذى دعا فى كتابه «المصطلحات الأربعة» لفكرة «الحاكمية» . . وهى فكرة تدعو إلى :

حاكمية الله فى مقابل حاكمية البشر .

ألوهية الله فى مقابل ألوهية الانسان .

ربانية الله فى مقابل العبودية لغيره .

وحدانية الله فى مقابل الاعتماد على أى مصدر آخر فى تسيير شئون الناس والمجتمع .

وهذا يعنى باختصار : «تكفير النظام القائم وتكفير الحاكم والخروج عليه وجواز قتاله وجواز الاستيلاء على أموال الدولة ومحاربة سلطاتها واعتبار الخدمة فى قواتها مكروها يجب تفاديه بل هى أيضا نوع من الكفر لأن الطاعة ليست واجبة إلا لإمام ولا يمكن أن تكون هناك طاعة لإمارة الكفر والسفه والجاهلية» .

أى . . أن هذا يعنى . . الثورة على النظام الذى تكون فيه الحاكمية للبشر ، لا لله !

وعلى هذا الأساس تصبح للدولة الإسلامية ثلاث خصائص : الحاكمية

الأولى : أنه ليس لفرد أو أسرة أو طبقة أو حزب أى نصيب من الحاكمية لأن الحاكم الحقيقى هو الله . والخاصية الثانية : أنه ليس لأحد من دون الله شيء من أمر التشريع . والخاصية الثالثة : أن الدولة الإسلامية لا يقوم بناؤها إلا على ذلك القانون الإلهى الذى جاء به النبى من عند الله مهما تغيرت الظروف والأحوال »[12]

«هذه هى حاكمية الله ، وأما حاكمية البشر فتتمثل فى ثلاثة نظم هى العلمانية والقومية والديمقراطية . فالعلمانية تعنى عزل الدين عن الحياة الاجتماعية للأفراد وقصره فقط على العلاقة بين الفرد وربه . وأما القومية فإنها تقوم على مصلحة شعب واحد بصرف النظر عن مصلحة بقية شعوب أمة الإسلام ، ومن ثم تنشأ الحروب بين القوميات . وأما الديمقراطية فإنها تعنى سيادة الأكثرية على الأقلية وهو تجسيد لحاكمية البشر »[13]

ويقول محمد حسنين هيكل :[14]

إن افكار «أبو الأعلى المودودى» وكتاباته ، وصلت إلى مصر فى ظروف ضغط شديد كانت تتعرض له بقايا جماعة الإخوان المسلمين ، فى الستينيات . . وكانت ظروفهم الصعبة فى ذلك الوقت مناخا صالحا لنشر هذه الأفكار . . وكان بين الذين أثرت فيهم هذه الدعوة فى سجون مصر الأستاذ «سيد قطب» . . ويبدو أن كتابات «أبو الأعلى المودودى» وصلت اليه بطريقة ما داخل أسوار السجن ، فتلقفها وهو مستعد للتفاعل معها والإضافة اليها . وفى تلك الفترة تبلورت فى ذهنه افكار كتابين : «فى ظلال القرآن» . . و «معالم فى الطريق» . .

وفى «معالم فى الطريق» كان المنهاج الذى رسمه «سيد قطب» بسيطا وواضحا :

١ - أن هناك تعارضا شديدا بين فكرتين وتصورين ومجتمعين ونظامين وحقيقتين : الإسلام والجاهلية ، الإيمان والكفر ، الحق والباطل ، الخير والشر ، حاكمية الله وحاكمية البشر ، الله والطاغوت - وأنه لا بقاء لطرف إلا بالقضاء على الطرف الآخر ، ولا سبيل إلى المصالحة أو الوساطة بينهما .

٢ - إن الإسلام هو الحق والخير والعدل ، وإن مجتمع الإيمان هو المجتمع

(١٢) هيكل - خريف الغضب - ص ٢٨٧ نقلا عن كتاب «منهاج الانقلاب الاسلامى» لأبى الأعلى المودودى .
(١٣) هيكل - المرجع السابق - ص ٢٨٨ .
(١٤) المرجع السابق .

الذى تكون فيه الحاكمية لله ، وإن نظام الدولة القائم هو الباطل والشر والظلم ، مجتمع الكفر حيث تكون الحاكمية للطاغوت . ولما كان الإيمان قولا لا عملا ، فإن الدولة الإسلامية تصبح مشروعا ممكنا على شرط أن تصبح الشهادة مطلبا وأمنية .

٣ - لا يمكن أن يحدث التغيير إلا عن طريق الانقلاب ، الانقلاب فى السلطة والقضاء على أئمة الكفر ووضع أئمة الإيمان محلهم .

٤ - إن هذه العملية تقوم بها الصفوة المؤمنة ، جيل قرآنى جديد مثل جيل الصحابة الأوائل ، قادر على قيادة مجتمع الإيمان ضد مجتمع الكفر فالأولوية للصفوة وليست للجماهير ، والصدارة للنخبة وليست للشعب .

٥ - إن هذه العملية عملية تحرر شامل واجبة وضرورية ، مفروضة فرضا عينيا على كل مسلم ومسلمة ، مسئولية فردية وجماعية ، دينية وأخلاقية لتحويل مجتمع الكفر والطاغوت الى مجتمع الإيمان والحرية ، وحتى تصبح «لا إله إلا الله» منهج حياة وتحرير للوجدان البشرى والتخلص من حكم الطاغوت » .

وقد دفع «سيد قطب» ومعه الإخوان المسلمين حياتهم ثمنا لهذه الأفكار التى حولوها إلى محاولة انقلاب شهيرة وقعت عام ١٩٦٥ .

ثم . . جاءت الهزيمة لتحيى الشعور الدينى ولتفتح نافذة تطل منها هذه الأفكار . .

ثم . . جاء الانفتاح والفساد والصلح مع اسرائيل . . وأصبحت بسببهم جيوش من الشباب على استعداد للحركة !

جاء سبتمبر ١٩٨١ . .

جاء «أيلول» الأسود «المصرى» ليجد كل القوى السياسية والوطنية والاجتماعية والدينية فى البلاد فى حالة خصومة مع السادات . . وفى حالة قطيعة مع نظامه . . فى حالة تمرد وغضب وغليان . .

ووصل الموقف المتأزم بينها وبين رئيس الجمهورية إلى نقطة اللاعودة . .

يا هم . . يا هو . . أو يا نحن . . يا هو . .

وأحس السادات بنفس الموقف . .

يا هو . . يا هم . . أو يا أنا . . يا هم . .

كان الموقف أقرب للتحدى . .

وقبل السادات التحدى . . وقرر أن يواجه أمة بأسرها . . معتمدا على قمع البوليس . . وزيف الإعلام . . وصرخة هيستيرية لابد أنها ترددت فى أعماقه مستفيدة من الخواء والفراغ : أنا مصر . . ومصر أنا » !

وفى ٣ سبتمبر كانت ساعة الصفر . .

انقضت قوات الأمن بعملية بوليسية كبيرة على حوالى ٣ آلاف شخص من كل التيارات . . والاتجاهات . . والأعمار . . يمين . . يسار . . ناصريين . . اخوان . . مسيحيين . . شباب . . طلبة . . أساتذة جامعات . . وأيضا نساء !

وكان من بينهم فؤاد سراج الدين (سكرتير حزب الوفد القديم ورئيس حزب الوفد الجديد) وفتحى رضوان (من شباب مصر الفتاة ، ثم وزير الإرشاد فى حكومة الثورة وهو محام وكاتب جرىء) وابراهيم طلعت (وفدى قديم ومحام بالاسكندرية) ومحمد فائق (وزير الإعلام الأسبق فى آخر أيام عبد الناصر) و د . حلمى مراد (أمين عام حزب العمل) وحامد زيدان (رئيس تحرير جريدة الشعب) . .

ومن حزب التجمع : د . فؤاد مرسى ، ود . اسماعيل صبرى عبد الله ، ود . جلال رجب . . وغيرهم . .

ومن أساتذة الجامعات : الدكاترة ميلاد حنا وعبد المحسن حمودة وكمال الإبراشى . . وغيرهم . .

ومن الشخصيات الدينية : الشيخ عبد الحميد كشك ، والشيخ المحلاوى ، وعمر التلمسانى . . وغيرهم . .

ومن القيادات النسائية : د . نوال السعداوى ، ود . لطيفة الزيات ، وفريدة النقاش . . وغيرهن . .

ومن الصحافيين : صلاح عيسى وحسين عبد الرازق وحمدين صباحى . وغيرهم . .

ووقع فى «انقضاضة» سبتمبر عدد كبير من شباب الجماعات الإسلامية . . ومن شباب الديانة المسيحية . .

وأعقب هذه الانقضاضة قرارات أخرى ، منها طرد بعض أساتذة الجامعات من كلياتهم . . وتحويل عدد من الصحافيين إلى أعمال ومصالح غير صحفية . . وخلع البابا شنودة وتحديد اقامته فى «وادى النطرون» . .

وقد وصفت الصحافة المصرية هذه الاجراءات بأنها «ثورة» . . وأطلقت عليها اسم : «ثورة سبتمبر» !

وبعد يومين ، فى ٥ سبتمبر ، قال السادات فى خطاب أمام مجلس الشعب :

ـ لقد فعلت ذلك لأن عناصر معينة تهدد وحدة وأمن البلاد !

ثم . . صرخ :

إننى لن أرحم بعد الآن !

وقد علق مصطفى أمين على هذه العبارة قائلا :

ـ لقد وقع السادات شهادة وفاته بيده !

ورغم كل هذه الاجراءات ، لم يكن وزير الداخلية النبوى اسماعيل يشعر بالاطمئنان . .

فعندما قال له مساعده «حسن أبو باشا» :

ـ أعتقد أننا نجحنا فى السيطرة على الموقف الآن !

رد عليه فى يأس :

ـ أبدا . . إن الموقف لا يبشر بخير !

كان النبوى إسماعيل يعتقد أن الموقف لن يتحسن إلا بعد أن يقبض على باقى المتشددين المسلمين من أعضاء الجماعات الدينية . . والذين قدر عددهم بحوالى ٧ آلاف شخص . .

وربما . .

لم يكن النبوى إسماعيل ليهدأ قبل أن يضع الشعب المصرى كله فى المعتقلات !

وكان على رأس المطلوبين الجدد فى القوائم الإضافية زعماء تنظيم الجهاد السرى .. خاصة : عبود الزمر .. وطارق الزمر .. وكرم زهدى .. وعاصم عبد الماجد .. وعبد السلام فرج ..

وقد أحس هؤلاء ان المعركة بينهم وبين السادات معركة مصيرية ..

معركة حياة أو موت !

وضاعف من هذا الاحساس ـ الإنتحارى ، ضربات الأمن الناجحة التى سددها رجال النبوى إلى أعضاء الجماعات الدينية فى المعادى ، ومصر الجديدة ، والزمالك ، وشبرا الخيمة ، ومصر القديمة ، ومقابر الغفير .. بخلاف ما جرى فى المحافظات والأقاليم ..

وضاعف من هذا الاحساس ، أيضا إقتراب أيدى رجال الأمن من رقبة الفارين الأخرين من هذه الجماعات والذين يعدون من أخطر أعضائها .. وقياداتها ..

ولم تجد القيادات الهاربة مفرا من المواجهة ..

لم تجد مفرا من الإنتحار ..

ورسمت خططها على ضرورة اغتيال السادات ..

فموته هو طوق النجاة الوحيد لهم .. ونهايته هى ميلادهم الجديد ..

لكن ..

ـ كيف ؟

كانت هذه الكلمة التى تنتهى بعلامة استفهام ضخمة .. لغزا من الصعب ، بل من المستحيل حله ..

فكل الخطط التى توصلوا اليها واتفقوا على تنفيذها فشلت قبل أن تبدأ .. وباقى الخطط التى فكروا فيها كان لا يمكن نجاحها ..

ولم يكن أمامهم مفر من الانتظار .. أو .. الاستسلام للقدر لعله يأتى برياح تحرك سفنهم نحو الهدف ..

وفعلا ..

جاءت الرياح بما تشتهى السفن ..

ولم تمر عدة أيام حتى كان القدر يرسل لهم من يعيد فتح **أبواب الأمل** الموصدة ، ويقدم موعد ليلة القدر ، لتأتى قبل عيد **«الأضحى» لا قبل عيد** «الفطر» .

لم تمر عدة أيام حتى ساق القدر لهم **الملازم أول خالد شوقى الاسلامبولى !**



خالد الاسلامبولي بملابسه العسكرية قبل تخرجه من الكلية الحربية

٣

لماذا قتلت السادات ؟

« يراعى عدم اشتراك خالد الاسلامبولي في العرض

من تقرير خاص
للمخابرات الحربية

خالد الاسلامبولى . .

هو أصغر أبناء «المحامى» أحمد شوقى الاسلامبولى الأربعة . .

ولقب «الاسلامبولى» هو لقب «تركى» . . مما يرجح أن الأسرة تمتد جذورها إلى أصول تركية . . وربما كان اللقب مجرد تشابه مع الأسماء التركية . . على أن من المؤكد أن والدته قدرية على يوسف من أصل تركى . . ولقبها هو «البرنس» . .

فى عام ١٩٥٢ . . عام ثورة ٢٣ يوليو ، تزوج أحمد شوقى الاسلامبولى من فتاة تصغره بخمس سنوات هى قدرية . . ورزق منها بأربعة أبناء . . اثنان من البنات . . واثنان من الذكور . . الابنة الكبرى اسمها «أنيسة» ، ولدت عام ١٩٥٣ ، وتخرجت فى المعهد التجارى بأسيوط ، وتزوجت من موظف فى وزارة الشئون الاجتماعية . . والابنة الصغرى «سمية» ، حصلت على بكالوريوس التربية من جامعة أسيوط ، وتزوجت من محاسب يعمل فى شركة «المقاولون العرب» . . والابن الأكبر «محمد» ولد عام ١٩٥٥ ، ودرس فى كلية التجارة - جامعة أسيوط أيضا . . والابن الأصغر «كان» خالد . . والاسم - على ما يبدو - كان على اسم «خالد» الابن الأكبر لجمال عبد الناصر ، الذى شاع استعماله بعد أن بدأ نجم عبد الناصر فى الإزدهار فى أعقاب حرب «السويس» - عام ١٩٥٦ . .

لسنوات طويلة انتهت عام ١٩٨١ ، كان الأب يعمل محاميا فى الإدارة القانونية بشركة السكر والتقطير المصرية بنجع حمادى . . فى أقصى الصعيد . . ثم أصبح رئيسا لهذه الإدارة .

وفى شبابه انضم الأب إلى جماعة «الاخوان المسلمين» . . لكنه أوقف نشاطه

قليلا ، عقب حادث «المنشية» فى اكتوبر ١٩٥٤ ، الذى اتهم فيه الإخوان باطلاق الرصاص على الرئيس جمال عبد الناصر . . والذى ترتب عليه حل الجماعة حلا نهائيا . .

والغريب أنه مارس النشاط السياسى العام - بعد حل الاخوان - من خلال «الاتحاد القومى» ، ثم من خلال «الاتحاد الاشتراكى» . . كان ذلك عام ١٩٥٩ . . وفى عام ١٩٦٧ توقف هذا النشاط . .

ويقول «الأب» عن تلك الفترة :(١)

- نعم عملت بالسياسة من خلال تنظيمات الثورة . . لكننى كنت أتخذ من العمل السياسى «الرسمى» ستارا ، أستطيع من خلفه الاتصال والاختلاط بالأخوة فى الله !!

ويقول :

- لم يكن لى هدف سياسى بحت . . أبدا . . وإنما كان هدفى هو ربط الأخوة فى الله معا . . ولقد كان النظام الحاكم يرغمنا على أن نتواصل كأخوة فى الإسلام من خلال أشكال يرضى عنها . . وكانت مهمتى هى انشاء وتكوين روابط مهنية ، مثل رابطة الحلاقين . . ورابطة صانعى الأحذية . . ورابطة الترزية . . ولكن . . حينما قررنا محاربة النظام ، استقلت ، وتركت عملى فى الروابط إلى يومنا هذا . . تركته فى عام ١٩٦٧ ، وكان خالد صغيرا فى السن ، لذا لم ينعكس ما مارسته من عمل فى هذا الاتجاه على تربية أولادى . . حيث كانوا صغارا كما قلت . . وقد ربيتهم - على كل حال - تربية دينية . . وفوق هذا ليس فى مصر - من الأصل - سياسة كى أعلمها لهم . . فقط كان بالإمكان تعليمهم التوحيد . . وأن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله» . .

ويبدو أن الأب قد صدم ، كما صدم الكثيرون ، بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ . . فذلك التاريخ هو تاريخ توقف نشاطه داخل الاتحاد الاشتراكى . .

ويبدو أنه مثل غيره ممن أعلنوا يأسهم من الاصلاح بعيدا عن طريق الله . .

ولابد أن أفكار الأب «الجديدة» قد أثرت فى أولاده . خاصة «محمد» الذى انضم إلى احدى الجماعات الاسلامية فى أسيوط بمجرد دخوله كلية التجارة

(١) جريدة «الأنباء» الكويتية - ١٥ سبتمبر ١٩٨٤ .

فيها . . وصرف الكثير من وقته وجهده فى خدمتها . . وأصبح على علاقة حميمة بقادتها مثل كرم زهدى ، وعاصم عبد الماجد ، ومحمد عبد السلام فرج . .(٢)

وقد كان متوقعا أن يسلك خالد نفس الطريق . . وينضم إلى احدى الجماعات الدينية مثل شقيقه . . لكن . . هذا لم يحدث لأنه كان مفتونا بالحياة العسكرية . . ومعجبا يسلك الضباط . . وكان احساسه بضخامة جسمه وقوة عضلاته وراء ذلك الإحساس . . وربما كان زوج خالته الذى وصل إلى رتبة «اللواء» وراء هذا الإحساس أيضا !(٣)

٥ ٥

ولد خالد الاسلامبولى فى نوفمبر ١٩٥٧ . . قبل ٢٠ سنة بالضبط من زيارة السادات للقدس . . فى مدينة ملوى . . احدى مدن محافظة المنيا . . بصعيد مصر الأوسط . .

كانت أول مدرسة دخلها مدرسة «نوتردام» بملوى . . وهى من المدارس التبشيرية التى غزت بها البعثات الدينية المسيحية القادمة من أوروبا الغربية مصر . .

ثم . . التحق بعدها بمدرسة أنشأتها شركة السكر بنجع حمادى . . ودخل مدرسة «العروبة» الثانوية هناك . . وهى مدرسة كانت فى الأصل مملوكة لاحدى البعثات التبشيرية الأمريكية . . وحصل على الثانوية العامة من مدرسة «الامريكان» فى أسيوط .

وهذا كله يعنى . . .

أن خالد من الجيل الذى ولد بعد الثورة ، فى سنوات التفوق والازدهار ، فبينما هو يحبو ، كانت الثورة تمصر البنوك والشركات الأجنبية . . وعندما دخل المدرسة الابتدائية كانت الثورة تتكلم فى الاشتراكية والعدالة الاجتماعية . . لكنه . . عندما بلغ العاشرة من عمره ، كانت مصر تعيش أسود أيام تاريخها . . يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ . . وفى ذلك الوقت قال خالد لأبيه : «لاتحزن . . فعندما أكبر

(٢) محمد الاسلامبولى هو الذى عرف شقيقه خالد بمحمد عبد السلام فرج .
(٣) فى «خريف الغضب» يقول هيكل إن خالد كان عضوا فى إحدى الجماعات الدينية وهذا غير صحيح .

سأدخل كلية الطيران وأركب طائرة ، وأتوجه بها لقتل الإسرائيليين» . . وأضاف وهو ينظر لأمه : «ولكن لا تحزنى يا أمى عندما أموت» . . وفيما بعد . . ذكرت أمه والده ـ بعد أن تخرج فى الكلية الحربية ـ بما قاله خالد فى تلك الأيام . . فقال والده : خليها على الله . . «حتى لو حدث ذلك فانه سيكون شهيداء . .

إننا لا نعرف ما اذا كان خالد قد أدرك أبعاد هزيمة يونيو أم لا . . ولا نعرف هل استطاع بعد ذلك أن يفسر أسبابها أم لا . . ولا نعرف هل عرف سر هجوم والده المفاجىء ـ بعدها ـ على عبد الناصر أم لا ؟ . . ولكن من المؤكد أنه ـ أى خالد الإسلامبولى ـ من ذلك الجيل الذى كبر ليجد كل من حوله يجلد نفسه بسياط المرارة واليأس . . ويشعر بالظمأ من شدة حرارة الحمى التى أصابته . . ويحاول أن يجد البرد والسلام فى المساجد ومسابح الصوفية . . ويؤمن بأن الحل الاسلامى هو الحل الوحيد الذى لم نجربه للخلاص مما نحن فيه . .

o o

يقول والده :

ـ إن خالد وهو صغير لم يكن طبيعيا . . فرغم أنه أصغر من أخيه محمد بحوالى ثلاث سنوات ، إلا أنه كان يبدو ـ لضخامة جسمه ـ أنه هو الأكبر . .

«وفى طفولته فقد خالد النطق ، ولم يتكلم إلا فى السنة الثالثة من عمره»[4]

ويقول والده :

ـ إن خالد كان جريئا . . قويا . . عنيدا . . ينفذ ما عزم عليه دون تردد !

« وأذكر أنه وهو فى الثامنة من عمره أحرجنى ، عندما طلبت منه أن يرد على التليفون وأن يقول للمتحدث : إن أنا «مش موجود» . . فقال : عايزنى أكذب يابابا ؟ »

فى الثانوية العامة ، حصل خالد الاسلامبولى على مجموع لم يزد على ٥٦٪ . . ولم يستطع لضعف مجموعه أن يحقق حلمه الأول ويدخل كلية الشرطة ويصبح

(٤) جريدة «الأحرار» ـ ٨/٣/١٩٨٢ .

ضابط بوليس . . ولم يستطع لفشله فى إختبارات القبول بالكلية الجوية أن يحقق حلمه الثانى ويصبح طيارا . . لكنه حقق حلمه الثالث ، ودخل الكلية الحربية ، وتخرج منها ضابط جيش . . فى دفعة عام ١٩٧٨/٧٧ .

ولأنه تخرج فى الكلية الحربية بامتياز ، أختير للخدمة فى سلاح «المدفعية» . . وتوجه فى نفس اليوم ـ بمهماته ـ إلى معسكر اللواء ٣٣٣ الذى يقع فى منطقة «هاكستيب» . . وهى المنطقة القريبة من القاهرة ، التى أطلق عليها اسم الجنرال الأمريكى هاكستيب ، الذى اختارها لإقامة معسكر قواته إبان الحرب العالمية الثانية » .

انتقل خالد من الصعيد إلى القاهرة ، وابتعد عن والده ووالدته . . وإن كان قد أصبح قريبا من شقيقتيه اللتين تقيمان فى القاهرة . .

وفى عطلة نهاية الأسبوع العسكرية (من بعد ظهر الخميس حتى صباح السبت) كان خالد يزور شقيقتيه . . وفى بيتهما كان يغسل ملابسه بنفسه ، ويجهز بيديه كل ما يحتاج إليه قبل عودته إلى الثكنات .

o o

وبعد تخرجه فى الكلية الحربية ، عاش خالد الاسلامبولى حياته مثل أى شاب عادى . .

وهذا ما اعترف به خالد بنفسه فى التحقيق الذى أجرى معه بعد اغتيال السادات . . يوم ١١ اكتوبر ١٩٨١[5]

س : كيف كنت قبل أن تهتدى إلى معتقداتك ؟

جـ : **كنت شابا عاديا !**

ولم يقل خالد الاسلامبولى ماذا يقصد بهذه العبارة !

فقد قالها مقتضبة ، على عكس العبارات الأخرى التى شرح فيها ـ بالتفصيل سر هدايته إلى الطريق المستقيم . .

(٥) تحقيقات النيابة العسكرية مع خالد الاسلامبولى ـ وفيما بعد فسر خالد قوله انه كان شابا عاديا ، بانه «ك... يكره التزمت فى الدين وتكفير المسلمين ، والبحث عن زوجة بعد حل أزمة السكن» .

س : ما انتهاء أخيك محمد الذى قبض عليه ضمن من قبض عليهم (فى اعتقالات سبتمبر)؟

جـ : لا أعرف !

س : هل كان يشير عليك بقراءة كتب معينة ؟

جـ : نعم .

س : ماهى ؟

جـ : كتب ابن تيمية وهى **«الفتاوى» و «الجهاد للمسلمين» . . وكتاب «الجهاد فى سبيل الله» لأبى الأعلى المودودى و «نيل الأوطار» للشوكانى .**

والذى لم يقله خالد الاسلامبولى فى التحقيق ، هو أن أخيه محمد كان يلقنه فكر الجماعات الدينية التى ينتمى إليها . . وأنه هو الذى بث فيه فكرة «الحاكمية لله» . .

وهو الذى قال له :

«إن المسلمين ارتدوا عن الاسلام لأنهم ينطقون بشهادة لا يعرفون معناها ولا يعملون بمضمونها ، ومهما صلوا ، ومهما صاموا وحجوا وزعموا أنهم مسلمون فلن يغير ذلك من كفرهم شيئا » . .

وهو الذى قال له :

«إن المجتمع الذى تعيش فيه مجتمع جاهلى . . كافر . . لأن الناس فيه أخذوا فى أمورهم بأحكام غير مستمدة من شريعة الإسلام ، وهذه مزاحمة لله فى التشريع الذى هو صفة من صفاته والمظهر الأساسى لحاكميته » .

وهو الذى قال له :

«إن الجاهلية ليست حالة دينية وإنما حالة اجتماعية . . ومن لم يكفر كافرا فهو كافر . . والتعامل المباشر مع الاسلام لابد أن يكون مع القرآن فقط . . وعلى ذلك : الانتخابات حرام لأن ليس فى القرآن انتخابات . . والبرلمان كذلك لأن ليس فى القرآن برلمان . . . الخ . . والمساجد القائمة«معابد للجاهلية»[٦] لأن

(٦) فى عرف الجماعات الدينية ، المساجد ثلاثة أنواع : «المساجد الضرار» وهى التى بنيت لأغراض دنيوية ، و «المساجد المجهولة» وهى التى لا يعرف أحد من بناها ، و «مساجد التقوى» وهى مساجد الأحياء الفقيرة ، وقد قاطعت الجماعات الصلاة فى النوع الأول ، وتحمست للنوع الأخير ، وأطلقت بعض الرية على النوع الأوسط .

الذين يصلون فيها ارتدوا عن الإسلام والصلاة معهم شهادة لهم بالايمان مع أنهم كفرة » .

س : متى اهتديت إلى معتقداتك ؟[٧]

جـ : منذ سنة ونصف تقريبا !

س : وما هى الظروف التى غيرت مسارك الفكرى ؟

جـ : الاستماع إلى الأخوة ، وربنا سبحانه وتعالى يرعى الطريق .

س : أى أخوة ؟

جـ : فى مسجد فى نجع حمادى فى شركة السكر التى يعمل فيها والدى .

س : هل سبق استدعاؤك لادارة المخابرات الحربية ؟

جـ : نعم .

س : متى ؟ ولماذا ؟

جـ : منذ سنة ونصف تقريبا ، وكان سبب استدعائى هو معرفة نشاطى الدينى .

س : وماذا قالوا لك ؟

جـ : نبهوا على بالابتعاد عن مساجد معينة وبعض أشخاص معينين والبعد عن التزمت .

س : وما المساجد التى أمروك بالابتعاد عنها ؟

جـ : المساجد التى يتردد عليها عبد الله السماوى (أحد أمراء الجماعات الاسلامية) مثل مسجد «أنصار السنة» فى مصر الجديدة .

٥٥

فى شهر أكتوبر سنة ١٩٨٠ استدعى خالد الاسلامبولى إلى المخابرات الحربية . .

دخل غرفة بسيطة الأثاث ، لا تضم سوى منضدة ومقعدين فقط . .[٨]

وفى هذه الغرفة جرى التحقيق معه ، بمعرفة ضابط من ضباط المخابرات الحربية ، يدعى المقدم «مجدى» . .

(٧) تحقيقات النيابة العسكرية مع خالد الاسلامبولى .
(٨) كتاب «يوم أن قتل السادات» .

س : اسمك ؟
جـ : **الملازم أول خالد أحمد شوقى الاسلامبولى .**
س : سنك ؟
جـ : **٢٣ سنة**
س : وظيفتك .
جـ : **قائد سرية مدفعية باللواء ٣٣٣ مدفعية .**
س : وحدتك ؟
جـ : **معسكر هاكستب .**
س : هل تقاعست يوما عن تنفيذ أمر أو مهمة أوكلت اليك ؟
جـ : **لا يافندم .**
س : هل لك أصدقاء ؟
جـ : **نعم .**
س : من داخل الوحدة ؟
جـ : **نعم .**
س : ومن خارجها ؟
جـ : **نعم .**
س : اذكر لى بعض أسمائهم ؟

هنا أحس خالد الاسلامبولى بصعوبة المأزق الذى وقع فيه .. فذكر الأسماء سيؤدى بأصدقائه وزملاء أخيه إلى كارثة ولا شك ..

حاول خالد أن يبدو متماسكا ..

وحاول أن يشعر المحقق أن الأمر ليس فيه ما يدعو للريبة .. فذكر بعض الأسماء التى أدرك أنها ليست على درجة تذكر من الأهمية ..
وقبل أن ينجو خالد الاسلامبولى من المطب الأول ، وجد نفسه يقع فى المطب الثانى ..

س : هل تعرف عبد الله السماوى ؟
جـ : **لا !**

كان خالد يكذب هذه المرة ..

فهو يعرف عبد الله السماوى .. ويعرف أنه زعيم من زعماء جماعة «التكفير والهجرة» .. ويعرف أن عددا كبيرا من أنصاره يصلون فى المسجد الذى يصلى فيه .. لكنه أحس أنه إذا قال إنه يعرفه فسيوقع بنفسه فى التهلكة .. ولو قال «نعم» فإن هذه الكلمة قد تجرده من رتبه ومستقبله ..

وجاء المطب الثالث ..

س : هل سبق أن ترددت على مسجد أنصار السنة المحمدية ؟

كان خالد يعرف جيدا أن هذا المسجد الذى يقع فى حى مصر الجديدة (الحى الذى يعيش فيه) من المساجد التى يلتقى فيها أعضاء الجماعات الاسلامية ..

وأدرك من السؤال أن أجهزة الأمن لابد أن تكون على علم بذلك .. ولابد أنها وهى تراقب المسجد قد رصدته .. لذلك لم يجد داعيا للكذب هذه المرة ..

وقال :
جـ : **نعم !**
س : لماذا ؟
جـ : **للصلاة وعبادة الله سبحانه وتعالى .**

وجاء المطب الأخير ..

س : هل التقيت هناك بواحد من أعضاء الجماعات الاسلامية ؟

رد خالد بذكاء ولباقة :
جـ : **ربما قابلت بعضهم بالصدفة .. لا أدرى .. فهم لم يقدموا لى أنفسهم على أنهم أعضاء فى الجماعات الإسلامية !**
س : فى أى شىء تحدثتم ؟
جـ : **فى أمور الدين .**
س : فقط ؟
جـ : **فقط !**

ويبدو أن خالد أدرك بسهولة أن المحقق لا يضع تحت يده أى دليل اتهام ضده .. وأن هذا الاستجواب لا يعدو أن يكون استكمالا لبعض التحريات عنه ..

وقبل أن يقفل المقدم «مجدى» التحقيق ، نصح خالد بعدم التردد على مسجد أنصار السنة المحمدية .. ونصحه بأن لا يجره الآخرون فى أعمال قد يندم عليها .. ونصحه أن يتفرغ لمستقبله العسكرى فى الجيش ..

قدم خالد للضابط الكبير التحية ، ثم انصرف ..

وبعد أن انصرف خالد ، كتب المقدم «مجدى» فى ذيل التحقيق قراره بعدم اشتراك خالد الاسلامبولى فى العرض العسكرى . . وكان معنى ذلك أنه أحس بخطورته . . وبخطورة اتصاله بالجماعات الدينية . .

ولم نعرف . . هل أبلغت تأشيرة المقدم «مجدى» إلى جهات الأمن المختصة بالعرض العسكرى أم لا ؟ . وهل أبلغت إلى وحدته أم حفظت فى الملفات ؟

٥٥

عمل خالد بنصائح ضابط المخابرات الحربية بعض الوقت . .

ولكنه . .

سرعان ما تخلص منها . .

وعاد للاتصال ببعض أعضاء هذه الجماعات . .

وكان من بينهم المهندس ـ الكهربائى «عبد السلام فرج» . . زعيم تنظيم «الجهاد» . .

كان اللقاء الأول بينهما فى ابريل ١٩٨١ . . فى مسجد «الاخوان» ببولاق الدكرور . .

أما سبب اللقاء فله اكثر من تفسير . . وأكثر من قصة . .

يقول محمد حسنين هيكل :

«كان خالد يتجول فى بعض الأحياء بحثا عن شقة خالية لأنه كان يفكر فى الزواج . ومن كل ما هو متاح من معلومات حتى الآن فان خالد لم يكن فى ذهنه فتاة معينة يريد أن يتقدم للزواج منها لكنه كان يبحث عن شقة باعتبار أنه سوف يكمل نصف دينه فى وقت من الأوقات . وكانت الشقق فى مصر الجديدة ـ قرب مسكن أخته وقرب المعسكر الذى يعمل ضمن قواته ـ خارج نطاق قدرته المالية ، وهكذا فقد راح يبحث فى أحياء شعبية بعيدة . وقصد ذات يوم إلى حى بولاق الدكرور ، فقد قيل له ان هناك مساكن كثيرة تبنى فى هذا الحى ، ومن المحتمل أن يستطيع الحصول على واحد منها بسعر يتحمله . وأحس خالد أثناء تجواله فى حى بولاق الدكرور بالتعب ، وحان موعد الصلاة فدخل إلى أحد المساجد ليصلى ويستريح . وهناك وجد عبد السلام فرج يتوسط حلقة من الشباب راح يناقش معهم بعض أفكاره . وتأثر خالد الاسلامبولى بما كان يسمع وانضم إلى الحلقة ، وبعدها بقى مع فرج لبضع دقائق سأله فيها إذا كان يستطيع أن يدله على عمارة فى المنطقة يجد فيها شقة خالية . ويحتمل أن يكون عبد السلام فرج ـ الذى عرف بأن محدثه الجديد ضابط فى الجيش ـ قد وجد فيه عنصرا صالحا ، وهكذا فإن عملية البحث عن شقة خالية كانت وسيلة تعززت بها معرفة الاثنين ، ثم صداقتهما ، الأمر الذى جعل فرج يعطى لخالد نسخة من «الفريضة الغائبة» كما أعطاه بعض كتابات ابن تيمية وابن كثير ، وعدد آخر من الفقهاء الذين أثروا فى الفكر الأصولى الاسلامى »[٩]

هذا هو التفسير الأول . .

والرواية الأولى لمعرفة خالد الاسلامبولى بمحمد عبد السلام فرج . .

وهى ـ كما نرى ـ رواية تقوم على «الصدفة» . . ويصعب تصديقها ـ بسهولة ـ على هذا النحو . . وخاصة ان ثقة محمد عبد السلام فى خالد الاسلامبولى وصلت إلى حد الاتفاق على اغتيال رئيس الجمهورية ، وهى ثقة لا يمكن أن تولد فى لقاء عابر فى مسجد بعد الصلاة . . كما أن الحذر الذى كانت تفرضه الجماعات الدينية على أعضائها يتنافى مع سهولة التعارف ـ كما يشير هيكل ـ بين فرج وخالد . .

وهذه التحفظات على رواية «هيكل» تجعلنا أميل إلى تصديق الرواية الثانية . .

تقول هذه الرواية :

ـ إن السيدة «قدرية» والدة «خالد» جاءت إلى زيارة ابنها فى القاهرة ، وحملت معها نبأ اختيار عروس له بمعرفة أبيه . . واعترض خالد على هذا الزواج بسبب صعوبة الحصول على شقة . . فعادت الأم إلى الصعيد وهى حزينة على ابنها . . وعندما روت الأم سر رفض خالد الزواج ، تطوع أخوه «محمد» بارسال خطاب له ، يقنعه فيه بأهمية الزواج بالنسبة للشاب المسلم ، ويطلب منه اللجوء إلى صديقه عبد السلام لمساعدته فى العثور على شقة ، لأنه «رجل طيب ويحب مساعدة اخوانه . . وقال له : تستطيع مقابلته بعد صلاة الجمعة فى مسجد «الاخوان» فى بولاق الدكرور .

(٩) هيكل : «خريف الغضب» ـ ص ٥٠٦ ـ الطبعة السابعة .

وذهب خالد ـ عملا بنصيحة شقيقه ـ إلى عبد السلام فرج . .

التقيا . . تعارفا . . اشتدت أواصر العلاقة بينهما . . وأصبحا صديقين . .

هذه هى الرواية الثانية . .

وهى رواية تبدو مقنعة تماما . . وخاصة أن شقيق خالد : «محمد» كان عضوا فى احدى الجماعات الدينية ، وعلى علاقة بكل أمرائها وزعمائها . . وخاصة أن عبد السلام لم يكن ليفتح يديه لأى عابر سبيل مالم يكن يثق فيه مقدما .

○ ○

كان اللقاء الأول بين خالد وفرج هو أول خطوة فى مشوار القدر الذى انتهى باغتيال السادات . .

كان ذلك اللقاء لقاء قدريا . .

ومصيريا . .

وفى تحقيقات ما بعد الاغتيال ، سئل خالد الاسلامبولى عن عبد السلام فرج : (١٠)

فقال :

ـ هو فقيه .

س : أوضح ؟

جـ : عنده علم بالأمور الدينية . . ربنا فتح عليه ، ويعتبر عالم . . وأكثر من ذلك أستريح له .

س : وكيف عرفت أنه عالم ؟

جـ : من جلساتى معه ، والاستشارة فى الأمور الدينية ، وهو يخطب الجمعة ، ويلقى الدروس فى مسجد صغير ، أهلى ، بجوار منزله .

س : هل كان يتولى تعليمك العلوم الشرعية ؟

جـ : لا !

(١٠) تحقيقات النيابة العسكرية .



لم يجد فى البيت سوى أمه واحدى شقيقاته البنات ، وكانتا تذرفان الدموع بحرقة ، وفى حالة أشبه بالانهيار . .

قالت الأم :

ـ إن البوليس اقتحم البيت فى منتصف الليل ، وأخذوا محمد منه ، دون «إحم ولا دستور» ، ودون أن يسمحوا له بطعام أو بشراب أو بثياب ! ورغم توسلات الأم ، وحدة الأب ، ورغم أن محمد كان سيقدم «الشبكة» لعروسه بعد ساعات !

وتولى الجيران شرح باقى التفاصيل . . وكان أهم هذه التفاصيل أن رجال الأمن قبضوا على محمد وهو نائم فى فراشه !

وبكى خالد وهو يسمع رواية أمه . .

وسألها :

ـ وأين أبى ؟

فقالت :

ـ لا أعرف . . لقد خرج يحاول أن يعرف أين ذهبوا بمحمد ؟

كان خالد يعرف أن أخاه تحت مراقبة البوليس ، بعد أن تصادف وجوده فى مكة وقت الهجوم الذى قادته إحدى الفرق الدينية بقيادة «جهيمان العتيبى» على الحرم الشريف . . وبعد أن اتهم بتمزيق احدى صور الرئيس السادات المعلقة فى محطة السكة الحديد . .[12]

وسكت خالد قليلا . .

ثم . .

قال لأمه :

ـ اصبرى يا أمى . . فلكل ظالم نهاية ![13]

وأقسم أنه لن يرتاح ، ولن يهدأ له بال قبل أن ينتقم من الحكام الكفرة .

(١٢) كانت حادثة احتلال الحرم الشريف فى ديسمبر ١٩٧٩ ، وفيها بعد وجدت فى حوزة خالد نسخة من كتاب العتيبى «الرسائل السبع» والمرجح أن محمد قد أعطاها لخالد فور عودته من مكة .

(١٣) روت هذه الواقعة أم خالد الاسلامبولى لجريدة «الأحرار» ـ ٨ مارس ١٩٨٢ .

وأغلب الظن أن خالد قال هذا الكلام فى لحظة غضب . . فلا هو كان يعرف كيف سينتقم ، ولا كان يعرف كيف يمكن القضاء على «الحكام الكفرة» !

وهذا التفسير يرد على كل محاولات «التقديس» التى سعى البعض إلى إضفائها على خالد الاسلامبولى . . حتى أنهم قالوا :

ـ إن والده قد نذره ، كما نذر عبد المطلب جد الرسول صلى الله عليه وسلم ابنه عبد الله فداء للكعبة !

وقد رد والد خالد على ذلك بلا تردد قائلا :[14]

ـ حاشا لله . . حاشا لله !

ثم قال بعد أن استعاد هدوءه :

ـ ما أبعد الشقة ، وما أجحف التشبيه ، وما أكثر ما يشاع على اطلاقه دون خوف من الله . . إنها مجرد شائعات لا يحتملها عقل صبى مسلم ، فما البال ورجاحة عقل الكبار . . إننا لا نملك من أمرنا شيئا . . وإنا لله وإنا اليه راجعون . . وإنا لا نملك من أنفسنا أى شىء ، وإنا لله وما نملك . . فكيف ننذر مالا نملك . . وأنا وأولادى ملك لله . . إن من يشيع هذا فهو يهزل وما أسخفه من هزل غير مصيب .

وقيل ـ من ضمن ما قيل عن خالد الاسلامبولى لتقديسه ـ إن أحد أصحاب والده تنبأ له بأنه سيكون حديث الناس . . ومحط أبصارهم . .

وعندما سمع الأب هذا الكلام قال :

ـ كم من النبوءات تحققت ، وكم منها طاشت . . وليس معنى تحقق احداها ، صدق المتنبىء . فغاية الأمر أن الله حينما يريد أمرا يحدث . . يقول كن فيكون . . ولهذا تدحض كل النبوءات ، ويطيش الرجم بالغيب وإدعاء المعرفة . . باختصار كذب المنجمون ولو صدقوا . .

ويضيف :

فقط يمكننى أن أقول فيما يخص معرفتى بابنى خالد ـ إنه كان خالص

(١٤) جريدة «الأنباء» ـ المصدر السابق .

النوايا . . هادىء الطباع . . حسن الخلق ، والبنوة . . وكانت أمارات النباهة تطل على كل تصرفاته ، فحسبته أخى وصديقى فى الصغر والكبر معا . .

وهكذا . . كل اخوته ، أعاملهم منذ الصغر كأصدقاء !!

٥ ٥

فى يوم ٣سبتمبر ، كتب خالد فى دفتر مذكراته الذى كان يحتفظ به ويسجل عليه ما يعجبه من أقوال مأثورة :

«الغنيمة الكبرى لأى مؤمن وخلاصه هى أن يَقْتل أويُقتل فى سبيل الله»[١٥]

ولكن . .

هل هذه العبارة التى كتبها يوم عرف بخبر اعتقال شقيقه كانت تعنى أنه فكر ـ فعلا ـ فى اغتيال أنور السادات ؟

بمعنى آخر :

هل كان اعتقال شقيقه هو الدافع للاغتيال ؟
هل كان قتله للسادات نوعا من الثأر لاعتقال شقيقه ؟

الإجابة القاطعة على هذه التساؤلات ، والتساؤلات المشابهة لها ، هى :

ـ لا !

فحتى ذلك التاريخ لم يكن خالد يعرف أنه سيشترك فى العرض العسكرى . . وليس من المعقول أن يتحمس غيره للإغتيال لمجرد الانتقام الشخصى لخالد . . ثم . . إن اعتقال أخيه لم يكن أمرا جديدا ، فقد سبق أن وضع تحت أنياب البوليس من قبل . .

إذن . .

لماذا فكر خالد الاسلامبولى فى قتل أنور السادات ؟
سؤال مهم جدا . .

(١٥) هيكل ـ المرجع السابق ـ ص ٢ • ٥ .

ر ـ أجاب عليه خالد بنفسه فى تحقيقات النيابة العسكرية ، **وأمام المحكمة** ، وقال :

ـ إن هناك ثلاثة أسباب دفعتنى إلى ذلك العمل . . **السبب الأول هو** «أن القوانين التى يجرى بها الحكم فى البلاد لا تتفق مع **تعاليم الاسلام وشرائعه** ، وبالتالى فإن المسلمين كانوا يعانون كافة المشقات» .

ويبدو هذا السبب أقرب للأفكار التى زرعها فيه عبد السلام فرج . .

ويضيف خالد :

ـ والسبب الثانى هو أن «السادات أجرى صلحا مع اليهود» . .

ويبدو هذا السبب أقرب لأفكار المتدينين المسلمين الذين يعتبرون **اليهود أعداء** الله والإسلام .

ويضيف خالد :

ـ أما السبب الثالث فهو «اعتقال علماء المسلمين **واضطهادهم وإهانتهم» !**

وكان خالد يشير ـ وهو يذكر هذا السبب ـ إلى العبارة التى **قالها السادات فى** خطابه يوم ٥ سبتمبر عن الشيخ المحلاوى : «**أهو مرمى زى الكلب فى** السجن» .

ويقول هيكل :

«وإذا ترجمت هذه الأسباب من لغة الرمز الدينى إلى **لغة حياة كل يوم : فإن** السبب الأول يصبح هو تردى الأحوال الاقتصادية **والاجتماعية فى البلاد** . والسبب الثانى يصبح اتفاقيات كامب ديفيد . **والسبب الثالث يصبح حملة** الاعتقالات الارهابية الواسعة التى قام بها النظام فى ذلك الوقت» .

وقال لى المحامى شوقى خالد (محامى المتهم الثانى **فى قضية الاغتيال** ـ عبد الحميد) :

ـ إن هناك سببا رابعا إستفز خالد الاسلامبولى ، **وهو أنه سمع السادات** يقول : إن المحامين معلقين عبارات بذيئة ، فذهب خالد **إلى مبنى النقابة ليجد** لافتة تقول : «لانركع الا لله» !

فيما بعد . .

وهو فى السجن الحربى ، أخذ خالد الاسلامبولى راحته ، وهو يعدد الأسباب التى جعلته يفكر فى اغتيال السادات ، حتى أنه قفزبعدد هذه الأسباب من ٣ أو ٤ إلى ١٠ أسباب . .

وهى :

١ ـ الحكم بغير كتاب الله . .

٢ ـ اتفاقية كامب ديفيد وتعارضها مع الاسلام والاتفاقيات التى تهدف إلى القضاء على الاسلام .

٣ ـ الاستهزاء بالمسلمين ووضعهم فى السجون وتأليب الفكر الشعبى ضدهم .

٤ ـ سب العلماء الكبار ووضعهم فى السجون .

٥ ـ الاستهزاء بكتاب الله وآياته مثال (الاستهزاء باللباس الاسلامى للمؤمنات . . . الخ) .

٦ ـ الظلم الموجود داخل البلاد والجور .

٧ ـ الفساد الخلقى والاقتصادى والاجتماعى بالبلاد .

٨ ـ الأمر بالمنكر والنهى عن المعروف مثال بسيط (الخمور ـ وبعض ما يقال فى الاذاعة . . الخ) .

٩ ـ فصل الدين عن السياسة والسياسة عن الدين .

١٠ ـ كفره البواح بالتصريح بعدم تطبيق الإسلام فى مصر والتسفيه بالحكم بالإسلام فى آخر خطاب له .

وفيما بعد أيضا ، أضاف خالد لهذه الأسباب أسبابا أخرى . .

منها :

- دعوة السادات إلى بناء مجمع الأديان .
- إظهار الحب للأشخاص المعروفين بعدائهم للإسلام .
- تشجيع نوادى الروتاري والليونز فى مصر هو وزوجته .
- محاولة عزل مصر عن أصلها الإسلامى واعطاؤها طابع الفرعونية .

إن كل الأسباب التى كانت فى ذهن الإسلامبولى قبل أن يغتال السادات ، والتى فتش عنها بعد اغتياله ، كلها تدور حول معنى واحد هو : أن السادات خرج عن الشرع !

ترك خالد الصعيد يوم ٤ سبتمبر . .

وعاد ـ مع أمه ـ إلى القاهرة . .

ذهب بأمه إلى بيت شقيقته ، حتى تكون قريبة من ليمان طره ، الذى أودع فيه ابنها محمد ، وذهب إلى وحدته وهو فى حالة غيظ مشوبة بالاكتئاب . .

وفى اليوم التالى . .

يوم ٥ سبتمبر . .

كان يستمع إلى خطاب السادات الشهير . .

وكان يفكر فى إجابة سؤال صعب ، تسلل اليه ، وراح يطارد ذهنه ، ويؤرقه . .

كان هذا السؤال هو :

ـ كيف يتخلص من السادات ؟



٤

البحث عن « الزعيم » ؟

« لتكن مشيئة الله .. لتكن مشيئة الله »

خالد الاسلامبولي
لحظة ميلاد الفكرة

كان من غير المتوقع أن يشترك خالد الاسلامبولى فى العرض العسكرى . .

فتقرير المخابرات الحربية أعفاه من هذه المأمورية . .

وهو قد سبق له الاشتراك فى العرض من قبل وليس فى تكرار اشتراكه فيه ما يثيره . .

ثم . . إن حالته النفسية كانت فى القاع بسبب اعتقال أخيه ، وبكاء أمه ، وحزن أبيه . .

والمثير للدهشة . .

أنه كان قد حدد إجازته السنوية وإجازة عيد الأضحى ، ابتداء من يوم ٢٥ سبتمبر ، إلى ما بعد العرض . . وقرر أن يقضيها فى ملوى . . وحجز بالفعل تذكرة السفر . .

لكن . .

فى الساعة العاشرة والربع من صباح يوم «الأربعاء» ٢٣ سبتمبر استدعاه قائده المباشر . . قائد وحدته ، الرائد «مكرم عبد العال» ، واعتذر له عن عدم الموافقة على الإجازة . .

وقال له :[1]

ـ أنا آسف ياخالد ، لا يمكننى الموافقة على إجازتك الآن !

رد خالد :

ـ لكن يافندم . . أنت تعرف ظروف . . .

(١) تحقيقات المحكمة .

قال الرائد :

ـ أنا عارف .. لكننى بأمس الحاجة إليك الآن بسبب العرض العسكرى .. لا يمكننى أن أستغنى عنك وخاصة أن النقيب عبد الرحمن سليمان ، ظروفه صعبة .. مراته فى المستشفى بين الحياة والموت ، وهو مضطر للبقاء بجانبها[2] .. وأنا عرفت ده النهاردة الصبح .. ولولا ذلك لكنت قد وافقت على الإجازة فورا ، ولكان عبد الرحمن قد حل محلك فى العرض .. آسف ياخالد ما باليد حيلة ..[3]

وحتى يخرج القائد من الموضوع إلى موضوع غيره ، سأل خالد :

ـ إيه أخبار «محمد» .. أخيك ؟

فرد خالد :

ـ معنديش فكرة .. من يوم ما اعتقل محدش شافه .. وهذا هو السبب الذى يجعلنى أتمسك بالإجازة !

وجد القائد نفسه فى الموضوع الذى أراد [illegible] منه ، فقال فى حزم :

ـ مفيش فايده ياخالد !

فقال خالد مستسلما !

ـ لتكن مشيئة الله !!

ويبدو أن خالد الاسلامبولى قد أحس فى تلك اللحظة أن القدر يرتب له ترتيبا ما وأن هذه مشيئة الله ، التى لا يملك أن يردها [illegible]

ويبدو أن فكرة إغتيال السادات بدأت فى السيطرة عليه ابتداء من هذه اللحظة ..

قال الرائد [illegible] عبد العال :

ـ والله ياخالد .. أنت مفيش زيك !

(2) كانت زوجة النقيب عبد الرحمن سليمان فى المستشفى على أثر تعرضها لحريق

(3) قال لى المحامى شوقى خالد : إن جزءا من غضب خالد الاسلامبولى ورفضه الاشتراك فى العرض هو تقرير مخابرات الحربية الذى يوصى بإبعاده عن العرض ، [illegible] الاشتراك فى العرض مع وجود [illegible] هائلة

فقال خالد مرة أخرى :

ـ لتكن مشيئة الله !

فقال قائده :

ـ اذهب الآن إلى مخيم اللواء بمدينة نصر .. لأننا سنشترك فى العرض بقوة من ١٢ مدفعا تقودها جرارات ، وسأكون أنا مسئولا عن أربع منها !

قال خالد :

ـ حاضر يافندم !

فقال قائده :

ـ لا تنس التأكد من تمام أطقم الرجال والعربات .. واذا تغيب أحد ، تصرف ولا تلجأ لى ![4]

O O

أكد والد خالد الاسلامبولى هذه الرواية ، التى وردت فى التحقيقات ..

وقال :[5]

ـ خالد قال لى إنه كان حاجز تذكرة سفر إلى بلدنا «ملوى» كى يزورنا يوم ٢٥ سبتمبر .. وأنا كنت فى نجع حمادى بأحضر دورة للشركة ، وأيضا لأقبض مرتبى ، فاتصلت بزوجتى أطمئن على خالد ، فقالت لى : إنهم كلفوه بالاشتراك فى العرض العسكرى .. ولأن حالته النفسية كانت سيئة بعد إعتقال شقيقه ، فقد حاول التنصل من الاشتراك فى العرض ، فأصر قائده على ذلك ، وشجعه بقوله : أنت قوى ياخالد ، ونحن نعرف قدرتك على الصمود والتحمل رغم ما يجرى لك .. اشترك فى العرض ياخالد ! وسيفرجها الله عليك ، وتخرج من متاعبك النفسية .. ولم يجد خالد مفرا من الاستسلام .. وقبول الاشتراك فى العرض !

O O

(4) كان قائد اللواء ٣٣٣ الذى تتبعه وحدة خالد الاسلامبولى ، هو «منير شاش» ، وقد أصبح فيما بعد محافظا فى سيناء .

(5) «الأنباء» الكويتية ـ سبتمبر ١٩٨٤ .

فى ذلك اليوم - يوم ٢٣ سبتمبر - استرخى خالد الاسلامبولى فى فراشه ، وراح يفكر جديا فى اغتيال السادات . . كبرت الفكرة فى رأسه ، إلى الحد الذى جعله يفكر فى تحويلها من فكرة إلى خطة . . ومن خيال إلى أمر واقع . .

امسك خالد بصحيفة «الأخبار» لكن السطور اهتزت أمام عينيه . .

ادار مؤشر الراديو ، لكنه لم ينتبه إلى ما يقوله . .

أصبح ساهما . . شاردا . . لا يعرف كيف يوفق بين ما يدور فى رأسه ، وما يجرى حوله . . .

ومن المؤكد أن محمد عبد السلام فرج قد خطر على باله فى تلك اللحظات . . لكن . . كيف يراه ، ويستريح بالكلام معه ؟

إن محمد عبد السلام ، وباقى زعماء الجهاد اختفوا ، بعد أن سن السادات أنيابه ، وأمر وزير داخليته باعتقالهم ، فى ملحق يضاف لعملية «سبتمبر» الكبرى . .

وأغلب الظن أن خالد اقتنع أن عبد السلام فرج اعتقل ، فأحس بمزيد من الغم والاكتئاب والتحدى . . وقد سيطر عليه هذا الإحساس بعد أن فشل فى معرفة أخباره ، من رواد المسجد الذى كان يصلى فيه فى بولاق الدكرور . .

صباح اليوم التالى : الخميس ٢٤ سبتمبر ، اشترك خالد مع وحدته فى «بروفة» لطابور العرض . . ومر بطابور المدفعية أمام المنصة ، وراح يتأملها . .

وفى نفس اليوم ، ذهب بمفرده ، مرة أخرى إلى المنصة ، وراح يدرس كل شىء على الطبيعة ، وراح يرسم الخطة العملية المناسبة ، لتنفيذ فكرة الإغتيال . .[٦]

درس موقع المنصة . . سرعة تحرك السيارات . . المسافة من المنصة إلى طابور العرض . . وعدد الأشخاص الذين يجلسون فى الصدارة حول السادات . .

لكن . . من المؤكد أنه لم يكن ليعرف أى شىء - ساعتها - عن الحراسة . .

ورسم خطته ، دون أن يضع فى اعتباره وجود حراسة تقريبا . . واعتمد فى

(٦) قال ذلك خالد الاسلامبولى فى التحقيقات .

أول بنود الخطة على الانتحار . . وعلى الجرأة . . وعلى المفاجأة . . وعلى أن يقتل السادات قبل أن ينتبه حراسه . .

باختصار . .

بنى خطته على عنصر «قدرى» هو أن يسارع بالتهام السادات قبل أن يناله الحرس . .

يتغدى بالسادات قبل أن يتعشى به الأمن !

○ ○

صباح يوم الجمعة ٢٥ سبتمبر ، قام خالد من نومه ، وصعد إلى شقة عبد الحميد ، فوق شقة شقيقته ، وتناولا معا طعام الإفطار . .

إن عبد الحميد شقيق لخالد بالرضاعة . .

فقد أرضعت أم خالد ، عبد الحميد . .

وهذا . . وصفت أم خالد ، فيما بعد ، بذات النطاقين ![٧]

وغادر خالد وعبد الحميد ، البيت إلى أحد المساجد بعين شمس ، لأداء صلاة الجمعة . .

وأثناء خطبة الجمعة ، قال خالد لعبد الحميد :[٨]

- جاءنى الآن هاتف يدعونى لقتل السادات !

قال عبد الحميد :

- هذا هاتف الشيطان !

بعد الصلاة قال خالد لعبد الحميد :

- القدر هو الذى جعلنى أشترك فى العرض لأخلص مصر من الطاغوت !

أصر عبد الحميد على أن ما يقوله خالد ، ليس كلامه ، وإنما هو كلام الشيطان ، ولم يوافقه على أفكاره فى ذلك الوقت . .

(٧) أطلق عليها هذا الوصف فى أحد احتفالات حزب العمل بكوبرى القبة .
(٨) الرواية قالها خالد للمحامى شوقى خالد ، الذى قالها فى بدوره .

وقال له :

ـ اذهب إلى عبد السلام فرج لأن رجله مكسورة !(٩)

أحس خالد أن أبواب السماء كانت مفتوحة عندما طلب من الله أن يرى عبد السلام فرج .

وراح خالد ـ على الفور ـ يتخبط في حواري وأزقة بولاق الدكرور ، حتى وصل إلى بيت عبد السلام فرج ، الذي فوجىء به ـ خالد ـ ممددا فوق سرير ضيق ، ومسندا رأسه على وسادة صغيرة . . وممددا ساقه ـ في الجبس ـ أمامه !

كان منظر عبد السلام صدمة لخالد . .

الجسم هزيل . . الوجه أصفر . . العينان حمراوان . . الساق مدفونة في الجبس . . والمكان قذر ، ومعبق برائحة عطنة ، لا تطاق . .

قال خالد في لهفة :

ـ ماذا جرى لك ؟

رد عبد السلام في هدوء :

ـ أبدا . . لاشيء . . أصبت بحادث سيارة !

ثم أضاف :

ـ أنا طلبتك لأني عايز شقة بسرعة أستخبى فيها . . أنا حاسس إن أنفاس «ولاد الكلب» تطاردني ، وتقترب مني . . إيه رأيك ؟!

○ ○

قالت حيثيات الحكم في قضية اغتيال السادات ، وهي تتعرض لهذا المشهد بين خالد وعبد السلام :

«وفي يوم الجمعة الموافق ٢٥ / ٩ / ١٩٨١ قصد خالد منزل المتهم الخامس محمد

(٩) في كتاب «يوم أن قتل السادات» يقول المؤلفان : إن خالد ذهب يوم الجمعة ٢٥ سبتمبر إلى مسجد الإخوان في بولاق الدكرور ، فإذا بأحد المصلين يهمس له في أذنه وهو يسجد : «فرج موجود في المكان الفلاني ويريد أن يراك بسرعة» ، ودس له ورقة صغيرة فيها العنوان . وهذه الرواية التي ترددت كثيرا عن كيفية لقاء خالد وفرج ليست صحيحة ، وليس هناك ما يؤكدها .

عبد السلام فرج عطية ببولاق الدكرور لزيارته(١٠) ففوجىء بإصابته بكسر في ساقه من جراء حادث سيارة(١١) وفي تلك الزيارة تجاذبا أطراف الحديث حول الأوضاع السائدة في البلاد على وجه العموم ، كما تطرق بهما الحديث إلى ما يتعرض له المسلمون من ظلم يحيق بهم وبعلماء الدين ، وفرغا من حديثهما إلى وجوب تمكين شرع الله » .

ومن التحقيقات نعرف أن الحوار الذي دار بينهما تعرض إلى المحاولة الفاشلة التي قام بها تنظيم «الجهاد» ـ تحت قيادة المقدم عبود الزمر ـ لاغتيال أنور السادات في «المنصورة» . . وإلى نجاح عبود الزمر في الهرب من رجال الأمن . . وإلى كيفية اعتقال عضو التنظيم النشط نبيل المغربي . . وإلى حالة التسيب التي تسود البلد ، ومجلس الشعب الذي تحول ـ بسبب قضية رشاد عثمان ـ إلى هيئة لحماية تجار المخدرات . . وفي هذا اللقاء دار بينهما حوار كان بداية لحدث تاريخي هام جدا !

قال خالد لعبد السلام ، ما سبق أن قاله لعبد الحميد ، عن الهاتف الذي جاءه وقت خطبة الجمعة ، ودعاه إلى قتل السادات وتخليص مصر من الطاغوت . .

وأضاف :

ـ إن عبد الحميد قال لي إنه هاتف الشيطان !

قال عبد السلام :

ـ لا . . لقد أخطأ عبد الحميد . . إن هذا الهاتف هو هاتف الوحي وليس هاتف الشيطان ! فقتل السادات واجب الآن !

رد عليه خالد :

ـ ولكن . . .

(١٠) حيثيات الحكم

(١١) هناك من يقول أن ساق عبد السلام كسرت عندما حاول أن يهرب على عجل من بيته بعد سماعه الأنباء الأولى لاعتقالات ٣ سبتمبر ـ هيكل ـ خريف الغضب ـ ص ٥٠٢ ـ والمؤكد أن الحادث وقع في طرخ ، وقد دخل عبد السلام بعده مستشفى قصر العيني ثم مستشفى المبرة ، لأن الكسر كان كبيرا . وقد خرج من المستشفى ـ يوم ٢٣ سبتمبر ـ إلى البيت ، في شارع أحمد فايد ، المسمى باسم عائلة زوجته «عزة» في بولاق الدكرور ، والقريب من مسجد أقامته العائلة على نفقتها .

لكن عبد السلام لم يمهله حتى يكمل كلامه . .

وقال له :

- إن الشيطان لا يدخل المساجد . . وإنما تدخلها الملائكة ! ثم . . إنه لا حل إلا إغتيال ذلك الظالم !

وساد الصمت بينهما قليلا . .

وفجأة . .

قال عبد السلام :

- يا أخى هل يمكنك المساعدة بشىء ؟!

كان عبد السلام فرج يقصد بعبارته أن يجد خالد له مأوى جديدا ، يختبىء فيه بعيدا عن رجال الأمن . .

لكن خالد فهم عبارته على نحو أوسع . .

فقال له :

- اسمع ياعبد السلام . . أنا سأشترك فى العرض العسكرى . . وأنا مستعد لعمل أى شىء يخلصنا من الظالمين . . أى شىء . . أى شىء . . أى شىء . .

لم يصدق عبد السلام أذنه . . وقفز من سريره متوكئا على عصاه من المفاجأة . . وراح ينظر إلى خالد نظرات عميقة ، متفحصة ، دون أن يعرف ،هل يثق به أم لا ؟ . . هل يطاوعه أم يبتعد عنه ؟! . .

ثم تساءل محمد عبد السلام بينه وبين نفسه عن سر هذا الحماس الذى يسيطر على خالد . . هل هو اعتقال أخيه ؟ أم أنها أفكار «ابن تيمية» التى زرعوها فيه ؟! . .

لم يعرف عبد السلام الاجابة . .

فقال لخالد :

- أعتقد أن احتمالات النجاح فى العرض العسكرى ضئيلة . . فالتأمين متوافر جدا وليس هناك أى احتمال للنجاح . . تقريبا !

رد خالد :

- ما تقلش كده . . ربنا معانا . . ثم إنك يجب أن تعرف أننى اشتركت من قبل فى عرضين عسكريين ، فى العامين السابقين ، وأقول لك إنه من الممكن عمل أى شىء بنجاح . . ولقد كان لى الشرف المزعوم مرتين بأن أمر أمام المنصة وأحيى الكفرة» !

سأل عبد السلام :

- هل فكرت فى ذلك جيدا ؟

رد خالد :

- نعم . . ولكنى محتاج الى ثلاثة رجال يشتركون فى العرض بدلا من ثلاثة آخرين تغيبوا عن السرية ، وأنا كفيل بادخالهم إلى أرض العرض .

فقال عبد السلام :

اترك لى هذه المسألة ! ولكن قل لى : هل فكرت فى الخروج من أرض العرض بعد انتهاء المهمة ؟

رد خالد :

- لا . . لأن ما يهمنى هو أن أقتل الظالم . . والأجر والثواب عند الله !

وبعد ثانية قال :

- قل لى ياعبد السلام ماذا على أن أفعل الآن ؟

قال عبد السلام :

- أمهلنى بعضا من الوقت لأتصرف !

نظر خالد إلى ساق عبد السلام ، ولم يصدق أنه يمكن أن يفعل شيئا . . لكنه لم يشأ أن يعلن له ما تردد فى نفسه !

أكدت حيثيات الحكم هذا الاتفاق . .

وقالت :

- إن خالد وجد فى «ذلك الحديث فرصة مواتية له فى الكشف عن مكنون صدره وخبيئة نفسه ، فبادر بابلاغ محمد عبد السلام بأمر تعيينه فى طابور العرض وأعرب له عن رغبته فى تنفيذ فكرته ، بالتخلص من رئيس الجمهورية باغتياله فى

منصة العرض ، بيد أنه يحول دون تحقيق ذلك الذى يصبو اليه ، حاجته إلى عون ثلاثة أو أربعة من الأخوة فى الله لمساعدته فى تنفيذها ، وتدبير القنابل والذخيرة اللازمة لضمان نجاحها ، فرحب محمد عبد السلام بالفكرة وحبذها ووافقه عليها . . » .

وفى التحقيقات قال خالد :

- كلفنى قائد الكتيبة الرائد مكرم عبد العال بالاشتراك فى العرض العسكرى يوم ١٩٨١/٩/٢٣ تقريبا ، وكنت غير معين أصلا فى العرض ، ثم قمت بالذهاب فى اليوم الثانى لأرض العرض ، وحضرت أول بروفة بالنسبة لى . وذهبت بعد ذلك إلى محمد عبد السلام فوجدت رجله مكسورة فى حادث سيارة وأخذنا نتناقش ، وأوضحت له أننى سأشترك فى العرض العسكرى، وبينت له أننى من الممكن أن أستغل الموقف فرحب بالفكرة .

وقال لازم نشوف الموضوع ده ، وأوضحت له أن استغلال الفرصة لاغتيال الرئيس يحتاج الى ثلاثة أو أربعة أفراد بالجيش بالاضافة إلى الذخيرة اللازمة . .

لكن . .

فى التحقيقات أيضا أنكر محمد عبد السلام كل هذه الأحداث . .

س : ألم يتوجه خالد إلى مسكنك فى بولاق الدكرور قبل الاستعراض ؟

جـ : **لا !**

س : ألا تعرف خالد شوقى الاسلامبولى ؟

جـ : **لا ولم أره إلا فى الجرايد بعد حادث مقتل السادات !**

○ ○

قبل أن يغادر خالد الاسلامبولى ، شقة عبد السلام فرج ، سأله :

- أى أوامر ؟

قال عبد السلام :

- ماذا عن الشقة ياخالد . . أنا مضطر لمغادرة هذا المكان بأقصى سرعة !

فكر خالد قليلا ، ثم هتف :

- أختى !

ثم قال :

- أختى تقيم مع زوجها فى الألف مسكن ، وأنا واثق أنها سيسعدان باستضافتك !

وتضيف حيثيات الحكم :

- «ونفاذا لما تم الاتفاق عليه حضر المتهم الثالث والعشرون صفوت ابراهيم حامد الأشوح بسيارته إلى منزل محمد عبد السلام ، حيث أقله هو وزوجته وعبد الناصر عبد العليم أحمد درة (المتهم الثالث عشر) إلى منزل خالد الذى يقطن فيه مع شقيقته . . ولما علم زوج شقيقته بحضورهم اعترض على استضافة محمد عبد السلام ارتيابا فيه خشية أن يكون من بين المطلوب القبض عليهم ، بيد أن خالد هدأ من روعه ، وبدد من وساوسه وخوفه ، وطمأنه بأنه سيدبر لهم أمر مبيتهم فى مكان آخر صبيحة اليوم التالى» . .

« وما إن أشارت عقارب الساعة إلى الحادية عشرة مساء تقريبا ، وقتذاك ، حتى أرسل محمد عبد السلام تابعه الذى اصطفاه عبد الناصر عبد العليم أحمد درة لاستدعاء صالح أحمد صالح جاهين (المتهم الثانى عشر)فأحضره ، وأسفرت مقابلته مع خالد ومحمد عبد السلام عن مكاشفتهما له بما انتويا عليه ، واتفقا معه على اناطته تدبير الذخائر والقنابل وباتوا جميعا ما تبقى من سويعات فى ليلتهم بمسكن شقيقة خالد . .

«وفى اليوم التالى ، قبل المتهم الثانى عبد الحميد عبد السلام عبد العال - صديق خالد وفى نفس الوقت متزوج من شقيقة زوج أخت خالد ، ويقطن فى الدور العلوى بذات المنزل - قبل استضافة محمد عبد السلام وزوجته ، وعبد الناصر بمنزله وانصرف صالح لتدبير الذخيرة والقنابل المطلوبة » .

○ ○

فى التحقيقات سئل خالد :

س : من صالح الذى قلت انه أحضر الذخيرة لمحمد عبد السلام ؟

جـ : **أنا لا أعرفه وأنا قابلته لأول مرة فى خلال الأسبوع الماضى (على الحادث) ، مرة يوم الثلاثاء بالليل ومرة يوم الجمعة .**

س : لماذا حضر محمد عبد السلام وزوجته للإقامة عند أختك ومعه ناصر ؟
جـ : هو كان خايف أن يقبض عليه .
س : ولكنه لم يبت عندكم سوى ليال ثلاث ، ثم غادركم ؟
جـ : من الجائز أنه أراد أن يكون معنا .
س : ولماذا غادركم ؟
جـ : معرفش الحقيقة !
س : وما صلتك بعبد الحميد عبد السلام ؟
جـ : توجد قرابة بعيدة .. ومن بلد واحدة .. وهى «ملوى» وأعرفه من الطفولة !
س : وهل مسكنه أعلى زوج أختك مصادفة أم بسبب صلة ما ؟
جـ : هو متزوج من أخت زوج أختى والبيت ملك أبو زوج أختى !
س : وهل عبد الحميد له نفس اتجاهاتك الفكرية ؟
جـ : لم نختلف !
س : ما مصدر الذخيرة والقنابل ؟
جـ : هو محمد عبد السلام .
س : ومن أين أحضرها ؟
جـ : لا أعرف .
س : ألم تسأله ؟
جـ : لا .. لأنه قال أنا مستعد أجيب أى حاجة حتى الأفراد .
س : وكيف أتيحت له هذه الامكانيات ؟
جـ : لا أعرف !
س : ومن الذى دفع ثمن الذخيرة ؟
جـ : لا أعرف وهى أحضرت لى ولم أدفع شيئا !

وفى التحقيق سئل عبد الحميد عبد العال ، الذى كان ضابطا فى الدفاع الجوى ، ثم استقال من الخدمة :
س : ما هى ظروف تركك الخدمة العسكرية ؟
جـ : حتى تخرجى من الكلية لم يكن لى أى قراءات دينية ولكنى كنت مواظبا على الصلاة ولم يفتنى فرض والحمد لله .. وكنت أهوى الصيام يومى الاثنين والخميس وفى الليالى القمرية ، وعندما تخرجت تعينت فى نجع حمادى قائد سرية م/ ط وهناك ساعدنى الفراغ على القراءة ، وحفظت جانبا من القرآن الكريم ..

وأنا أمضيت خدمتى كلها فى نجع حمادى ..

وقد قدمت استقالتى ، وأطلقت لحيتى وعرضت على قائد الفرقة فوقع على جزاء شديدا بسبب اطلاق لحيتى ، ثم قبلت استقالتى ..
س : وما هى وسيلتك فى طلب الرزق بعد خروجك من القوات المسلحة ؟
جـ : قمت باستخدام سيارتى الخاصة كسيارة ركوب بالأجرة ، دون أن أقلبها إلى تاكسى بصفة رسمية وذلك لكى أركب اللى أنا عايزه فقط ، واستطعت تكوين مبلغ من النقود ، فتحت به مكتبه .
س : هل لك موارد مالية خاصة أخرى ؟
جـ : أنا وأخوتى لنا إرث بيتين بملوى ، بمحافظة المنيا .
س : قلت إن خالد صديقك ، وضح هذه الصلة ، وبدايتها ، وظروفها ؟
جـ : إحنا نعرف بعض معرفة عائلية منذ الصغر لأن والده صديق والدى وأنا أعرفه من الابتدائية .
س : من هو محمد عبد السلام ؟
جـ : تعرفت عليه من سنة عن طريق المساجد
س : ألا تعلم جهة عمله ؟
جـ : لا .
س : وما علمه ؟
جـ : علمه أكثر من خالد .
س : هو أعلم منك ؟
جـ : لا أظن ذلك .
س : وهل أنت الذى عرفته بخالد ؟
جـ : لا .. وخالد هو الذى فاتحنى فيه قبل العملية بأيام وربما يكون خالد تعرف عليه عن طريق أخيه محمد .
س : وما هى بلدته ؟
جـ : هو من مصر على ما أعلم .
س : ألم تسأل صديقك خالد عن كيفية تعرفه على محمد عبد السلام ؟



من مجموعة حسن أبو الزيد

عبد [illegible] يد عبد السلام زهو في المرحلة الثانوية

جـ : مسألتوش !

س : محمد عبد السلام هذا ، هو صاحب إقتراح الاغتيال ، أم لا ؟

جـ : لا أعلم اذا كان محمد عبد السلام صاحب الفكرة أصلا أم لا ، ولكن اللى فاتحنى فى هذا الكلام هو خالد .

س : وهل كنت قد إتفقت بالفعل مع خالد ومحمد عبد السلام على إغتيال الرئيس ؟

جـ : نعم .

س : ومتى ذلك الاتفاق ؟

جـ : قبل الاستعراض بأسبوع ، حضر محمد عبد السلام لى فى البيت ليختبىء عندى فى البيت ، لأنه كان يدعى أنه مطلوب القبض عليه وقد مكث عندى فى البيت حتى خرجنا سويا مساء يوم الأحد .

س : ومن الذى بدأ فكرة الاغتيال ؟

جـ : محمد عبد السلام وخالد ، ووقع اختيارهما على حسين وعطا وبعد ذلك بيومين أبديت رغبتى أنا فى الاشتراك !

س : وما سبب ترددك يومين ؟

جـ : كنت أشك فى نجاح الخطة .

س : وكيف استحضر محمد عبد السلام كلا من عطا وحسين ؟

جـ : أرسل لهما من يسمى صالح ، وأحضرهما عندى فى البيت .

س : متى كان ذلك ؟

جـ : يوم الجمعة السابق على الاستعراض . . وربما الخميس .

س : كيف تم تقديمهما لك ؟

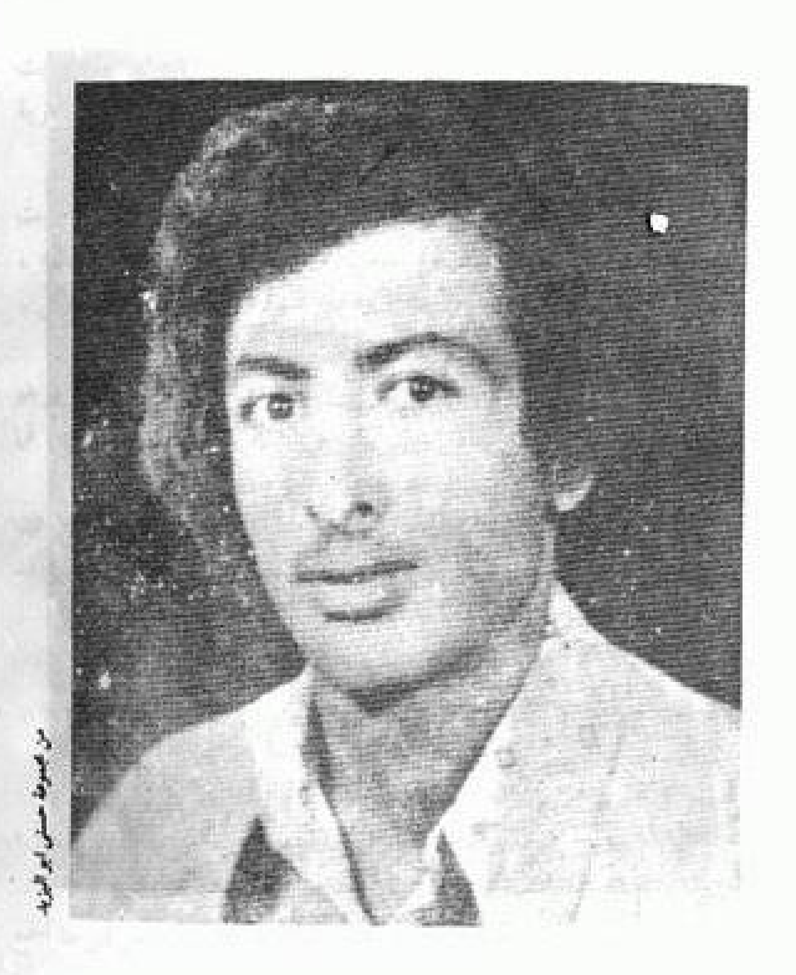
جـ : محمد عبد السلام قال إن عطا ملازم أول احتياطى وعرفنى بنفسه على هذا الأساس ، وحسين عرفنى بنفسه أنه امباشى .

س : وكيف تم توثيق الاتفاق بينكم ؟

جـ : قعدنا مع بعض جميعا ، عندى فى البيت يومى الجمعة ، والسبت وباتوا عندى جميعا ، وفى هذه الفترة أحضر صالح الذخيرة لمحمد عبد السلام .

س : ومن الذى دفع ثمن هذه الذخيرة ؟

جـ : لا أعلم ، ومحدش منا دفع ولا مليم .



من مجموعة حسنى أبو اليزيد

عطا طايل وهو فى المرحلة الثانوية بمدرسة الدلنجات الثانوية

س : وهل سعيتم أو سعى غيركم لتعيين خالد أصلا فى الاستعراض ؟
جـ : لا . . وعلى طول لما عرفناه متعين فى الاستعراض وعرض الفكرة ، اتجمعت أفكارنا !

○ ○

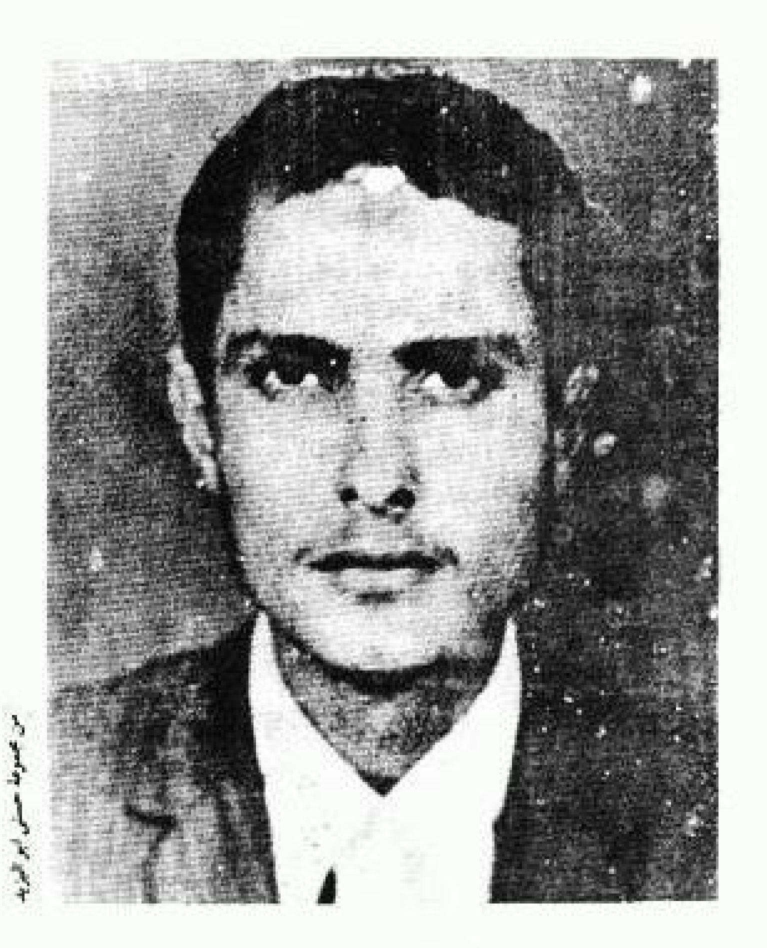
كما كان خالد على صلة قديمة بعبد الحميد ، كان عبد السلام على نفس درجة الصلة مع عطا طايل . . المتهم الثالث . . الذى لم يزد عمره على ٢٦ سنة وقت الحادث . . وكان ملازم أول ـ مهندس احتياط . .

س : ما صلتك بالمدعو محمد عبد السلام ؟
جـ : هو كان زميلى فى المدرسة الثانوى فى الدلنجات ـ بحيرة . . وكان يسبقنى بسنة وهو دخل هندسة القاهرة ، وأنا هندسة الاسكندرية . . وهو بلدياتى .
س : وهل محمد عبد السلام هذا هو الذى أدخلك فى عملية الاغتيال .
جـ : الذى أدخلنى فى هذه العملية خالد ، وهو الذى عرض على ذلك .
س : كيف وأنت لا تعرف خالد ؟
جـ : أنا ذهبت للسؤال عن محمد عبد السلام لأنى علمت من البلد إنه مصاب فى حادث ولما لم أجده فى شقته ، سألت نسيبه ووجدت عنده ناصر ، الذى اصطحبنى إليه فى منزل عبد الحميد ، ووجدت خالد هناك .
س : قرر عبد الحميد عبد السلام عبد العال فى محضر التحقيق أنه هو وخالد احتاجا إلى فردين لتنفيذ الاغتيال أثناء الاستعراض ، فأحضرهما محمد عبد السلام ، وهما أنت وحسين فما هو قولك ؟
جـ : لم أعلم بذلك ، ولكن ذهبت لزيارته مع ناصر دون أن أعلم أى شىء ، وربما كانوا هم خططوا لذلك دون علمى !

○ ○

هكذا انضم عبد الحميد ، وعطا طايل إلى فريق الاغتيال . .

فكيف انضم حسين عباس محمد ، الرقيب المتطوع فى قوة الدفاع الشعبى ، التابع للجيش المصرى ، والذى كان عمره ٢٧ سنة وقت ارتكاب الجريمة ، والتحقيق معه . .



حسين عباس . بملابسه المدنية

س : ما هى تفاصيل اعترافك ؟

جـ : أتى إلى الأخ عبـد الحميد قبل ميعاد العرض بنحو أربعة أيام وذلك فى المسجد عندنا وهو مسجد «الأنوار المحمدية» فأخذنى معه إلى بيته لكى يعطينى مبلغا من المال لأختى المتزوجة من محمد نبيل المقبوض عليه .

ولما دخلت بيته وجدت هناك أخى خالد ، فعرض على الفكرة ، فرحبت بذلك ، فشرح لى تفاصيل الأمر . . وقال إننا سنركب العربة ، وتقف العربة أمام المنصة ، ويبدأ الضرب !

وبعد ذلك بيوم ذهبت لبيته مرة أخرى فلم أجده ، أى خالد ، وو جدت عبد الحميد ، وأذكر أن هذا كان يوم السبت ، وبت ليلة ، وهو حضر لبيته ، أقصد الأخ خالد ، إنه حضر يوم الأحد ، ودخل علينا عطا الذى لم أره من قبل ، وقال لى الأخ خالد إنه سيشترك معنا ، أى عطا .

س : قرر المتهم عبد الحميد عبد السلام عبد العال فى محضر التحقيق أنه هو وخالد احتاجا فردين فأحضرهما من يدعى محمد عبد السلام وأنت أحدهما ، فما قولك ؟

جـ : ممكن أن يكون محمد عبد السلام هو الذى أبلغهما عنى ولكننى يوم مارحت الشقة الخاصة بعبد الحميد لم يكن بها أحد سوى خالد ولم يكن الأخ عطا قد أتى .

O O

لم يشترك محمد عبد السلام . . المتهم الخامس ، فى تنفيذ عملية الاغتيال . . لكنه كان ولاشك من أهم عناصر اعدادها ، وتسهيلها باعداد خالد بالذخيرة ، وبالرجال . .

على أنه فى بالتحقيق الذى جرى معه ، أنكر كل هذا ، بل وأنكر كل ما أجمع عليه زملاؤه . .

س : ما صلتك بعطا طايل حميده ؟

جـ : عطا أعرفه من الدلنجات على أساس إنه بلدياتى من الأخوة بتوع الدلنجات ، وكان يحضر المناسبات التى أحضرها أحيانا مثل عقد القران .

س : ألم يكن معك فى نفس المدرسة ؟

جـ : لا . . ولم أعرفه أثناء الدراسة .

س : ألم يتوجه عطا طايل إلى مسكنك فى بولاق الدكرور ثم أتى به آخر إلى حيث كنت موجودا مع زوجتك فى منطقة الألف مسكن . . عند أخت عبد الحميد عبد السلام ؟

جـ : لم يحدث وأطلب مواجهته .

س : ألم يتوجه إلى مسكنك فى بولاق الدكرور قبل الاستعراض ؟

جـ : لا .

س : ألا تعرف شيئا عما قيل فى التحقيق مع الآخرين ؟

جـ : لا .

س : هل السادات ـ كما قيل على لسان خالد ـ فاجر كذاب ؟

جـ : الله أعلم .

س : قرر خالد ذلك أمامنا فى جلسة التحقيق ، فما قولك ؟

جـ : الله أعلم .

س : قرر كل من خالد شوقى الاسلامبولى وعطا طايل وعبد الحميد عبد السلام فى التحقيق أنك اشتركت معهم فى تدبير تآمر لاغتيال السيد رئيس الجمهورية ، وأنك أعنتهم عليه ، وأنك بت وزوجتك عند أخت خالد ثم عند عبد الحميد لأغراض هذا التآمر ، فما قولك ؟

جـ : لم يحدث .

س : ألم تمدهم بذخائر وقنابل يدوية ؟

جـ : لم يحدث .

س : ولكن رئيس الجمهورية قتل بيد أفراد يتهمونك بالاشتراك معهم بالاتفاق والتحريض والمساعدة ، فما هو اعتقادك الاسلامى بشأن ما فعله هؤلاء ؟

جـ : أنا لست بشريك لهم فى هذا الحادث وحسابهم عند ربهم سبحانه وتعالى .

س : نسألك أنت عن الحكم الشرعى فى هذه الفعلة بحسب اعتقادك الدينى الاسلامى .

جـ : أنا لا أقر هذه الفعلة .

س : على أى أساس ؟

جـ : على أساس أن للدماء حرمة !

س : ولكن القتلة قرروا أنك أعنتهم فما قولك ؟

جـ : لم يحدث أن أعنتهم وأريد مواجهتهم .

س : ألا تخطب الجمعة أو تلقى المواعظ الدينية فى المسجد القريب من منزلك ؟

جـ : نعم .

س : بم تعظ الناس ؟

جـ : آمرهم بالفرائض والسنن وتقوى الله ، وأعلمهم التعاليم الدينية فى حدود علمى !

إن محمد عبد السلام هو الشخصية «المفتاح» ـ كما يقول هيكل ـ لكل الترتيبات العملية لتنفيذ خطة إغتيال السادات . .

فهو الذى دبر الذخيرة ، والأسلحة ، والقنابل ، والرجال . .

وقد دبر كل هذا بسرعة فائقة ، تثير العجب ، ولا تزيد على ٢٤ ساعة ، الأمر الذى يؤكد أنه كان «جاهزا» بكل معدات وأدوات الإغتيال فى أى وقت . . وأنه كان يضع تحت يديه مخزونا من الشبان والسلاح ، يستطيع أن يسحب منه ، ما يشاء . . عند الطلب . .

«ومن بواعث الدهشة أن فرج بدأ يطرح الموضوع بعد دخول خالد إلى شقة عبد الحميد ، وانضمامه إلى الثلاثة الذين كانوا ينتظرونه فيها بقوله :

«إن هناك مهمة استشهاد ، فهل أنتم مستعدون لها ؟» . .

«وكان رد الجميع بالإيجاب قبل أن يعرف أى منهم أى شىء عن طبيعة المهمة أو ظروفها أو مخاطرها»[١٢]

إلى هذا الحد كان نفوذ عبد السلام . .

وإلى هذا الحد كان ايمان الآخرين به . .

على أنه رغم ذلك ، كان أقل شجاعة منهم . . فقد أنكر كل شىء على طول الخط ، بينما هم كانوا لا يترددون فى الاعتراف . . وفيما بعد فى المحكمة ، أصر خالد وعبد الحميد وعطا طايل ، وحسين عباس على أنهم قتلوا السادات ، وأصروا على أن يبدأ رجال الدفاع ، الدفاع عنهم من هذا الاعتراف ، وهددوا برفض الدفاع عنهم إذا ما حاول أى محام إنكار التهمة عنهم . .

أى أنهم كانوا فخورين بما فعلوه . .

(١٢) هيكل ـ المرجع السابق ـ ص ٥٠٨

بينما حاول عبد السلام التنصل مما حدث ، ومن معرفته بهم . .

لقد كان عبد السلام هو «العقل» ، وكان خالد ورفاقه هم «العضلات» . .

لكن . .

سرعان ما أعلن «العقل» تنكره لما فعلته «العضلات» : . . على أنه ـ بعد الضغط ـ عاد واعترف !

○○

وقبل أن نسترسل فى سرد تفاصيل ما جرى ، نتوقف قليلا عند هؤلاء الشبان الخمسة ، الذين نفذوا عملية إغتيال السادات ، سواء بالرصاص ، أو بتدبيره . .

أنهم جميعا فى العشرينات من عمرهم . . أصغرهم خالد الاسلامبولى (٢٤سنة) وأكبرهم عبد الحميد عبد السلام (٢٩ سنة) . . أصغرهم هو الذى فكر فى العملية ، وقاد تنفيذها ، بحكم صدفة قدرية ، فرضت عليه الإشتراك فى العرض العسكرى ، واستغلها بجرأة من النادر تكرارها . .

وهم جميعا . . ينتمون لأصول ريفية . . ولم تنقطع صلتهم بالأقاليم . . خالد من ملوى . . وعبد السلام فرج من الدلنجات . . وعبد الحميد وحسين عباس من أصول ريفية أيضا . .

وكلهم خدموا فى القوات المسلحة . . كضباط عاملين . . أو كضباط إحتياط . . أو كجندى متطوع مثل حسين عباس . . وكلهم يندرجون تحت الشريحة الدنيا من الطبقة المتوسطة . . وهى نفسها الشريحة الاجتماعية التى أفرزت معظم أمراء الجماعات الدينية ، وزعمائها البارزين . .

وكلهم انخرطوا فى هذه الجماعات ، أو تعاطفوا معها ، وتشربوا أفكارها . . إلى حد أن بعضهم قد ترك الخدمة فى الجيش ، مثل عبد الحميد ، الذى أعتبر أنه لا يمكن أن يكون فى خدمة الطاغوت ، واختار لنفسه مهنة جديدة ومناسبة هى بيع الكتب الدينية . .

ولابد أن تأثرهم بأفكار الجماعات الدينية كان عاملا مهما وراء الاغتيال الذى نفذوه . .

ولابد أن صغر سنهم ، كان عاملا آخر . .

ولابد أن أصولهم الريفية المشتركة كانت عاملا ثالثا . .

ولابد أن هناك عوامل أخرى يمكن استخلاصها من وراء هذه الملاحظات . .

إن المعلومات التى يمكن جمعها عن قتلة السادات ليست كثيرة ، ولا هى متوافرة بالقدر الكافى . .

وقد ساعدنى فى الحصول على هذه المعلومات أصدقاء المتهمين ، بعد أن رفض معظم أقاربهم ذلك . . لأنهم لم يكونوا فى حاجة إلى مزيد من الضغط والإرهاب والإعتقال الذى تعرضوا له . .

وعندما حصلت على ما وجدته أمامى من معلومات ، قصدت أن أضعها مجمعة فى مكان واحد ، لعل من يقرأها يجد فيها ملاحظات ودلالات أخرى ، لم أستطع تبينها بنفسى . .

وأعتقد . .

أن ذلك أمر ليس صعبا !

○○

كان خالد الإسلامبولى طالبا فى الثانوية العامة ، عندما كان عبد الحميد عبد السلام ملازما ثانيا حديث التخرج . . انهما من بلدة واحدة وأصدقاء قدامى من أيام الطفولة . . وبين عائلتيهما صلة نسب قوية . . سببها زيجات متعددة ومتبادلة بينهما . .

ولد عبد الحميد فى مارس ١٩٥٣ ، فى ملوى أيضا . . وأنهى دراسته الابتدائية فى مدرسة الراهبات «نوتردام» بملوى أيضا . . وحصل على الاعدادية من مدرسة «الاعدادية القديمة» هناك . . وحصل على الثانوية العامة من المدرسة القومية بالمنيا . . وفى أثناء الدراسة الثانوية حصل على بطولة «الرمح» على مستوى الجمهورية . . وبعد التخرج فى الكلية الحربية تزوج من خديجة رشوان ، شقيقة حامد رشوان زوج شقيقة خالد الكبرى «أنيسة» . . ويقال إنه منذ كان فى الثانية عشرة من عمره وهو يواظب على الصلاة ابتداء من صلاة الفجر . . له سبعةُ أخوة منهم خمسة شبان ، وشقيقتان وكلهم يبدأ الاسم الأول لهم بحرف العين :



من مجموعة حسني أبو اليزيد

عبد الحميد عبد السلام فور تخرجه من الكلية الحربية

عاصم ، مهندس ورجل أعمال ، وعفاف متزوجة من محام بهيئة القناة ، وعفت وهو محام فى ملوى وكان من المحامين الذين دافعوا عنه وعن زملائه فى القضية فيما بعد ، وعبده مهندس زراعى ، وعرفان ، مدرس تربية رياضية ، وعزة ، زوجة مهندس يعمل فى السعودية ، وعلى ، ضابط احتياط ومهندس .

وبعد أن استقال عبد الحميد من الخدمة عمل فى السعودية لمدة عام ، ثم اشترى السيارة الفيات التى عمل عليها كسائق ، ثم افتتح مكتبة اسمها «ابن كثير» وهى «تقع بالقرب من منزله الذى كان يقيم فيه مع زوجته وابنه عبد السلام» . . وزوجته لا تعمل . . والطريف أن تاريخ زواجهما كان أيضا ٦ اكتوبر . .

ولعل أهم ما كان يميزه هو ابتسامته الدائمة . . وفيما بعد ، سألوه : لماذا تبتسم دائما ؟ . . فقال : «إن روحى قد صعدت إلى السماء منذ أن قتلت السادات» .

أما طايل حيده رحيل ، فكان عمره ٢٧ عاما . . وهو من مواليد قرية «رحيل» بالدلنجات ، محافظة دمنهور . . أخذ الابتدائية والاعدادية من مدارس القرية . . والثانوية العامة من دمنهور ، وكان - كما عرفنا - زميلا لمحمد عبد السلام فرج فى المدرسة الثانوى . . تخرج من قسم الميكانيكا فى كلية الهندسة ، واشتغل بشركة جابكو للبترول ، ثم دخل الجيش كضابط احتياط . . والده كان مزارعا . . ولاتزال أسرته تعيش فى القرية حتى الآن . .

وفيما بعد . .

فى المحكمة ، كان عطا طايل هو الوحيد الذى قال :

- إن من أسباب قتله للسادات ما حدث فى طائرة أحمد بدوى وقادة الجيش الذين كانوا معه !

وكان أيضا قد ذكر : إنه كان ينوى قتل النبوى اسماعيل !

ويأتى دور الكلام عن حسين عباس .

وحسين عباس ، كان عمره ٢٨ سنة ، وهو كما قلت رقيب متطوع فى الجيش ، وبعد أن أصيب بلغط فى القلب ، نقل للدفاع الشعبى ، فى منطقة شرق القاهرة التعليمية . . وهو قناص ماهر ، يجيد الرماية تماما . . وزوجته هى

ماجدة عجمى ، وقبل مقتل السادات بأسبوع رزق بولد اسمه «قابيل» ، مات بعد الحكم على أبيه ـ فيما بعد ـ بالاعدام .

وكان على علاقة قوية بعبد الحميد ، بعد أن تعارفا أثناء الصلاة فى مسجد النور .

وله شقيقتان ، تحفظ السادات على أزواجهما ، وهما : نبيل المغربى المترجم بمجلة «الدعوة» الإسلامية ، ومحمد البيلى من أعضاء الجماعات الإسلامية . .

وفيما بعد قال :

ـ إننى قبل عامين من اغتيال السادات ، تمنيت ذلك !

وقال :

ـ إننى لم أصدق نفسى عندما عرفت أننى سأحقق هذا الحلم !

وقال :

ـ لقد ضربت دفعة من النيران فى رقبة السادات وهو ينظر على الطائرات !

أما محمد عبد السلام ، فليس لدينا جديد يمكن إضافته الى ما قلناه عنه . .

وأخيرا . . عبود الزمر . .

ولد عبود الزمر فى الإمام الشافعى . . ودرس الثانوى بالسعيدية . . وبعد أن تخرج فى الجامعة ، أصبح ضابطا ، وتولى رعاية أسرته بعد وفاة والده ، وقد تزوج مرتين ، الأولى طلقها بعد ثمانية شهور ، والثانية «وحدة» هى ابنة خالته ، تزوجها من أربع سنوات ، وهى شقيقة طارق الزمر . . ويقال إنه كان من رجال المخابرات الحربية الذين كانوا يحرسون السادات وهو فى الخارج . .

وفيما بعد . .

قال عنه المحامون :

ـ إن لديه سرا . . لا يعلمه إلا الله !

وحتى الآن لا يعرف أحد هذا السر !

بعد أن بارك عبد السلام فرج خطة خالد الاسلامبولى لإغتيال السادات ، فكر فى استشارة عبود الزمر المسئول عن الجناح العسكرى فى تنظيم «الجهاد» . .

ويروى كتاب «يوم أن قتل السادات» رواية غريبة ، فى هذا الصدد ، لا نعرف من أين جاء بها مؤلفا الكتاب : «عوديد جرانوت» ، و «جاك راينيج» . . وتقول هذه الرواية :

إن عبود الزمر ، خرج من مخبئه ، وجاء إلى شقة عبد السلام فرج فى بولاق الدكرور ، على أثر استدعاء فرج له . . وفى شقة فرج ، سمع الزمر منه لأول مرة بأمر خطة خالد الاسلامبولى ، فرفض الفكرة وفوجىء عبد السلام فرج بمعارضته .

قال عبود الزمر :

ـ ألم نتفق على ترك هذا جانبا الآن ، إننا لسنا فى حاجة لمزيد من الفشل !

لم ييأس عبد السلام فرج فى إقناع الزمر ، فقال له :

ـ لدينا ميزة كبيرة وهى أن كل جهات الأمن وكلاب حراسة السادات يبحثون عنا فى الخارج ، فى الوقت الذى لا يشك أحد فيه بالجيش ولا يفتش فيه . . إن خالد الاسلامبولى ضابط بالجيش ، والضباط بعيدون عن أى شك . . لدينا رجل لن يتم تفتيشه واشتراكه فى العرض فرصة ذهبية يجب ألا نضيعها !

قال الزمر فى غضب :

ـ أنت مخطىء . . سوف يفتشون فى كل مكان حتى فى الجيش . . السادات يعلم أن حياته فى خطر وسيقوم رجاله بتفتيش الوحدات .

ـ حتى الضباط !

ـ حتى الضباط !

قال عبد السلام فرج :

ـ إن خالد أخبرنى بأن الجنود يجدون وحداتهم بصعوبة . . هل تعتقد حقيقة أن الأمن يمكن أن يسيطر على كل هؤلاء المشتركين ! :

تشبث الزمر بموقفه كالصخر . .

فقال عبد السلام :

ـ ياعبود ، ما الذى يهمك فى هذا ، إن خالد ليس منا !

قال الزمر :

ـ هذا هو الموضوع .. إن خالد بمجرد أن يسقط فى أيديهم ، يقودهم الينا مباشرة ، وربما الأفضل لنا أن نسلم أنفسنا من الآن .

قالها فى سخرية ، فرد عليه عبد السلام فى واقعية :

ـ بالله عليك ، هل تعتقد أنه من الممكن أن يخرج حيا بعد هذا . .

رد الزمر :

ـ لا أعرف .. فأنا لا أعرفه جيدا ، لكن ما أعرفه جيدا أن كثيرا من المتحرين يتراجعون فى اللحظة الأخيرة ويسلمون أنفسهم ، وعندئذ أؤكد لك ، ستكون نهايتنا جميعا .

قال فرج :

ـ معك حق !

هذه الرواية ليس فى أوراق القضية الرسمية ما يؤكدها .. ولكن هناك ما ينفيها .. فصحيح أن عبود الزمر اعترض ثم وافق .. لكن يبدو أنه غير صحيح أنه ذهب الى شقة عبد السلام فرج ، لأنه كان قد غادرها فعلا ، ومن ثم يكون هذا الحوار نوعا من الخيال .. حتى ولو كان معناه لا يخرج عن المعنى الذى عبر عنه كل من فرج ، والزمر . .

إن عبود الزمر كان مطلوبا بشدة ، من كل أجهزة الأمن فى مصر ، بعد عملية «المنصورة» .. وكان قد نجح فى الفرار فى الوقت المناسب ، ونزل تحت الأرض ، فاشتدت عليه عمليات التفتيش عنه ، خاصة بعد أن أخطر النبوى اسماعيل ، وزير الداخلية ، السادات شخصيا بأمره ، باعتباره ضابطا فى المخابرات الحربية .. لذلك لم يكن معقولا أن يصعد الزمر فوق سطح الأرض ، ويذهب بقدميه إلى شقة فرج فى بولاق الدكرور . .

ويدعم هذا الكلام أن السادات وجه إلى الزمر انذارا بنفسه يوم ٢٥ سبتمبر ، عبر التليفزيون ، وقال :

وإننى أعرف أن هناك ضابطا منهم هاربا ، وربما يكون يسمعنى الآن ، لقد إعتقلنا كل الآخرين فى خمس دقائق ، وإذا كان هو قد تمكن من الفرار ، فإننى أقول له إننا وراءه هو الآخر» . .

والمؤكد أن الزمر فى اليوم التالى لسماعه إنذار السادات ، كان يستقبل فى مخبئه السرى رسولا من عبد السلام فرج ، يحمل له شفهيا خطة الاسلامبولى لإغتيال السادات .. وكان هذا الرسول هو صالح أحمد صالح جاهين .. أقرب أفراد التنظيم إلى قلب عبد السلام فرج .. وقد نقل صالح الرسالة إلى طارق الزمر ، الذى نقلها بدوره إلى عبود . .

وقد رفض الزمر اعتماد هذه الخطة . .

وقال :

ـ إن خبرتى كمقدم فى المخابرات الحربية تؤكد إستحالة تنفيذ خطة ظافر (الاسم الحركى لخالد الاسلامبولى الذى اختاره له عبد السلام فرج) لأن احتياطات الأمن مشددة حول السادات ، ومن الصعب تجاهلها ، أو إختراقها .

ولأن الزمر (اسمه الحركى كان منصور) كان لا يعرف خالد الاسلامبولى ، ولم يسمع عنه من قبل ، فإنه لم يثق فيه ، ولا فى قدرته على التنفيذ ، وشجعه على تبنى هذا الرأى أيضا صغر رتبة خالد الاسلامبولى . .

وقال :

ـ ماذا يفعل ملازم أول وسط كل هذا الهيلمان !!

وكان هناك سبب آخر ، وراء رفض الزمر .

هو :

ـ إنه حتى لو نجحت محاولة الاسلامبولى ، وقتل السادات ، فإن ذلك قد يعطل القيام بثورة إسلامية لتغيير نظام الحكم . .

وكان من رأيه ضرورة الانتظار بعض الوقت «ريثما يتمكن التنظيم من إعداد وتعبئة قوته لهدف الاستيلاء على الحكم» وأن اغتيال السادات قد يعرقل ذلك ، .. وحتى لو نجحت عملية الاغتيال «فهى ليست كافية لتغيير النظام كله» .

وهناك رواية ثالثة يذكرها حسين أبو اليزيد فى كتابه : «من قتل السادات» . . وتقول :

«أرسل محمد عبد السلام إلى عبود الزمر رسالة شفهية مع ابن خالته طارق الزمر . . يخبره فيها أنهم قرروا المساعدة فى تنفيذ عملية قتل السادات بواسطة مجموعة من الأفراد يرأسها ملازم أول أسمه خالد ، وذلك أثناء العرض العسكرى يوم ٦ اكتوبر ، وكانت هذه هى المرة الأولى التى يسمع فيها عبود الزمر عن اسم خالد ، ولم يعرف اسم والده ، أو حتى لقبه . .

وعلى مقهى «التحرير» فى شبرا تقابل طارق الزمر مع عبود الزمر ، فى لقاء رتبه لهما عبد الله سالم الطالب فى كلية أصول الدين . .

قال طارق الزمر:

محمد عبد السلام يخبرك بأنه يشك فى أن التخطيط للدولة الاسلامية قد انكشف !!!

وأضاف :

والظروف قد أرسلت اليه ضابطا اسمه خالد ، مشتركا فى العرض العسكرى ولديه الرغبة فى قتل السادات ، ومن صالحنا حاليا أن نعاونه على ذلك ونسهل له كل ما يطلبه حتى نتخلص من السادات .

قال عبود :

ـ إنكم تلعبون بالنار . . من أدراكم أن خالد هذا ليس مدسوسا عليكم من الشرطة ؟ أو يريد الوقيعة بكم ؟ . . ثم أنتم لا تعرفونه جيدا . . فكيف تشاركونه فى ذلك ؟

ثم إن فكرة الاغتيال فى حد ذاتها لن تحقق النتائج التى اتفقنا عليها . . وهى قيام دولة اسلامية . .

وقال :

إننى لا اعترض على قتل السادات من حيث الشرعية ولكن اعترض لأننا لم نستعد للقيام بثورة شعبية تعم البلد ككل . . أمامنا عامان أو أكثر ونحقق ذلك . . ولا أدرى لماذا يصمم محمد عبد السلام على قتل السادات الآن ؟ . .

هل نسى أننى فشلت فى قتل السادات فى المنصورة منذ ساعات قلائل وقبضوا على الكثير من زملائنا . .

قال طارق :

ـ إن محمد يخبرك بأن عملية القتل سيقوم بها الملازم أول خالد ومعه مجموعة من الأفراد فقط . . ونحن كتنظيم لا دخل لنا . . وإنهم سينفون أى علاقة لهم بالجماعة إذا تم القبض عليهم . . ثم إن هذه العملية ، عملية استشهاد فى سبيل الله ، لأن الحرس المحيط بالسادات من المؤكد أنه سيقضى عليهم . . كل ما نتمناه أنهم يقتلون السادات !

قال عبود :

ـ إذا كانت هذه هى العملية فإننى موافق . .

واتفق عبود وطارق الزمر على اللقاء فى اليوم التالى فى نفس المكان والزمان لاستكمال باقى تصورات محمد عبد السلام فرج . . ورأيه!

وقد قال لى عبد السلام بعد ذلك :

ـ إن عبود الزمر قال لطارق الزمر فى ذلك اللقاء ، إنه يخشى أن ينكشف أمرنا ولا نحقق الثورة الشعبية الشاملة . . لأن ليس هذا هو موعدها . .

وأضاف :

ـ وأخشى أن ينكشف أمرنا ولا نحقق أى شىء مثل ما حدث صباح اليوم فى المنصورة . . وقد هربت بأعجوبة . . فلا داعى أن نكرر محاولة أخرى فاشلة . . إن لم نكن متأكدين من النتائج !

وفى اليوم التالى . .

قال عبود لطارق :

ـ أرجو أن تخبرهم بأن هناك اجراءات كبيرة جدا قد تعوقهم عن الدخول والاندماج مع الكتيبة التى ستشترك فى العرض ، وهذه مشكلة ليس من السهل أخذها بالتفكير المجرد . .

أفهموهم . . .

هذا لأننى أعلم جيدا أنه من الصعب الآن الدخول إلى أرض العرض لغير الجنود المشتركين خاصة بعد حادث المنصورة !

وعموما . .

أخبر محمد عبد السلام ومن معه . . أنهم لو استطاعوا الدخول إلى الكتيبة التى ستشترك فى العرض دون أن ينكشف أمرهم فإن تسعين فى المائة من خطة قتل السادات تكون قد تحققت . .

قال طارق :

- عليك أن تطمئن ياعبود . . فقد أعد الأخوة الذخيرة . . وأرسل محمد عبد السلام إلى ضابط مهندس يطلبه للاشتراك مع خالد فى هذه العملية . .

قال عبود :

- ما اسمه ؟

قال طارق :

- لا أعلم!

قال عبود :

- يجب أن يأخذ عبد السلام حذره لأى تهور قد يطيح بنا جميعا ، ولا ينسى أننا مطاردون ومحرومون من منازلنا ، وأعين الشرطة لن تهدأ إلا إذا قبضوا علينا .

وعاد طارق الى عبد السلام ، وتوجه عبود إلى الشقة التى يختبىء فيها فى الهرم .

O O

تقول حيثيات الحكم فى هذه النقطة بالذات :

«وفى يوم ٢٨ / ٩ / ١٩٨١ حضر كل من المتهمين السادس كرم محمد زهدى ، والسابع فؤاد محمد أحمد حنفى وشهرته فؤاد الدواليبى[13] والثامن عاصم عبد الماجد محمد ماضى[14] ، والتاسع أسامه ابراهيم حافظ[15](وهم من أمراء

(١٣) فؤاد محمود أحمد حنفى ، ٢٨ سنة ، تاجر أثاث ، أما كرم زهدى فعمره ٢٨ سنة ، وطالب جامعى .
(١٤) عاصم عبد الماجد محمد ماضى ، ٢٦ سنة ، طالب بهندسة أسيوط .
(١٥) أسامه إبراهيم حافظ ، ٢٧ سنة ، طالب بهندسة أسيوط .

الصعيد فى تنظيم الجهاد) إلى شقة عبد الحميد ، وتقابلوا مع كل من محمد عبد السلام ، وخالد أحمد شوقى ، فعرضا عليهم خطة الإغتيال التى نسج خالد خيوطها ، فوافقوا عليها ، وانعقدت إرادتهم على تنفيذ الخطة بالتفاصيل التى تم طرحها فى هذه الجلسة على أن تقوم مجموعة الصعيد بإمدادهما بالذخيرة اللازمة لتنفيذ عملية الإغتيال وانفض مجلسهم على ذلك ثم عاودوا الحضور مرة أخرى للاستيثاق من عزمهما على التنفيذ ، فأكد محمد عبد السلام وخالد ما تم توثيق الاتفاق عليه » . .

«كما التقى خالد فى شقة عبد الحميد أيضا بكل من المتهمين الثالث عطا طايل ، والرابع حسين عباس محمد الذى حضر بناء على تكليف من محمد عبد السلام . ولقد عرض خالد على كل منهما خطته فوافقا عليها ، واتفقا على تنفيذها ، كما وافق المتهم الثانى عبد الحميد عبد السلام على انضمامه اليهم فيما اتفقوا عليه ، ومشاركته إياهم فى تنفيذ ما هم مقدمون على تنفيذه . ومن ناحية أخرى أوفد محمد عبد السلام مبعوثه المتهم الثانى عشر صالح جاهين برسالة شفوية إلى المتهم الحادى عشر ، عبود الزمر فحواها أن المتهم الأول خالد أحمد شوقى سيقدم على محاولة لإغتيال الرئيس الراحل أثناء العرض العسكرى ولقد أبلغ صالح جاهين فحوى الرسالة إلى المتهم الرابع عشر طارق الزمر ، فنقل الرسالة بدوره إلى عبود الزمر الذى أبدى عدم موافقته ، ولما عاد صالح جاهين إلى محمد عبد السلام برد عبود الزمر بعدم الموافقة غضب غضبا شديدا ، وعبر عن غضبه بقوله : انه لا ينتظر رأيه فى العملية ، وأن العملية ستتم ، غير أنه عاود الاتصال به مرة أخرى ، وقبل حادثة الإغتيال بأربعة أيام تقريبا ، فأوفد عبود الزمر المتهم الثانى والعشرين عبد الله سالم إلى محمد عبد السلام ، حاملا له رسالة أخرى مؤداها موافقته على الإغتيال ، كما بعث معه بتوجيهاته فى شأن دخول الأفراد إلى منطقة العرض وتصوراته إزاء ما يمكن أن يحدث فى حالة نجاح العملية » . .[16]

O O

حتى الآن لا تعرف سر رجوع عبود الزمر فى رأيه . .

(١٦) حيثيات الحكم .

وخاصة أن رأيه كان يبدو منطقيا ، ومحكما ، ومقبولا . .

هل هناك من أقنعه بأهمية التنفيذ الفورى للعملية ؟

هل هناك من فرض عليه إعادة النظر فى حساباته ؟

أم أنه اقتنع بأن العملية ستتم ، رغما عنه ، فلم يجد مفرا من الموافقة ؟

هناك من يقول :

ـ إن عبود الزمر تصور أن موت خالد ورفاقه ـ أثناء عمليتهم الإنتحارية ـ سيضمن عدم الوصول إليه ، هو وباقى الفارين من تنظيم الجهاد .

واستند هذا الرأى إلى أن الاغتيال سيحول النظر عنهم إلى التفتيش داخل الجيش عن تنظيم آخر غير تنظيم الجهاد ! ولا يبدو هذا الرأى معقولا . .

لكنه قيل على كل حال ، فى ندوة أجرتها مجلة شبيجل الألمانية وحضرها عدد كبير من الخبراء ورجال الأمن والمحللين .

وهناك من يقول :

إن عبود الزمر اعتبر مقتل السادات الخطوة الأولى التى يمكن أن تعقبها خطوات أخرى يقومون هم بها بمساعدة الجماعات فى القاهرة والصعيد لقلب نظام الحكم ، واعلان الثورة الإسلامية . .

أى أنه رجع فى حساباته واعتبر الوقت مناسبا لتنفيذ أفكاره . .

وهذا التصور كان أقرب للتصور الرسمى الذى روجت له السلطة فى مصر بعد مصرع السادات . .

وهذا التصور يفسر لنا ، لماذا كلف عبود الزمر ، طبيب الأسنان محمد طارق ابراهيم (٢٩ سنة) أحد قيادات التنظيم بمسئولية قيادة عملية للسيطرة على مبنى الاذاعة والتليفزيون فى ماسبيرو . .

وحسب هذا التصور ، كان عبود الزمر ، يعتبر هذه الخطة ، خطة سهلة لاتحتاج لتدخله ، أو تدبيره ، لأنه بعد الإغتيال ستكون البلاد فى حالة خوف وفوضى ، يسهل معها ـ مع تصاريح مزيفة ـ دخول ماسبيرو والسيطرة على الاذاعة واعلان الثورة ، التى كان متأكدا أن جماعات أخرى ستخرج إلى الشوارع لتأييدها . .

أما السلاح الذى سيهاجم به الدكتور طارق المبنى ـ هو ومن معه ـ فقد ترك أمر تدبيره لرقيب بالقوات المسلحة اسمه «صابر» يخدم فى «سلاحليك» كتيبة الحراسة ـ ٥٥ التابعة لوزارة الدفاع ، والذى كان عليه تدبير ٢٧ بندقية على الأقل . .

وقد كان هذا التخطيط سابقا لأوانه . .

فقد كان مهما أن تنفذ العملية الكبرى . .

ويغتال رئيس الجمهورية . .

على أن هذا التصور ، لم يصل إلى خالد الاسلامبولى ، ورفاقه ، الذين كان عليهم فقط قتل السادات ، والسادات فقط . . ولم يكن فى نيتهم أكثر من ذلك . .

والدليل على ذلك ـ كما قلت من قبل ـ وجود ذخيرة فى أسلحتهم ، والطلب الذى وجهوه لحسنى مبارك بالابتعاد عن مرمى نيرانهم . .

وكذلك . . اعلانهم الصيام بعد القبض عليهم ، تكفيرا عن ذنوبهم فى قتل أشخاص ـ غير السادات ـ دون أن يقصدوا ذلك . .

لقد كان هؤلاء الأربعة لا يريدون سوى السادات . .

ولم يكونوا على علم بأى تدبير آخر ، يمكن أن يكون جرى من وراء ظهورهم !

٥

لغز « أبو جبل » !

« لم نتعرض نحن والأسلحة لأى نوع من التفتيش »

المتهمون الأربعة
فى تحقيقات النيابة

بارك الجميع « خطة » خالد الإسلامبولى . .

فبدأ التنفيذ . .

كانت المشكلة الأولى ـ بعد تدبير الرجال ـ هى تدبير الذخيرة والقنابل . .

وقد تعهد محمد عبد السلام فرج بإحضارها . .

وفعلا . .

أجرى محمد عبد السلام فرج إتصالاته ببعض أعضاء جماعته ، فجاء له على الفور المهندس صالح أحمد جاهين (٢٨ سنة) ، فهمس له ببعض التعليمات ، إنصرف بعد سماعها . .

كان ذلك صباح يوم الجمعة ٢ أكتوبر . .

وفى اليوم نفسه ، عاد صالح جاهين ، ومعه ماطلب منه . .

كان صالح جاهين قد ذهب إلى تاجر فى « بلبيس » واشترى منه عددا من طلقات البنادق الآلية . . ويقال إنه حصل على عدد آخر من الطلقات ، من صندوق دفنه أعضاء التنظيم فى أرض قريبة من طريق القاهرة ـ الفيوم . . ويقال إن الصندوق كان يحوى ٥٠٠ طلقة . .

ومن المؤكد أن صالح جاهين أحضر فى الموعد المحدد ٢٠٠ طلقة من عيار ٧,٦٢ × ٣٩ . . وسلمها لمحمد عبد السلام فرج ، فى حضور خالد الاسلامبولى ، الذى اعترف بذلك فى تحقيقات النيابة العسكرية . .

وأضاف خالد فى التحقيقات :

ـ وقد أخذت من صالح جاهين واحدا وثمانين طلقة ملء ثلاث خزن بنادق آلية ، بواقع ٢٧ رصاصة لكل خزنة . . وأخذ الباقى ، وانصرف . .

وفيما بعد قالت حيثيات الحكم إن عدد الطلقات التى أحضرها صالح فى ذلك اليوم لم تكن ٢٠٠ طلقة ، كما قال خالد فى تحقيقات النيابة العسكرية ، وإنما كانت ١٠٠ طلقة فقط ، من نفس العيار الذى حدده . . « أخذ خالد منها إحدى وثمانين طلقة من بينها أربع طلقات « خارق حارق » ومعلمة بعلامة حمراء على المقذوف » . .

أعطى خالد الذخيرة إلى عبد الحميد ، الذى صعد بها إلى سطح المنزل ، وأخفى الإحدى وثمانين طلقة هناك . .

ونزل خالد إلى شقة أخته ليستريح . .

وقال خالد فى التحقيقات :

ـ كنت أشعـر بتعب ، حيث ينتـابنى صداع نصفى أحيانا . . فرحت أستريح . . ولم أؤد فريضة صلاة الجمعة فى ذلك اليوم !

وفى مسـاء نفس اليوم ـ الجمعة ـ صعـد خالـد ـ مرة أخرى ـ إلى شقة عبـد الحميد ، ووجـد فيها حسين عباس ، الذى كان يراه لأول مرة ، وعرفه عبد السلام باسمه الأول فقط : « حسين » . . ولم يعرف خالد باقى اسمه . . ولم يهتم بمعرفته . . بل إنه ظل لايعرف باقى اسمه حتى بعد تنفيذ الإغتيال ، والتحقيق معه . . ولكنه عرف أنه « رقيب » متطوع يخدم فى الدفاع الشعبى . .

وبعد حوالى ساعة أو ساعتين ـ لم يحدد خالد بالضبط ـ انضم اليهم عطا طايل . .

وكان هذا اللقاء هو اللقاء الأول ـ لااللقاء الثانى كما يقول هيكل فى خريف الغضب ـ لمجموعة الإغتيال بالكامل . .

وفى تلك الليلة ، باتوا جميعا فى شقة عبد الحميد . .

٥٥

صباح السبت ـ ٣ اكتوبر ـ ذهب خالد إلى عمله . .

وفى المسـاء صعـد إلى شقـة عبـد الحميد ، فعرف أن ناصر (عبد الناصر عبد العليم ـ ١٩ سنة ـ طالب ثانوى) أحضر ١٩ طلقة من عيار ٩ مم ، كان

خالـد قد طلبها من محمد عبد السلام فرج ، لإستخدامها فى الرشاش القصير الذى سيستخدمه هو . .

وعرف خالد ـ ليلتها ـ أن عبد السلام فرج قد ترك شقة عبد الحميد إلى عيادة طبيب أسنـان ، فى الزيتون . . جاء إليه صفوت ابراهيم حامد الأشوح (٢٧ سنة ـ صيدلى) وحمله فى سيارته إلى العيادة التى تملكها أصلا شقيقة زوجته التى أغلقتها بسبب سفرها للعمل فى إحدى البلاد العربية ، وأنابت الدكتور الأشوح لادارتها وإستغلالها حتى تعود . . وعندما عرف أن عبد السلام فرج يفتش عن مخبأ يتوارى فيه باطمئنان ، هيأ العيادة له لتكون مقرا لاقامته ، ولاجتماعاته مع أفراد جماعته . .

وقد اعترفت بهذه الوقائع حيثيات الحكم فى قضية الإغتيال . .

وأضافت حيثيات الحكم :

ـ إن عبد السلام فرج أقام فى عيادة الأسنان طوال الفترة من فجر ٣ اكتوبر إلى فجر ٥ اكتوبر ، وخـلال تلك الفـترة « حقق محمـد عبـد السلام لخالد الاسـلامبـولى مأربـه بأن زوده بالـذخيرة والقنابل اليدوية ، فأوفد عبد الناصر عبـد العليم ومعه ١٩ طلقة ذخيرة ٩ مم ، كان قد حملها طالب بكلية أصول الدين ، عمره ٢٠ سنة ، وعضو فى التنظيم ، بعد أن أحضرها من المقدم عبود الزمر » . . ولم نعرف من أين أحضرها عبود الزمر ، وإن كانت بعض المصادر تؤكد أنه حصل عليها بطريقة ما من إحدى الوحدات . .

فى مساء ذلك اليوم . .

وفى المقر الجديد لعبد السلام فرج . .

جاء عبد الحميد عبد السلام ، ومعه طبيب الأسنان محمد طارق ابراهيم . . وكان عبد الحميد قد عرفه بعبد السلام فرج ، قبل يومين فقط . .

وجلس الثلاثة يدبرون أمر الحصول على القنابل اليدوية المطلوبة . .

ولم يستمر الحوار بينهم طويلا إذ تعهد الدكتور طارق ابراهيم باحضارها فى اليوم التالى . .

وعلى الفور ركب سيارة « ميكروباص » هو وعامل « نقاش » إسمه صلاح

السيد بيومى ، إنطلقت بها ، بقيادة ، سائق شاب اسمه محمد المصرى ، عمره ٢٣ سنة ، صوب بلدة الاخصاص بالخطاطبة . .

وهناك التقوا بطالب فى كلية الأداب ـ جامعة الزقازيق اسمه أسامة السيد قاسم ، عمره ٢٦ سنة ، وعلى صلة قوية بهم . . فأخذهم للنوم فى مكان يخصه . .

وفى صبيحة اليوم التالى . . الأحد ٤ أكتوبر ، توجهوا جميعا إلى بلدة أخرى تسمى الحاجر . .

فى العربة الميكروباس التى حملتهم الى بلدة « الحاجر » فتح أسامة قاسم حقيبة كان يحملها ، وعدد لهم مافيها . . وكان فى الحقيبة قنبلتان يدويتان دفاعيتان ، ورشاش ، ومسدس ، وبعض طلقات ٩ مم . .

وفى بلدة « الحاجر » نجحوا فى الحصول على قنبلتين يدويتين دفاعيتين ، أخريين . .

وعادوا إلى القاهرة . .

فأخذ طارق القنابل الأربع وأعطاها لعبد السلام فرج ، الذى أعطاها بدوره إلى صالح جاهين ، الذى حملها إلى بيت عبد الحميد ، وتركها هناك ، إلى أن عاد خالد الاسلامبولى من عمله ، فى حوالى الساعة الخامسة بعد العصر ، فوجدها هناك . .

٥ ٥

تحسس خالد القنابل الأربع ، ونزل إلى شقة أخته ليتناول الطعام مع أمه التى كانت فى حالة قلق وحزن على ابنها محمد . . المودع السجن . .

سمعت أمه خطوات قدميه الثقيلة وهو يقترب من الباب . . فقامت تفتح له قبل أن يدق الباب . .

وسألته :

ـ فيه أخبار يابنى ؟

رد خالد:

ـ قريبا إن شاء الله ياأمى سنرى أخى محمد !

فرحت الأم وهللت :

ربنا يبارك فيك يابنى!

وخطر على بال خالد فى تلك اللحظة شىء ما . .

فقال لأمه :

ـ مارأيك ياأمى فى أن تعودى الى البلد لكى تكونى الى جوار أبى ، فى العيد !

وأخرج من جيبه ٧٠ جنيها ، أعطاها لها . .

وقال :

ـ واشترى لنا خروف العيد ، وجهزى لنا . . . الفتة ، التى أحبها من يديك !

فسألته :

ـ هل ستقضى العيد معنا ؟

قال :

ـ إن شاء الله !

قالت :

ـ متى ستأتى ؟

قال :

ـ بعد العرض مباشرة !

تناول خالدطعامه . .

ثم صعد إلى شقة عبد الحميد . .

وتحسس القنابل مرة أخرى ، وتساءل بينه وبين نفسه :

ـ هل ستمكننا مشيئة الله من قتل الطاغوت ؟

فى نفس الوقت ، كان محمد عبد السلام يتساءل :

ـ هل ستكفى هذه الذخائر والقنابل ؟

ولأنه ليس خبيرا فى الأمور العسكرية ، كان كل همه أن يوفر أكبر كمية منها ، حتى يضمن نجاح العملية . .

وفيما بعد وصفت حيثيات الحكم حيرة محمد عبد السلام هذه . .

فقالت :

« ولمزيد من التحوط ، وحتى يضمن محمد عبد السلام نجاح خطة الاغتيال ، اتفق مع المقدم ممدوح محرم حسن أبو جبل على أن يمده بأبر ضرب النار ، وخزن بنادق آلية ، وخزن رشاش قصير » . .

وطلب عبد السلام من طبيب الاسنان محمد طارق ابراهيم ، وصالح جاهين ، أن يذهبا الى المقدم أبو جبل فى بيته ، وأعطى لهما العنوان ، فاستقلا سيارة صفوت الأشوح وقصداه ، فأعطاهما ثلاث خزن آلى وخزنة رشاش قصير وثلاث ابر ضرب النار ، وعادا أدراجهما إلى محمد عبد السلام . .

إن المقدم أبو جبل كان يخدم فى الأسلحة والذخيرة . . ويبدو أن ذلك أتاح له أن يضع فى بيته أنواعا مختلفة من الاسلحة والذخيرة ، تجعله يمد بها من يريد ، وحسب الطلب . . ودون إنتظار . .

فبورقة من عبد السلام فرج ، نفذ طلب من حملها له . . فى الحال . . وكأنه يضع تحت يديه ، فى بيته كل الأنواع . .

وحتى الآن من الصعب معرفة : مصدر هذه الذخائر بالفعل . .

ولاكيفية نقلها إلى بيته ؟

ولا ماالذى دفعه إلى إعطائها لرجال عبد السلام فرج بمجرد طلبها ؟

إن المعلومات المتوفرة عن ممدوح أبو جبل قليلة جدا . .

فيقال إنه كان مرشحا لدخول التنظيم . .

ويقال إنه سلم نفسه فور علمه بحادث إغتيال السادات ، وأعلن بلا تردد أنه هو الذى قتله . .

لكن . .

من المؤكد أنه أودع السجن الحربى . .

ومن المؤكد أنه استدعى للشهادة أمام المحكمة بعد أن حولته النيابة العسكرية إلى شاهد ملك . .

ومن المؤكد أن خالد الاسلامبولى طلب من المحامين عدم الضغط عليه . . أمام المحكمة ـ باعتباره « أخ » لهم فى « الايمان » . .

ومن المؤكد أنه لم توجه اليه أى تهمة من التهم فى القضية . .

ولابد أن الأيام ستكشف المزيد من الغموض الذى يحيط بهذا اللغز . .

لغز المقدم أبو جبل !

○ ○

بعد صلاة العشاء يوم الأحد ٤ اكتوبر ، توجه خالد إلى مخبأ عبد السلام فرج ، وهناك وجد عنده عبد الحميد ، وأسامة قاسم . .

وبعد كوب من الشاى الأسود ، راح أسامة قاسم يشرح لخالد كيفية استخدام القنابل اليدوية . .

وأخذ خالد أبر ضرب النار وخزن البنادق والرشاش ووضعها فى حقيبة « سمسونايت » كانت معه ، وغادر هو وعبد الحميد عيادة صفوت الأشوح . . « واتفقا فيما بينهما على اللقاء أمام بوابة المرلاند فى الساعة العاشرة من مساء نفس اليوم ، وافترقا على هذا الأساس » . .(1)

وفيما بعد وجدت حقيبة خالد « السمسونايت » فى محل إقامته بأرض العرض العسكرى . . « إذ عثر عليها ضمن ماعثر عليه ، وبداخلها ١٠٨ أبر ضرب نار لبندقية آلية » . . واعتبرت المحكمة فى ذلك دليلا إضافيا ضد خالد وزملائه . .

صباح اليوم التالى ، حضر أسامة قاسم إلى بيت الدكتور طارق وطلب منه أن يعيره سيارته « المرسيدس » ليسافر بها إلى الشرقية لاحضار بقية القنابل اليدوية . .

أخذ أسامة السيارة ، ومر على شخصين هما : صلاح بيومى ، وصلاح

عبد الله ، فأخذها ، وانطلق إلى الشرقية . . وفى الشرقية تقابلوا مع ثلاثة شبان آخرين هم :

ـ علاء الدين عبد المنعم وهو طالب بكلية التربية ـ جامعة الزقازيق وعمره ٢٤ سنة .

ـ أنور عبد العظيم عكاشة ، وهو طالب بنفس الكلية ، وعمره ٢٣ سنة .

ـ على محمد فراج ، وهو نجار بالزقازيق ، وعمره ٣٢ سنة .

وأحضر أنور عكاشة ثلاث عشرة قنبلة يدوية ، وسبع قنابل دخان كان يخبئها فى مقابر بلدته « الجديدة » ، مركز « منيا القمح » . .

حمل أسامة قاسم القنابل ، وركب السيارة ومعه صلاح بيومى ، وصلاح عبد الله ، وعلاء عبد المنعم ، وأنور عكاشة إلى القاهرة . . وتخلف على فراج عن السفر معهم . .

وقد سأل على فراج عن مصير هذه القنابل ؟

فعرف من أسامة أنه ستحدث « دوشة » يوم العرض العسكرى » .[2]

O O

فى مساء نفس اليوم أيضا . .

الأحد ٤ أكتوبر . .

كتب خالد الاسلامبولى وصيته . .

وقد اعترف خالد بذلك فى التحقيق :[3]

س : هل تركت وصية ؟

ج : نعم تركتها عند أختى وأعطيتها لزوجها محمد ممدوح لطفى وهو محاسب فى « المقاولون العرب » فى عين الصيرة .

(١) و (٢) خريف الغضب .

(٣) تحقيقات النيابة العسكرية .

س : متى وكيف سلمتها له ؟

ج : يوم الأحد مساء فى أسبوع الاستعراض ، ورحت بيته وهو كان موجودا ، ووضعت الخطاب تحت «مرآة الشفونيرة» فى حجرة النوم .

كانت ضمن خطاب طويل لأسرته ، وقد أوصى فيها :

بالتصدق بأمواله على فقراء المسلمين وفى الوقت المناسب سنعرض لنص هذا الخطاب الهام[4] . .

لقد أحس خالد ليلتها أن حياته أصبحت على كف القدر . . فكتب وصيته ، وراح لعيادة صفوت الأشوح ، ومنها على أرض العرض بعد أن اتفق مع عبد الحميد وعطا وحسين على اللقاء فى العاشرة مساء عند الميرلاند . .

وقبل أن نسترسل فى وصف ماحدث ، نتوقف قليلا عند طبيعة العلاقة التى كانت بين المتهمين الأربعة . . إن عبد الحميد فقط هو الذى كان يعرف خالد ـ فقط ـ قبل تدبير الخطة . . أما عطا طايل ، وحسين عباس ، فقد تعرفا عليه قبل يومين فقط . . أى فى يوم الجمعة ٢ أكتوبر . . فكيف وصلت علاقتهما به إلى الحد الذى يشتركان معه فى إغتيال رئيس الجمهورية ؟

إن كل ماعرفناه ـ مما سبق ـ هو أن خالد طلب من عبد السلام فرج أن يحضر له ٣ أشخاص ، بعد أن تردد عبد الحميد فى الإشتراك معه . . ثم أصبح المطلوب منه اثنين فقط بعد أن حسم عبد الحميد تردده ووافق . . فكيف جاء عطا طايل ، وحسين عباس ؟

بالنسبة لعطا طايل ، لعبت الصدفة دورا فى اشتراكه معهم . . فهو أصلا على صلة قديمة بعبد السلام فرج . . وعندما عرف بأمر إصابته فى حادث السيارة ذهب لزيارته فى بيته فى بولاق الدكرور ، وهناك عرف من عبد الناصر عبد العليم أنه يقيم فى بيت عبد الحميد ، فأخذ منه العنوان ، وذهب اليه ، وهناك وجد معه خالد الذى لم يكن يعرفه أوراه من قبل . . وفى هذا اللقاء فاتحه خالد فى خطته ، وعرض عليه الإسهام فى تنفيذها . .

كان من الصعب . . بل من المستحيل بالطبع ، أن يوافق عطا طايل على

(٤) انظر الفصل القادم من الكتاب .

مايقوله خالد بسهولة ، أو يثق فيه فى هذا الأمر ، لكن وجود عبد السلام فرج « الأخ الموثوق فيه » سهل ذلك . . وجعله يقبل المشاركة . .

وفيما بعد قالت حيثيات الحكم :[5]

- إن عطا طايل دخل على عبد السلام فرج فى حضور خالد ، « فقام محمد عبد السلام بتعريفهما ببعض ، ثم أشار خالد لمحمد عبد السلام مستفسرا قبل أن يتحدث معه ، أى مع عطا فى الأمر ، فوافق محمد عبد السلام مزكيا إياه لخالد الذى راح يخبره بأوضاع البلاد ساردًا الأدلة الشرعية سواء من الكتاب أو السنة على كفر الحاكم ووجوب قتله ، وقام بقياس الأمر شرعيا على مالديه من أحكام شرعية ، فوافق عطا طايل على المشاركة » .

أما حسين عباس فقد سعى اليه عبد الحميد عبد السلام بتكليف من عبد السلام فرج . .

ذهب اليه قبل العرض بأربعة أيام فى مسجد الأنوار المحمدية بجهة عين شمس واصطحبه لمنزله ليعطيه مبلغا من المال لأخته المتزوجة من محمد نبيل المغربى أحد المعتقلين بقرارات سبتمبر ١٩٨١ . .

دخل حسين ، وعبد الحميد ، ليجدوا خالد وعبد السلام فرج . .

وبعد التعارف . .

قال خالد وعبد السلام لحسين :

- إن هناك عملية أستشهاد فى سبيل الله !

وشرحا العملية . .

فوافق حسين دون تردد . .

وقال . .

- كنت أتمنى ذلك ، وطالما دعوت الله أن يشفى غليلى ، وأصرع الظالم ![6]

وفيما بعد قالت حيثيات الحكم :

(٥) و (٦) حيثيات الحكم - ويقال إن خالد نظر إلى حسين - فى أول لقاء بينهما - نظرة فهم منها حسين أن خالد غير راض عنه للإشتراك فى العملية . . لأنه نحيف وصحته تبدو نحيلة . . ونظر اليهم حسين وبكى ، فهم خالد واحتضنه وقال : إنك أنت الشخص المطلوب . . بارك الله فيك يا حسين !

« إن المتهم الرابع حسين عباس محمد قرر فى تحقيق النيابة العسكرية أنه بعد أن قاده المتهم عبد الحميد عبد السلام إلى شقته ، حيث كان يقيم فى إحدى غرفها المتهم الخامس محمد عبد السلام ، أدخله عليه ثم انسحب وأنه وجد مع المتهم الخامس محمد عبد السلام المتهم الأول خالد أحمد شوقى ، الذى أنبأه بأن هناك عملية استشهاد ، داعيا إياه للاشتراك فيها ، فأعلنه بموافقته وأضاف بجلاء إنه لولا ثقته فى الأخ المسلم محمد عبد السلام ثالثهم فى المجلس ماكان ليثق فى شخص المتهم الأول خالد أحمد شوقى وفى صدق مقصده إذ لم يكن يعرفه من قبل » .

وتضيف حيثيات الحكم :

« ومن حيث أنه بالنسبة للمتهمين الثالث عطا والرابع حسين فالثابت مما كشفاه عن خبيئة نفسيهما فى اعترافاتهما بتحقيق النيابة العسكرية من أنهما ماكانا ليطمئنا لخالد وصدق مقاصده ويستجيبا لدعوته بالمشاركة فى عملية الاغتيال فى أول لقاء لهما معه لولا وجود محمد عبد السلام الأخ المسلم الذى يثقان فيه وقيامه بتزكية خالد للمتهم عطا مما تستدل معه المحكمة على توافر تحريض محمد عبد السلام لهما ، سيما اذا وضعنا فى الاعتبار ماقرره محمد عبد السلام نفسه من أن عطا وحسين فردان فى جماعته وأنهما جاهزان مجهزان عقائديا ، ولامراء فى أن محمد عبد السلام له من الصولة عليهما ما إن باشرها معهما حتى أثمرت نتائجها قبولا لدعوة خالد والموافقة على الإسهام معه فى جناية الاغتيال » .[7]

o o

كانت المشكلة الثانية هى كيف يمكن لخالد أن يدخل رفاقه الثلاثة إلى أرض العرض العسكرى ؟

مشكلة صعبة بالفعل !

فكيف تم التغلب عليها ؟

إن هناك من يقول :[8]

(٧) حيثيات الحكم .

(٨) هيكل - المرجع السابق - ص ٥١٢ - ويقول كتاب «من قتل السادات» : إن خالد اكتشف أثناء البروفة هروب جنديين بدون إذن . أما الثالث واسمه الرقيب جمعه فقد منحه خالد إجازة لمدة ٣ أيام إبتداء من الأحد ٤ / ١٠ ، ويقول الكتاب : إن الجنديين الهاربين هما عادل محمود بسطويسى ، وميلاد سمير أنيس ، وأن خالد عرض الأمر على قائد الكتيبة ، فطلب منه أن يتصرف - ص ٤٤

ـ « إن خالـد قد رتب أموره بعناية . تخلص من أحد الجنود النظاميين من وحدة مدفع القيادة الذين يستقلون جراره . ومن حسن حظه أن جنديا آخر منهم وقع مريضا وكان يجب اعطاؤه إجازة ، ثم كلف ثالثا منهم بمهمة فى مكان آخر . وقيل لبقية أعضاء وحدة المدفع إن ثلاثة جنود من خارجها سيضافون إلى قوتها . وكـان هنـاك تلميح غامض بأن هؤلاء الثـلاثـة جنـود الجـدد قادمون من فرع المخابرات العسكرية لكى يتولوا مسئولية اجراءات الأمن فى الوحدة أثناء العرض نظرا للموقف المتوتر السائد عموما فى البلاد بسبب التطورات الأخيرة » . .

وهذه الرواية التى قال محمد حسنين هيكل عنها ليست صحيحة ، وليس هناك أى دليل على صحتها . .

بل . . إن الرواية الرسمية التى جاءت فى التحقيقات وحيثيات الحكم تقول بعكسها تماما . .

فقد جاء عبد الحميد وعطا وحسين ـ حسب الرواية الرسمية ـ بخطاب الحاق من اللواء ١٨٨ ، وهـو لواء مقـاتـل ، لاعلاقة له بالمخابرات الحربية ، وكان خطاب الإلحـاق مزورا . . وكـان اسم عبـد الحميد فى الخـطاب : عزت . . وعـطا : أحمد . . وحسـين : جمال . . وأضيف لهذا الخطاب المزور بطاقات عسكرية مزورة ـ لهم ـ أيضا .

ثم . . إن خالد الاسلامبولى من باب اقناع الآخرين بهم ، كدرهم ، وعين أحدهم مراسلة له . . وهو مالايتفق مع امكانية الارتباط بينهم وبين المخابرات الحربية . .

وهناك من يقول :

ـ إن خالـد الاسلامبولى وضع مادة مسهلة لبعض الجنود ، لإبعادهم عن العرض وإحلال رفاقه محلهم !

وقد نشرت هذه الروايةفى صحف القاهرة بعد أيام من الحادث . .

وكانت هناك أيضا روايات أخرى تراوحت بين الشائعات والحقائق . . بين الخيال والواقع . .

يقول خالد الاسلامبولى فى التحقيقات :

ـ فى يوم الأحد ٤ اكتوبر ، تركت بيت شقيقتى لآخر مرة . . بعد أن وضعت بجانب الوصية . خطابا لأسرتى ، قلت فيه : « أرجوكم أن تسامحونى ، إننى لم أرتكب جريمة ، إننى لاأريد لنفسى شيئا ولا أطلب ترقية أو مكافأة[9] . وإذا حدث لكم أو لأحدكم ضرر بسببى فإنى أرجوكم أن تسامحونى » .

ويضيف[10] :

ـ كنا قد اتفقنا أنا وعبد الحميد وعطا وحسين على أن نتوجه إلى موقع الوحدة (اللواء ٣٣٣) فى الاستاد مساء الأحد وعندما ذهبت فى الموعد المحدد كان معى شنطتى « السـامسـونـايت » البنى ذات الأرقام ، وبداخلها الذخيرة والقنابل اليدوية الاربع . .

وجدت عبد الحميد منتظرًا بعربته الملاكى ـ فيات ١٢٤ (ملاكى القاهرة ـ ٨٨٥٥٩) وقد حلق ذقنه ، وارتدى الزى العسكرى للجنود ، وسألته عن عطا ، وحسين ، فقال :

ـ انهما منتظرانى على قهوة فى ميدان الاسماعيلية بمصر الجديدة !

فذهبنا اليهما بالعربة ، وأخذناهما ، وتوليت أنا قيادة العربة ، وذهبنا الى أرض العـرض ، وأنزلت الثلاثة : عبد الحميد وعطا وحسين بجوار الحائط الخارجى لأرض العرض على مسافة ٥٠ مترا من الموقع ، وأنا لفيت بالعربة ، ورجعت بعد ربع ساعة . . حيث كان الترتيب أن يدخلوا قبلى ويسألوا عنى حيث أننى كنت قد أعطيت خبرا مسبقا للجنود الموجودين ، وأنا كنت قد أعطيت مراسلتى الجندى ناجى لمعى إجازة يوم الأحد صباحا ، وربما يوم السبت بعد العصر . .

كان جندى المراسلة الخاص بخالد الاسلامبولى قد أخذ الإجازة بحجة أن عليه أن يوصل مرتب النقيب عبد الرحمن سليمان الذى احترقت زوجته . .

وعلى مايبدو ، ليس فى هذا التصرف من خالد مايثير الريبة . .

فإرسال المرتب لضابط فى بيته أمر طبيعى . .

وعسكرى المراسلة الذى قام بهذه المهمة ليس من طاقم العرض . .

(٩) فيما بعد سألت خالة خالد وهى تزوره فى السجن : ألم تفكر فيما يمكن أن يصيب والدك وأمك وبقية أسرتك بسبب ما فعلته ، وكان رده : إننى لم أفكر إلا فى الله وحده ـ هيكل : المرجع السابق ـ ص ٥١٧ .
(١٠) التحقيقات .

أما الجنود الذين حل عطا وعبد الحميد وحسين محلهم ، فكانوا غير موجودين أصلا ، حيث كان هناك نقص فى الجنود ، وأرسل خالد يطلب استكماله أكثر من مرة ، فلم يستجب له أحد . . وسهل له هذا الإهمال مهمة دخول رفاقه الثلاثة فبدا التحاقهم لوحدته أمرا طبيعيا ، جاء متأخرا عن موعده . . وخاصة أن نقص الأفراد الذى كانت الوحدة تشكو منه ، كاد أن يقلل من عدد أفراد كل طاقم فى كل عربة . .[11]

وقد كانت المحاولات اليائسة لسد النقص ـ على مايبدو ـ سببا فى عدم اهتمام أحد بالاطلاع على خطاب الالحاق المزور الذى أعده خالد لرفاقه . .

وإمعانا فى « سبك » الدور بدا خالد ـ الذى وصل بعدهم إلى الوحدة ـ جافا وخشنا معهم ، ورد على تحيتهم فى صورة تحمل الكثير من اللامبالاة . .

ثم . .

صرف لكــل واحــد منهم « أفــرول » جديدا ، حتى لايختلف لون زيهم العسكرى القديم عن لون الزى العسكرى لباقى الجنود ، فيثير ذلك الإنتباه . . أو الأنظار . . إليهم . .

ويكمل التحقيق مع خالد سرد ماحدث :[12]

س : هل زورت خطابـا بالإلحاق لكل من عبد الحميد وحسين وعطا على أساس أنهم من اللواء ١٨٨ ؟

ج : عملت جواب ثم مزقته !

س : لماذا ؟

ج : أنا عملت هذا الجواب عشان يدخلوا بيه وهم دخلوا بدون اعتراض فلم أجد حاجة لمثل هذا الخطاب .

س : متى مزقت هذا الخطاب وفى أية ظروف ؟

ج : لا أذكر ، وأنا لم أجد لزوما له .

(١١) المصدر ـ شوقى خالد ـ محامى المتهم الثانى عبد الحميد عبد السلام .

(١٢) تحقيقات النيابة العسكرية .

س : كيف أمكنك ادخال شركـائـك عبـد الحميد وعطا وحسين بطريق الاستبدال من الطاقم الأصلى ؟

ج : كان يوجد فردان غياب ، جندى اسمه عادل البسطويسى وآخر اسمه ميـلاد ، من مدة ، وواحـد آخر كان عنـده ظروف وطلب إنه ينزل واسمه عريف ـ جمعه .

س : وهذا الغياب والإجازة التى تتحدث عنها هل هى بتدبيرك ؟

ج : الغياب ليس بتدبيرى أما الإجازة فأنا وافقت عليها حتى يوجد نقص فأستطيع ادخال الجنود الذين تظاهرت بأنهم ملحقون .

س : هل أبلغت قائدك بوجود نقص فى الأطقم ؟

ج : أنا أبلغت قائد الكتيبة وأرسلت له يومية غياب بالاثنين المذكورين !

س : وماذا كان تصرفه ؟

ج : لم يعطنى ردا وأنا أبلغته فقط وأنا أرسلت يومية غياب بالمكتب الخاص بأفراد الكتيبة .

وفى التحقيق قال عطا طايل :

تقابلنا يوم الأحد الساعة ٥ فى محطة المترو أمام الميرلاند ، أنا وخالد ، وأخذنى وذهبنا إلى شقة عبد الحميد ، فوجدت هناك شخصا اسمه حسين ، فأخبرنى خالد أننا حنغير ونلبس ميرى ونذهب إلى ناصية شارع وصفه لنا فى نفس المنطقة التى يسكن فيها عبد الحميد ثم أخذنا السيارة وكان فى هذه الحالة يرتدى الزى العسكرى ، حتى وصلنا إلى قرب الاستاد وأشار لنا على الخيام الخاصة باللواء ٣٣٣ مدفعية الذى يعمل فيه ، ودخلت أنا وعبد الحميد ، وحسين وسألنا على اللواء ، وبوصولنا اليه سألنا عن الضابط خالد وقلنا : اننا جيين ملحقين . فقالوا لنا انتظروه .

وبعد حوالى ساعة ونصف جاء . .

وكنا قد اتفقنا على أن نسبقه ويلحق بنا هو . .

وهذه الليلة بيتنا عندهم ، واشتغلنا مع العساكر بعد ذلك ، وبالليل طلعنا خدمة .

س : ماسم قائد الكتيبة ؟

ج : أنا شفته رائد ، ولاأعلم اسمه وكان معه مجموعة من الملازمين .

وفى التحقيق أضاف حسين عباس بعض التفاصيل الجديدة . .

وقال :

ـ بالليل بعد العشاء ، لبسنا ميرى أنا وعطا واتجهنا لشارع أحمد عصمت فى منطقة لا أعرفها حيث لم أكن ذهبت اليها من قبل وحضر لنا أخونا عبد الحميد وأخذنا بالعربة من أول شارع السلام المتقاطع مع شارع أحمد عصمت وركبنا العربة التى يملكها عبد الحميد ، وجلسنا على قهوة فى مصر الجديدة ، وتركنا ، وقال سأرجع لكم بعد شوية ، وكان ذلك بعد العشاء بساعتين ، أى رجوعه الينا ، وهو رجع بعد أن حلق لحيته وارتدى الملابس العسكرية . وأنا وعطا كنا لابسين ميرى زى الجنود ، وعبد الحميد أخذنا وتوجهنا مترجلين إلى حيث حضر خالد بعربة عبد الحميد غير بعيد عن القهوة ، وتوقف بالعربة بعيد عن القهوة ، وتوقف بالعربة على مسافة حوالى ٣٠٠ متر من موقع وحدته بالاستاد ، وأشار لنا على موقع وحدته وقال لنا : ادخلوا وأنا سألحق بكم ولدى دخولى أسألوا عنى ، أى تطلب مقابلته ، وأن نقول أننا حضرنا ملحقين .

واحنا كان معنا جواب إلحاق مزور ، ففعلنا ذلك ، وأدخلونا ، ولحق بنا بعد حوالى عشر دقائق ، ولما جاء عطا قدم له الخطاب ثم بتنا فى المعسكر على خيمة لم تنصب وفى الصباح ، أى يوم الاثنين ، حضر جنود الوحدة ، وعرفوا أننا ملحقين ، وأنا اشتغلت مع الضابط أخونا خالد مراسلة ، والتحق عبد الحميد بسائر الجنود .

وبعد الظهر ، أى يوم الإثنين ، الضابط خالد جمع جنود كتيبته ، أقصد العناصر المشتركة فى الاستعراض من كتيبته وقام بتوزيع الجنود على العربات التى تمثل الكتيبة وعددها أربعة أو خمسة ، ووضعنا فى الطاقم رقم (١) ثم قام بجمع السلاح وعهد الينا بالخدمة على هذه الخيمة .

والذى لم يقله الأربعة فى التحقيقات :

ـ إن خالد الاسلامبولى عندما أوقف العربة بالقرب من الاستاد أشار على زملائه أن يتوجهوا إلى موقع المنصة ليشرح لهم على الطبيعة ظروف التنفيذ . . وفعلا هذا حدث . . واقتربوا من المنصة الخالية ، وراحوا يلقون عليها بالحجارة ، التى تصوروها على أنها قنابل فى تلك الليلة . .

وقد حدث شىء مشابه لذلك ، قبل ٣ أيام . . أى يوم الجمعة ٢ اكتوبر ، فى شقة عبد الحميد ، حيث راح الثلاثة « يتدربون » بحماس على اطلاق الرصاص ، ورمى القنابل ، وكأنهم صغار يمثلون لعبة « الشجيع » فى أفلام الكاوبوى الأمريكية . . فلعب عطا دور السادات ، وراح حسين يقوم « بإطلاق » الدفعة الأولى من النيران عليه ، « فتهاوى » عطا وهو يئن من الألم . . وفى نفس الوقت كان خالد يتقدم فى اتجاه عطا (السادات فى اللعبة) من مدخل الحجرة ، وقد بدت عليه علامات الكراهية ، وراح يمثل القاء القنبلة الأولى . .

أما عبد الحميد ، الذى لم يكن أعلن موافقته على الإشتراك فى العملية فقد وقف بعيدا يرقب مايحدث ، وهو يبتسم .

وعندما إكتشفوا ابتسامته العريضة ، أحسوا بأنهم كالصبية الذين يلعبون فى الشارع . .

فجأة . .

قال عبد الحميد :

ـ وحياة ربنا ، لن نسمح لكم بتنفيذ العملية وحدكم ، وأترككم تدخلون الجنة لوحدكم ، أنا جاى معاكم ؟

فرد خالد بفرح :

ـ انت أخونا ياعبد الحميد . . وأفضل منا جميعا !

والذى لم يقله حسين عباس فى التحقيق :

ـ أن خالد فور أن تلقى أمر نزع أبر ضرب النار من أحد الضباط ، كلف عبد الحميد بتمييز البنادق الآلية الثلاثة التى سيستخدمها فى عملية الاغتيال ، فقام عبد الحميد بتمييزها عن سواها بقطع صغيرة من القماش دسها فى فوهاتها . .

وفى الوقت نفسه ترك خالد حقيبة السامسونايت تحت سريره بعد أن أخرج القنابل الأربع ووضعها داخل خوذته ، وخصص حسين عباس حارسا على خيمته . .

وحوالى الساعة الثانية والنصف من صباح الثلاثاء ٦ أكتوبر ، قام خالد بمساعدة عبد الحميد بملء خزن البنادق الآلية الثلاث بالذخيرة ، واحتفظ عبد الحميد ، وعطا ، وحسين ببنادقهم بعد تعميرها ، ولم ينزعوا إبر ضرب النار منها . .

وقد جمع خالد ابر ضرب النار المنزوعة من باقى البنادق ، وأضاف إليها ٣ إبر من التى فى حقيبته ، حتى يصبح عدد الإبر مساويا لعدد البنادق ، استعدادا لأى تفتيش مفاجىء ، يحصى عدد الإبر . . وقد فضل خالد الاحتفاظ بالابر الأصلية فى البنادق الثلاث لأنه كان متأكدًا من صلاحيتها ، وخوفا من أن تكون الإبر التى أحضرها المقدم أبو جبل غير صالحة ، أو غير مناسبة . .

وفى الساعة السادسة صباحا أيقظ خالد الجنود . .

وفى الساعة السادسة والنصف ركبت الأطقم العربات الأربع الخاصة بالكتيبة والمسئول عنها خالد ، وركب عبد الحميد وعطا وحسين عربة خالد . . وكانت فى اليمين من القطار الثانى لعربات اللواء المواجهة للمنصة ، وجلس خالد بجوار السائق بعد أن أخفى خزنة الرشاش بداخل جوربه ، ووضع الخوذة وبداخلها القنابل الأربع أسفل كرسى العربة . . وبعد ساعة ونصف ، وبعد وصول العربات إلى مكان الإنتظار ، أغتنم خالد فرصة انشغال الجنود بأعمال النظافة للعربات والمدافع فسلم عبد الحميد قنبلتين ووضع الأخريين فى درج تابلوه كابينة العربة ، وقام بتغيير خزنة الرشاش الخاص بالسائق بأخرى مملوءة بالذخيرة ، ووضع الخزنة الفارغة أسفل المقعد الجالس عليه ، وتم ذلك فى غيبة السائق الذى كان ـ كما عرفنا ـ قد أرسله لشراء «سندوتشين» !(١٣)

أخذ عبد الحميد لنفسه قنبلة ، وأعطى الأخرى لعطا طايل .

ثم . .

حانت اللحظة التى تحركت فيها العربة !

(١٣) حيثيات الحكم .

كانت المشكلة الثالثة أمام خالد ورفاقه هى سائق العربة « الكراز » التى ستحملهم فى العرض إلى المنصة . .

كيف يضمنون أن ينفذ السائق تعليمات خالد الاسلامبولى ؟

كيف يضمنون أنه سيقف بالعربة فى الوقت المناسب ؟

كيف يضمنون أنه لن يحبط العملية من أولها إلى آخرها ؟

وقبل أن نعرف الاجابة . .

نقول : إن سائق العربة اسمه عصام محمد عبد الحميد ، أما العربة فهى صناعة كوريا الشمالية ، ومخصصة لجر المدافع من العيارات الثقيلة . .

ونقول : إن سائق العربة لم يكن على علاقة بهم ، ولاكان على علم بخطتهم . .

والحقيقة أن مشكلة السائق بدأت قبل أن يدخل عطا وعبد الحميد وحسين أرض العرض . . وشغلت تفكير الأربعة بعض الوقت . .

إقترح خالد وضع حبوب مخدرة فى طعامه حتى يفقد توازنه فيسهل الإدعاء بأنه مريض ، ويمكنه أن يقود العربة بنفسه دون أن يشك فيه أحد . .

وبالفعل أشتروا بعض الحبوب ، وربما حصلوا عليها من صيدلى عضو فى التنظيم . . وجربها عباس محمد للتأكد من فاعليتها . . لكن الحبوب لم تؤثر فيه . . فطردوا هذه الفكرة ، وبحثوا عن حل بديل . .

كان الحل البديل والأخير أمامهم هو أن يهدد خالد السائق بالرشاش ، فإن لم يستجب ، شد خالد فرامل اليد فى الوقت والمكان المناسبين . .

وقد أخذ بهذا الحل فعلا . .

فهدد خالد السائق بالرشاش ليقف . . فوقف . .

وكانت العربة قد أبطأت من سيرها أصلا ، حتى تحافظ على المسافة المحددة بينها وبين ماقبلها . .

وقد روت شهادة السائق فى تحقيقات النيابة وأمام المحكمة القصة بدقة . .(١٤)

(١٤) حيثيات الحكم .

وقال السائق :

ـ لقد تعمد الملازم أول خالد الاسلامبولى إبعادى عن العربة صباح يوم العرض .. أعطانى مبلغ خمسة وعشرين قرشا وطلب منى شراء « سندوتشين » له .. وبعد أن عدت له بالسندويتشين ، قال لى الضابط خالد : ماليش نفس ، كلهم انت .. وأعطانى سندويتشا وأعطى جندى آخر الثانى ..

وحدث أن جاء أحد السائقين لى وطلب منى أن أنزع كتلة الترباس الخاصة بالرشاش ، وهو تسليحى ، إلا أن الضابط خالد حذرنى من ذلك ، خوفا من ضياعها فى حالة نزعها مما يعرضنى للمحاكمة .. فتركتها مكانها ، ولم أنزعها ..
ور[illegible] العربة .. ولما اقتربت من المنصة قام الضابط خالد باختطاف الرشاش من جانبى ، وهددنى بالقتل إذا لم أوقف العربة .. فرضخت له وأوقفت العربة ، وفجأة قفز الضابط خالد بسرعة منها وهو يمسك بشىء أصفر بيده ، وعقب ذلك سمعت صوت إنفجار ، الأمر الذى دفعنى إلى مواصلة السير بعربتى ، شأنى فى ذلك شأن باقى العربات !

○ ○

وبقيت مشكلة أخرى ، لاأعرف ماإذا كان خالد الإسلامبولى قد وضعها فى حسبانه أم لا ؟!

مشكلة الأمن والحراسة والتفتيش ..

إن خالد الاسلامبولى ـ كما هو واضح مما سبق ـ كان يفكر فى أبسط الأشياء ، ويعمل لها ألف حساب ، فهل فكر فى هذه المشكلة الحرجة ، أم لا ؟!

وإذا كان قد فكر فيها ، فكيف حلها .. وبخاصة أن الحل ليس فى يده هو ، وإنما فى يد آخرين ، أكبر رتبة منه ، وأكثر أهمية منه ؟!

وإذا كان لم يفكر ، فعلى أى شىء إستند فى اطمئنانه وهو يسعى لقتل رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة فى يوم العرض العسكرى ؟!

إن من المستحيل أن يكون خالد قد ترك تلك المشكلة .. بلا تفكير .. وبلا مناقشة .. وبلا أخذ ورد مع الآخرين ..

لأنه ـ كما قلت الآن ـ لم يترك أبسط الأمور للصدفة ، من خطاب الإلحاق ، إلى « رف » أفرول » جديد لرفاقه .. ومن عدم المغامرة بتبديل ابر ضرب النار الخاصة بالبنادق الآلية ، إلى تعيين أحد زملائه « مراسلة » له ، وعين آخر حارسًا على السلاح ..

ولأنه ـ كما قلت من قبل ـ تلقى تحذيرا ـ بواسطة عبد السلام فرج ـ من عبود الزمر .. أشار فيه الزمر إلى صعوبة تنفيذ العملية ، وإعتبرها ـ فى البداية ـ عملية غير مضمونة العواقب .

ولأنه من غير المعقول أن لايفكر خالد ورفاقه فى هذه المشكلة .. إذ كيف يعقل ذلك ؟!

وعلى كل حال ..

من المعروف أن إجراءات التفتيش فى العرض إجراءات صارمة ، وتتم على ٣ مرات ، فى كل مره تتولى المهمة والمسئولية جهة أمن مختلفة ..

١ ـ أمن الجيش ـ وهو الأمن الداخلى فى الوحدات والكتائب ، ومهمته التفتيش الداخلى على أفراد ومعدات الوحدة أو الكتيبة .

٢ ـ المخابرات الحربية ، وهى سلطة الأمن العليا فى القوات المسلحة ، ومهمتها التفتيش على الأفراد والأسلحة ، وحدود نفوذها من الجبل الأحمر إلى أول أرض العرض .

٣ ـ أمن الرئاسة ، وهو تابع لرئاسة الجمهورية ، وله سلطات تفوق باقى أنواع الأمن ، خاصة فيما يتعلق برئيس الجمهورية ، وحدود نفوذه من قبل خط بداية المنصة إلى خط نهايتها ..

ومن المعروف أيضا أن التفتيش على طريقة أمن الجيش ، والمخابرات الحربية تفتيش عشوائى ، أى اختيار عينة ، وفحصها ، لاكل الأفراد والمعدات .. أما أمن الرئاسة ، فلا فرصة فيه للعشوائية ، والتفتيش فيه يتم بأجهزة حديثة ، لاتفرق بين عدو ولاصديق !

فى التحقيق سئل خالد :

س : من الذى قام بالتفتيش للتأكد من عدم وجود ذخائر أو إبر ضرب نار فى الأسلحة والذخائر ؟

ج : لم يقم أحد بالتفتيش على الذخيرة ولكن كان هناك أمر بنزع أبر ضرب النار ، ولم يفتش أحد للتثبت من تنفيذ ذلك ، وكل ضابط كان مسئولا عن كتيبته .

س : وقائد اللواء ؟

ج : لم أراه .

س : وأى مستوى قيادى أعلى ؟

ج : لم يحدث .

س : وأية أجهزة أخرى ؟

ج : مفيش .

وفيما بعد روى خالد ـ فى السجن ـ بعد إعتقاله ، لوالده : أحمد شوقى الاسلامبولى :(١٥)

أنه عند دخولهم بوابة طابور العرض ، اكتشف أن هناك ٣ ضباط كبارا ، منهم ضابط عمل معه عبد الحميد ، ويعرفونه جيدا ، ويعرفون أنه ترك الخدمة .. فأيقن خالد أن الأمر سينكشف لو ألقى واحد منهم نظرة تحت كرسى العربة ، حيث كانت القنابل موجودة ..

وقال خالد لوالده :

« ولوأن الضابط وقع بصره على عبد الحميد المعروف له جيدا لانكشف أمرنا جميعا .. »

« ولكن الله خلق من ينادى على الثلاثة فى آن واحد .. أثناء تفتيش العربة التى تسبق عربتنا ، وأسر له كلاما لم نسمعه .. فمرت عربتنا بلا تفتيش » .

ورواية خالد لوالده تختلف عما قاله فى التحقيق ..

فى التحقيق نفى خالد رؤية أى ضابط كبير ، ونفى وجود أى مستوى قيادى للتفتيش ..

وفى الرواية الثانية أكد مانفاه ..

(١٥) حديث أحمد شوقى الاسلامبولى مع «الأنباء» ـ المرجع السابق .

وهناك رواية ثالثة تؤكد أن التفتيش قد حدث ..

فقد قال لى محامى عبد الحميد : « شوقى خالد » :

ـ إن أمن الجيش والمخابرات الحربية فتشا العربة بأسلوبها العشوائى ، لكن من حسن حظ خالد أن رجاله لم يكونوا من بين العينة التى اختيرت لفك البندقية ، المرتين (!!) .

ويضيف شوقى خالد :

ـ أما فى المرة الثالثة الخاصة بأمن الرئاسة ، وهى المرة الصعبة ، والتى يتم فيها التفتيش بأجهزة حديثة ، فلم يحدث (!!) ، ولو كان هذا قد حدث ، ماكانوا قد مروا (!!) .

ولعل رواية شوقى خالد ـ المحامى تكون قريبة الشبه من الرواية التى جاءت فى كتاب « يوم أن قتل السادات » .. والتى تقول بالنص :

« فجأة » .. جاء صوت دراجة بخارية ، يصم الآذان .. نظر الجميع تجاه ضابط الحرس الجمهورى الذى وصل بسرعة ، وأوقف دراجته أمام عربة خالد .. توقفت أنفاس الملازم أول الإسلامبولى ، فى حين تجمد كل من عطا وحسين وعبد الحميد فى أماكنهم ..

« أوقف الضابط محرك الدراجة .. وأشار إلى ثلاثة جنود فى طاقم العربة المجاورة لعربة الإسلامبولى

« ـ تعالوا بأسلحتكم هنا !

« نفذ الثلاثة الأمر ..

« فقال لهم :

« ـ فكوا خزائن الذخيرة !

« ومن مكانه على الدراجة البخارية نظر الضابط إلى الخزانات الخالية وعاد بعد ذلك لإدارة محرك دراجته ، وبدأ يمشى بها ..

« سأله خالد :

« ـ خير يافندم ؟

« فرد عليه :

« ـ مجرد فحص روتينى . . كله تمام . . إستمروا !

« ثم . . اختفى مخلفا وراءه سحابة من الدخان » !

أكثر من ذلك . .

هناك من يشير إلى أن أحد الجنود الذين كانوا فى العربة ، سبق له الخدمة مع عبد الحميد ، لكن ليس هناك دليل واحد ينصف هذه الرواية . . الأمر الذى يجعلنا نعتبرها مجرد شائعة . .

ولعل هذه الشائعة مستمدة من ورطة حرجة وقع فيها عبد الحميد يوم الاثنين ٥ اكتوبر ، بالقرب من خيمة خالد الاسلامبولى . . فقد جاء ملازم أول اسمه عثمان صابر الجرجاوى ، كان دفعه عبد الحميد فى الكلية الحربية ، وزميله فى المدرسة الثانوية بملوى ، جاء إلى خالد الاسلامبولى ـ باعتباره ضابط أمن ـ ليعرف ماإذا كانت التعليمات الخاصة بتجميع السلاح ونزع إبر ضرب النار قد نفذت أم لا . . وهو بالطبع يعرف أن عبد الحميد ترك الخدمة . .

لقد تلقى الاسلامبولى خبرا بوصول الجرجاوى ، فتوجه إلى خيمة عبد الحميد ، وقال له بسرعة :

ـ الجرجاوى جاى فى مهمة رسمية !

أحس عبد الحميد أن الأرض تهتز من تحت قدميه . .

فسارع خالد يطمئنه ويهدىء من روعه . .

«وقال له . .

ـ خليها على الله . . لقد سترها الله معنا من قبل ولن يخذلنا الآن !

ذكر الأب فى أحد أحاديثه الصحفية هذا الجزء من الواقعة . . ولم يقل لنا ماذا حدث بعد ذلك . . لكن كتاب « من قتل السادات » يضيف إلى رواية الأب الناقصة ، نهايتها . . فيقول : إن خالد طلب من عبد الحميد ـ هو وعطا وحسين ـ أن يجمع كل سلاح الكتيبة فى خيمته على أن لا يخرج من الخيمة وطلب من حسين أن يقف حارسا على خيمته . . خيمة خالد الاسلامبولى . .

« ثم تذكر خالد التصريح الذى كان قد سلمه لهم وسألهم عنه . . فأعطوه له ، فمزقه فى الحال قطعا صغيرة ، وألقى بها تحت السرير . . وانصرف الجميع وتعجل عبد الحميد الذهاب إلى ترزى الكتيبة صبحى عبد المقصود ، ليتسلم منه « الأفرول » بعد ضبطه وتوجه إلى خيمته وبقى فيها » . .

فى الساعة الحادية عشرة ، طلب خالد من الجنود تسليم أسلحتهم إلى الخيمة « السادسة » لنزع ابر ضرب النار . . ونفذ الجنود الأمر . .

وبعد ساعة وصل الجرجاوى . . « ورغم أن الاسلامبولى كان حريصا على صورة استقباله حتى يبعده عن مكان تواجد عبد الحميد إلا ان المفاجأة كادت أن تحدث عندما اصطحب ضابط فى الكتيبة ـ غير خالد ـ الملازم الجرجاوى واتجه به إلى خيمة تجميع السلاح التى يوجد فيها عبد الحميد ، وماإن لمحه خالد ، وقد قارب دخول الخيمة ـ حتى اندفع إليه مناديا . . جرجاوى . . جرجاوى . . ثم أخذه بالأحضان قائلا : حمدا لله على سلامتك . . والله زمان . . تعال نشرب الشاى معا . . كيف أخبارك والأهل فى ملوى ؟! . . ووصلا إلى خيمته بدلا من خيمة عبد الحميد ، ونادى على حسين عباس وقال له : « هات اثنين شاى » . . ولو تأخر الاسلامبولى دقيقة واحدة ، لاكتشف الضابط الجرجاوى ابن المرحوم المعلم الجرجاوى التاجر المشهور فى مدينة ملوى وجود زميله الضابط عبد الحميد ، المستقيل ، داخل الخدمة مرتديا بدلة مجند عادى » .

وفيما بعد سئل عبد الحميد :

ـ ماذا كنت ستفعل لو وجدت الجرجاوى أمامك فى الخيمة ؟

فقال :

ـ كنا سنقيده ونكممه ونضعه فى الخيمة تحت غطاء إلى أن يسهل لنا الله !

وسئل :

ـ لو انكشف الأمر ؟

قال :

ـ يبقى الله لم يكن رايدا للسادات بالقتل !

٦

الصباح الأخير !

« سبب الوفاة صدمة عصبية شديدة مع نزيف داخلى »

من تقرير أطباء

مستشفى المعادى

تؤمن السيدة «جيهان رءوف» ، وشهرتها «جيهان السادات» ، ولقبها الأول من نوعه فى البلاد : «سيدة مصر الأولى» ، أن زوجها «أنور السادات» كان رجلا مؤمنا .. صالحا .. متصوفا .. طيب القلب ، يتمتع بحاسة سادسة قوية ، تجعله يتنبأ بما سيحدث ، قبل أن يحدث ..

وهى تدلل على صدق كلامها بأكثر من واقعة ، راحت تقولها للسيدة فتحية كاظم ، حرم الرئيس جمال عبد الناصر ، التى راحت اليها لتعزيتها فى مقتل زوجها ..[1]

ففى أواخر عام ١٩٤٩ ، قال لها :

ـ جيجى .. إننى أشعر أن الله سيجعلنى أعود للجيش مرة أخرى .. أنا واثق من ذلك !

وفعلا عاد السادات إلى الجيش بعد أيام فى يناير ١٩٥٠ .

وفى عام ١٩٥٦ قال لها :

ـ ستلدين هذه المرة ذكرا وسأطلق عليه اسم جمال تقديرا منى لجمال عبد الناصر !

وقبل اغتياله بأيام قليلة قال لها :

ـ إننى ذاهب للقاء ربى سريعا .. وقبل أن ينتهى العام !

(١) انظر حمدى لطفى : «التنوير الحرب والإغتيال» ـ مجلة «الوادى» ـ أكتوبر ١٩٨٢ .

صباح يوم الثلاثاء ٦ أكتوبر ١٩٨١ . .

صباح اليوم الأخير للسادات . .

قامت جيهان السادات من نومها مبكرة ـ كعادتها ـ وداعبت حفيدتها «ياسمين» ـ ابنة «جمال» ـ وقالت لها :

ـ روحى صحى جدو . . النهاردة العرض العسكرى !

جرت ياسمين إلى حجرة نوم جدها ، وقفزت إلى السرير ، وراحت تعبث بشاربه حتى استيقظ . .

وقالت له :

ـ قم ياجدو . . النهاردة العرض العسكرى !

قام السادات من نومه مبكرا ، على غير عادته . .

فهو يقوم من نومه ـ عادة متأخرا ما بين الساعة التاسعة ، والساعة العاشرة صباحا . . إلا فى مثل هذا اليوم من كل عام . . يوم ٦ أكتوبر . . الذى لم يكن السادات يعتبره يوما عاديا . . لأنه فى مثل هذا اليوم ـ قبل ٨ سنوات ـ دخل التاريخ من أوسع أبوابه ، بعد أن نجح الجيش المصرى فى عبور القناة ، وإقتحام وتحطيم خط بارليف ، والقضاء على أسطورة التفوق الإسرائيلى الخرافية . . وقد أطلق السادات على نفسه بعد هذا اليوم لقب «بطل الحرب» . . وكان ينتظر يوم ٢٥ أبريل ١٩٨٢ ـ بعد ستة شهور تقريبا ـ ليتأكد لقبه الجديد الذى وزعته على الناس أجهزة دعايته ، وهو «بطل الحرب والسلام» . .

وقبل أن يغادر السادات الفراش ، مد يده إلى مائدة صغيرة ، بجواره ، وتناول ملعقة من عسل النحل ، مزجت بقليل من رحيق الملكات . .[٢]

ثم رفع يده إلى جرس قريب من فراشه ، وضغط عليه . .

وقبل أن يرفع يده من على الجرس ، دخل عليه من يحمل الشاى الساخن ، وصحف الصباح . .

تناول الشاى الساخن ـ بدون حليب وبدون سكر ، وألقى نظرة سريعة على

(٢) لمزيد من التفاصيل عن برنامج السادات اليومى ـ اقرأ هيكل فى خريف الغضب ـ ص ٣٦٩ وما بعدها

صوره وأخباره فى الصفحات الثلاث . . وقبل أن ينتهى من الشاى والفرجة على صوره فى الجرائد ، دخل عليه خبير التدليك ، ويبدأ معه بعض التمرينات الرياضية ، التى تنتهى ـ عادة ـ بالتدليك وحمام فاتر . .

كانت هذه الطقوس تستمر فى الأيام العادية حوالى ساعة . . لكنه فى ذلك اليوم أنهاها بسرعة ، فلم تستغرق سوى نصف ساعة . . طلب بعدها تناول بعض ثمار الفاكهة الطازجة ، وذلك على غير ما تعود كل صباح ، حيث كان يتناول قطعة من الجبن وخبزا خاليا من السعرات الحرارية ، مصنوعا من دقيق خاص ، مستورد من سويسرا . .[٣]

وما إن انتهى السادات من إفطاره حتى أجرى بعض الإتصالات التليفونية ، مع ابنه جمال الذى كان فى أمريكا . . ومع عثمان أحمد عثمان ، وسيد مرعى ، ومدير المخابرات العامة ، وحسنى مبارك ، والنبوى اسماعيل ، وفؤاد محيى الدين . . ولم تخرج كل هذه الأحاديث التليفونية عن تهنئة السادات بيوم ٦ أكتوبر . .

واعتذر السادات عن المكالمات التليفونية التى جاءت من بعض أشقائه وشقيقاته . . ومن بعض رؤساء تحرير الصحف المسموح لهم بالحديث معه تليفونيا فى بيته . .

أسلم السادات نفسه للكشف اليومى الذى يجريه له د . محمد عطيه ، الأستاذ بطب عين شمس ، وطب القلب الخاص به . . وكان السادات قد تعرض لأزمتين فى القلب من قبل . . ومن يومها وهو يفحص نفسه يوميا . .

وقد كان السادات فى ذلك اليوم فى صحة جيدة للغاية . .

(٣) حسب ما قاله هيكل ، كان السادات يتناول كأسا أو كأسين من الفودكا ، بناء على نصيحة الأطباء ـ كما كان يقول ـ بعد تعرضه فى شبابه لعارض قلبى . . وكان ذلك قبل الظهر ، وبعد الانتهاء من مقابلاته التى كانت تبدأ فى الثانية عشرة وتستمر ساعتين ، وفى الرابعة والنصف يتناول غداء خفيفا مكونا من شرائح صدر الدجاج أو اللحم البارد ، وطبق من السلطة أو طبق من الخضروات الطازجة ، وينام حتى السابعة ، فيطلب فنجانا من الشاى بالنعناع ، ثم عشاءه الذى يتكون عادة من اللحوم المسلوقة أو المشوية إلى جانب بعض الأرز أو المكرونة الخالية من النشويات ، وطبق من الحلوى المصنوعة من الدقيق الخالى من أى سعر حرارى ، ويجرى بعض الاتصالات التليفونية ، ويشاهد السينما ، ثم يذهب إلى فراشه بعد منتصف الليل .

تقول السيدة جيهان السادات :

ـ بعد أن فرغ الدكتور عطية من مهمته ، سألت أنور :

«ألن ترتدى القميص الواقى من الرصاص ؟»

فرد على فى عصبية :

«ـ ليه ، هو أنا رايح فين ، أنا رايح لولادى »!

ويقال :

«إن السادات رفض أن يلبس القميص الواقى من الرصاص ، رغم تعرضه لمحاولة إغتيال أخيرة فى المنصورة ، رغم تحذيرات الكثير من أصدقائه ، ومن بينهم وزير الداخلية النبوى إسماعيل ، الذى قال له السادات :

«ـ الأعمار بيد الله . . لن أرتدى القميص يانبوى !»

ثم قال له :

«ـ أنت هوال وخواف يانبوى . . ما تخافش أنا رايح لأبنائى ووسطهم ، ولا داعى للقميص !»

والحقيقة أن السادات لم يرتد القميص الواقى من الرصاص ، ليس لهذه الأسباب «القدرية» ، التى تحاول أن تقنعنا بها هذه الروايات وغيرها ، وليس لأنه «ذاهب لأولاده ، وسيكون فى وسطهم» فقد سبق أن ارتدى السادات هذا القميص وهو وسط أولاده أيضا . .

الحقيقة أن هناك مفاجأة وقعت صباح ٦ اكتوبر ١٩٨١ ، فرضت على السادات أن لا يرتدى القميص الواقى من الرصاص . . كان يرتدى «البدلة» العسكرية الجديدة التى نفذها له بيت أزياء انجليزى فى لندن ، فاكتشف أن البدلة ضيقة عليه ، وبالكاد يدخل فيها . . وقد وضح ذلك عندما أعطى ظهره لكاميرات التليفزيون ، وهو فى طريقه لقبر الجندى المجهول ، ولاحظ البعض أن فتحة الجاكت الخلفية واسعة ، وغير مضمومة ، لضيق الجاكت . .

وقد رفض السادات الأخذ بنصيحة زوجته وإرتداء بدلة العام الماضى ، التى لم يرتديها سوى مرة واحدة . . حتى يتمكن من إرتداء القميص الواقى من الرصاص ، لكنه رفض . .

ومن الممكن أن نصدق هنا . . وهنا فقط أنه قال : «ليه . . هو أنا رايح فين . . أنا رايح لولادى» . . أى أنه قال هذه العبارة بعد أن وجد أنه لا مفر أمامه من الإيمان بقضاء الله وقدره !

وفيما بعد ، تصورت المخابرات الحربية ، أن «ضيق» البدلة جزء من مؤامرة الإغتيال ، فراح مندوب لها إلى الترزى الإنجليزى ليعرف الحقيقة . . لكنه اكتشف أن الترزى برىء تماما من هذه التهمة !

وفيما بعد اتضح أن خالد ورفاقه دبروا خطتهم على أساس أن السادات يرتدى القميص الواقى من الرصاص . . وهذا يفسر سر تركيز حسين عباس على المنطقة الخالية من الوقاية ، بين رقبة السادات ، وعظمة ترقوته . . وعندما سقط السادات وراء حاجز المنصة الحجرى ، تصوروا أن الرصاصات التى أصابته لم تؤثر فيه ، بسبب القميص الواقى من الرصاص ، الأمر الذى جعل أحدهم يقفز خلف المنصة ، ويتأكد من موته ، ومن أن الرصاصات أصابته ، ولم يصدها القميص الواقى من الرصاص !

والقميص الواقى من الرصاص ، صنع سرا فى أمريكا ، ووصل القاهرة عام ١٩٧٧ ، وأستعمله السادات أول مرة ، يوم زيارة القدس فى نوفمبر ١٩٧٧ ، ثم إستعمله مرة أخرى يوم رفع العلم المصرى على مدينة العريش بعد عودتها لمصر فى مايو ١٩٧٩ . .

والقميص الواقى من الرصاص فصل للسادات لكى يلبسه أساسا تحت الجاكت المدنية الواسعة وليس تحت الجاكت العسكرية المغلقة التى ابتكر السادات خطوطها ، له ، ولقادة الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة ، وطلب منهم ارتداءها فى المناسبات الهامة منذ عام ١٩٧٦ . . وهى خطوط مستمدة من البدل العسكرية لألمانيا ـ النازية .

وقد حدث أن إرتدى السادات القميص الواقى من الرصاص عام ١٩٨٠ . . وهو يشهد مناورة للقوات البحرية بالقرب من الحدود الساحلية المصرية ـ الليبية . .

وكانت هذه هى المرة الأولى ـ كما تقول جيهان السادات ، التى إرتدى فيها القميص . .

وتضيف :

- إنه بعد أن عاد من المناورة قال لها إنه شعر بالخجل من إرتداء هذا القميص ، بين الضباط والجنود ، كما انه - أى القميص - مكشوف للجميع ![4]

وكما رفض السادات - فى يومه الأخير - أن يرتدى القميص الواقى من الرصاص ، رفض أيضا أن يمسك بالعصا التقليدية التى إعتاد أن يمسكها دائما فى إحتفالات ٦ اكتوبر . .

وقال لها :

- إنها تجعلنى أشبه بفرعون ![5]

لكن . .

هيكل يقول :

- إن السادات نسى أن يأخذ هذه العصا . . عصا الماريشالية . . واعتبرت زوجته أن ذلك كان نذير شؤم ![6]

○ ○

فى ذلك اليوم كانت جيهان السادات تشعر بالاكتئاب يزحف على صدرها . .

ولم تعرف - كما قالت لى فيما بعد - السبب . .

كما أن هذا الاكتئاب لم يتلاش عندما طلب منها زوجها أن تحضر حفيدها «شريف» معها إلى العرض . .

وقال لها :

- شريف بقى راجل !

وشريف كان أحب الأحفاد إلى قلب السادات . . وكان عمره فى ذلك العام

(٤) يقول هيكل فى «خريف الغضب» انه كانت هناك حلة عسكرية جديدة قد وصلته قبل أيام من الترزى الخاص الذى يصنع له بدله العسكرية فى لندن . ولاحظت زوجته انه لم يرتد القميص الواقى من الرصاص تحت البدلة العسكرية ، وكان تفسيره ان القميص سوف يؤثر على انسجام الحلة الجديدة ، وقد تذكر أنه رآى فيلما لزيارته الشهيرة للقدس حين كان يرتدى قميصا مضادا للرصاص تحت بدلته المدنية ، وقد بدا فى الفيلم أكثر بدانة مما كان فى الحقيقة .

(٥) حمدى لطفى - المرجع السابق .

(٦) هيكل - المرجع السابق - ص ٥٢٤ .

حوالى ٥ سنوات . . وكان السادات فى أعوامه الأخيرة ، يأخذه معه فى بعض المناسبات الخاصة ، مثل صلاة الجمعة التى كان يؤديها فى الإسماعيلية . . وفى بعض المناسبات العامة ، مثل تفقد مشروع تطوير قناة السويس فى الاسماعيلية ، ومثل وداع بيجن فى أسوان . . وكان السادات يظهر على شاشة التليفزيون : فى نشرات الأخبار ، وهو يمسك بحفيده بيد ، ويحيى الناس بيد أخرى . .

وسألته جيهان :

- وباقى الأحفاد ؟

فقال :

- خذيهم معك للعرض !

لم تقل جيهان لزوجها ما تشعر به من اكتئاب . .[7]

ولم تقل له إنها قررت أن لا تذهب إلى المنصة ، وإنها ستكتفى بالفرجة على العرض العسكرى فى التليفزيون !

وفعلا . .

بعد دقائق من السكون . .

قامت إلى التليفون ، وطلبت ضابط الأمن المكلف بحراستها ومرافقتها . . وقالت له :

أنا باتصل بك حتى أوفر عليك المشوار !

رد الضابط فى فزع !

- خير يافندم !

قالت له :

- أنا لن أذهب إلى العرض ، وسأكتفى بمشاهدته فى التليفزيون !!

لم يصدق الرجل . .

(٧) روت جيهان السادات لى هذه القصة أثناء حوار معها ، أجريته فى مارس ١٩٨٣ ، ونشرته روز اليوسف تحت عنوان : جيهان السادات ترد على كل الاتهامات .

وقال لها فى أدب جم :

ـ هذا لا يجوز يافندم . . النهاردة ٦ اكتوبر . . يوم الريس ، ويوم سيادتك أيضا .

لم تقل له جيهان السادات مشاعرها الخاصة التى اجتاحتها فى ذلك الصباح ، واكتفت بأن تقول له :

ـ أنا لا أحب العروض العسكرية !

قال الرجل :

ـ أنا مش مع سيادتك . . النهاردة أهم يوم فى حياة مصر يافندم !

سرحت جيهان قليلا ثم قالت :

ـ أوكى . . سأحضر !

○ ○

لا نعرف ماذا دار بين السادات وسكرتيره الخاص فوزى عبد الحافظ ، فى حجرة نوم الرئيس ، قبل أن يخرجا من البيت إلى وزارة الدفاع . . إلا أن بعض المصادر الأجنبية ـ مثل مجلة «تايم» ومجلة «شتيرن»وكتاب «يوم قتل السادات» ـ تدعى أنها تعرف ذلك . .

وهذه المصادر تجمع على أن السادات كان مزاجه رائقا ، فى ذلك الصباح ، وأن فوزى عبد الحافظ لم يخرج عن عادته التى يقوم بها كل صباح «وهى أن يذهب إلى جهاز التسجيل الموجود قرب فراش السادات ، ليديره على صوت الشيخ محمد رفعت وهو يقرأ ما تيسر من القرآن الكريم ، وعندما ينهى الشيخ رفعت تلاوة القرآن يكون السادات قد استعد لصلاة الصبح ، وفى هذه الأثناء يكون فوزى قد أعد فطور السادات البسيط » .

وتقول هذه المصادر إن السادات سأل سكرتيره الخاص :

ـ أخبارك إيه يافوزى ؟

رد فوزى :

ـ الحمد لله يافندم !

سأله السادات ضاحكا :

ـ العرض حا يتعرض ولا إيه ؟!

قال فوزى :

ـ حايتعرض ياريس . . مؤكد حايتعرض . . وزارة الدفاع أتصلت الصبح وأكدت إن كله تمام .

شعر السادات بالارتياح ، وراح ينظر فى بعض البرقيات والأوراق الخاصة ببعض الشئون السياسية والاقتصادية .

ثم سأل فوزى :

ـ برنامجك إيه يافوزى ؟!

قال فوزى وهو يقرأ من مفكرة صغيرة :

ـ الساعة ٩٫٤٥ سيصل إلى البيت النائب حسنى مبارك ، وأبو غزالة لتذهبوا معا إلى وزارة الدفاع . . وفى الساعة ١١ ستتجه إلى أرض العرض ، بعد وضع باقة من الزهور على قبر الجندى المجهول .

قال السادات :

ـ لا تنس أننى بعد العرض سأزور قبر عاطف فى ميت أبو الكوم ؟

قال فوزى :

ـ رتبنا هذا يافندم والطائرة ستكون خلف المنصة فى انتظارك .

وسأل السادات :

ـ وهل أرسلتم حقائبى لوادى الراحة ؟

قال فوزى :

ـ نعم . . رتبنا كل شىء لتقضى سيادتك العيد هناك !

قال السادات :

ـ مافيش راحة إلا فى وادى الراحة !

انتهى الحوار بين السادات وسكرتيره الخاص ، وبدأ السادات فى ارتداء

ملابس القائد الأعلى للقوات المسلحة ، وبعد أن انتهى من ثيابه وضع نجمة سيناء التى منحها لنفسه ، ثم وضع على صدره الأيسر ثمانية نياشين ، ولف نفسه بوشاح القضاء .. وخرج من حجرته ، وهبط إلى الدور الأول .. ليجد مبارك وأبو غزالة فى إنتظاره .

OO

فى تمام الساعة العاشرة خرج موكب السادات متجها إلى مبنى وزارة الدفاع بكوبرى القبة .. وهناك التقى ـ كالعادة ـ بكبار قادة القوات المسلحة .. وهو لقاء كان ينتهى غالبا بصورة تذكارية ..

يقول حمدى لطفى المحرر العسكرى لمجلة «المصور» فى مقال كتبه خصيصا لمجلة الوادى (عدد اكتوبر ١٩٨٢) :

«قبل الذهاب إلى أرض العرض العسكرى بنصف ساعة كان السادات يقف بين حسنى مبارك وأبو غزالة وقادة القوات المسلحة فى القاعة المخصصة له والملحقة برئاسة الأركان بادى التوتر ..

ويقول النقيب مهدى خلف المصور العسكرى لوزارة الدفاع ، وكان يمسك بالكاميرا ، ويلتقط الصور له كعادته كل ٦ اكتوبر :

ـ هذا اليوم شعرت بأن الرئيس يتحرك كثيرا وأن وجهه محتقن بعض الشىء .. عين الكاميرا وعينى أكدتا أن الرئيس السادات ليس طبيعيا ذلك اليوم حتى أنه نسى الكاب الخاص به عند مغادرته القاعة ، فنبهه أحد القادة اليه .. والسادات لا ينسى مثل هذه الأمور المتعلقة به وبزيه على الاطلاق » .

OO

فى الساعة الحادية عشرة ، وعشر دقائق خرج موكب الرئيس من مبنى وزارة الدفاع فى طريقه إلى النصب التذكارى للجندى المجهول ، أمام المنصة ، فى مدينة نصر ..

كان السادات ومبارك وأبو غزالة يستقلون سيارة كاديلاك سوداء ، بسقف مفتوح ، يسمح لهم بتحية رجال القوات المسلحة وضيوف العرض .. وعلى جانبى السيارة وخلفها كان يقف ثمانية من حراس السادات .. وتبدو على ملامح وجوههم الصرامة .. وتمتلىء أجسادهم بالقوة والعضلات .. وقد وضع بعضهم نظارات شمسية من ماركة «ريبان» الشهيرة على عينيه ، وأمام السيارة وعلى جانبيها أيضا كان يتحرك ١٥ موتوسيكلا من طراز «هارلى ديفيد سون» ..

اقترب الموكب من أرض العرض ..

ونزل «الثلاثة الكبار» ، وسط هتافات ، كان أشهرها : «بالروح والدم نفديك ياسادات» ! .. ووسط لافتات تقول : «يحيا السادات ـ بطل الحرب والسلام» ..

وتوجهوا إلى نصب الجندى المجهول ، ووضعوا على رخامه باقة من الزهور ..

ونصب الجندى المجهول ، صممه الفنان سامى رافع ، على هيئة هرم ضخم ، يصل ارتفاعه الى ٣١ مترا ، أى نصف إرتفاع هرم خفرع ، وهو مبنى بالاسمنت المسلح ، وحفرت على أضلاعه أسماء شهداء حرب اكتوبر !

OO

توقف الموكب أخيرا أمام المنصة ..

عزفت الموسيقى السلام الجمهورى ..

وجلس السادات وكبار ضيوفه فى الصف الأول ..

وبعد قليل ، أرسلت جيهان السادات أحفادها إلى جدهم ، مستغلة الدقائق القليلة السابقة على بدء العرض ، فقبلهم السادات ، وداعبهم قليلا ، وضم شريف إلى صدره ..

ثم .. أمر باعادتهم إلى جدتهم !

OO

بدأ العرض العسكرى فى موعده المحدد ..

وبدأ معه العد التنازلى للسادات ..

حتى حانت ساعة الصفر ..

ونزل خالد الإسلامبولى من عربته ، وألقى القنبلة الأولى . .

وفى تلك اللحظات ، لم تكن عناية الله مع السادات . .

فلفظ أنفاسه فى حادث إغتيال فريد من نوعه ، شاهده الملايين فى أربعة أنحاء العالم ، وقت حدوثه ، عبر الأقمار الصناعية . . وشاشات التليفزيون الملونة . .

وفى تمام الساعة الثانية عشرة وأربعين دقيقة ، حلقت طائرة الهيلكوبتر الصغيرة ، التى كانت تقف خلف المنصة ، وفى داخلها جثة السادات الهامدة ، ومعها سيدة مصر الأولى ، التى أضيف للقبها كلمة «سابقا» اعتبارا من تلك اللحظة التى انفتحت فيها أبواب جهنم عليها ، وعلى زوجها ، وعلى عهد بأكمله . .

○○

مثل الملايين الذين شاهدوا ما أتيح من العرض فى التليفزيون ، كان أحمد شوقى الإسلامبولى ، وزوجته السيدة قدرية . . أم خالد . . .

كانا يعرفان أنه من الصعب أن يتعرفا على ابنهما خالد فى التليفزيون . . لكنهما رغم ذلك لم يمنعا نفسيهما من المحاولة . . وراحا يدققان فى الصور المتلاحقة أمامهما . .

وعندما حدث الإرتباك . . واهتزت صورة الإرسال . . ووصل إلى أسماعهما صوت طلقات الرصاص ، وانقطع العرض ، انقبض صدر الأم . . وجرى الأب على جهاز الراديو . . وظل يدير مؤشره ، حتى سمع الخبر فى اذاعة لندن . . التى كانت أول من أذاع النبأ . . نبأ إعتداء رجال عربة من عربات المدفعية الثقيلة على السادات . .

صرخت الأم :

ـ ابنى !

قال الأب :

ـ اسكتى . . ابنى ما بيعملش كده !

قال لها هذه العبارة ليهدىء من روعها ، وليقنعها بالكف عن الصراخ . . أما فى حقيقة نفسه ، فقد كان يؤمن أن ابنه هو الذى فعلها . .

وفيما بعد . .

عندما نشرت جريدة «الأخبار» صورة خالد وهو ملقى على الأرض ، واثنان من الجنود يشدانه . . تأكد الأب أن ابنه خالد قد مات . .

لأنه ـ أى خالد ـ لا يمكن أن يلمس طرف ملابسه أحد إلا إذا كان ميتا !

قال الأب :

ـ إنا لله وإنا إليه راجعون !

وبحلقت الأم فى الصورة جيدا ، وقالت :

ـ لا . . ده مش ابنى!

قال الأب :

ـ لا . . ده ابنك !

وفى نفس اليوم قالت اذاعة لندن : إن القاتل اسمه خالد عطا الله .

وما إن سمعت الأم الاسم ، حتى صرخت :

ـ ألم أقل لك إنه ليس ابنك خالد !

أصر الأب على موقفه وقال لها :

ـ لا . . هو ابنك خالد !

أحس الأب بالكارثة التى وقعت على رأسه ، ورأس أسرته . . فأغلق عليه وعلى زوجته باب بيته . . ورفع سماعة التليفون حتى لا يرد على أحد . . ومنع الناس من زيارته !

○○

لم تهبط الطائرة الصغيرة التى حملت السادات من المنصة إلى فناء مستشفى القوات المسلحة بالمعادى ، إلا بعد أن أجبرتها جيهان السادات على التوجه إلى بيتها فى الجيزة ، وبقيت الطائرة وفيها السادات على النحو الذى حمل فيه اليها ، حوالى النصف ساعة ، فى المهبط الخاص بالبيت . .

وخلال تلك الفترة ، أجرت جيهان بعض الاتصالات التليفونية ببعض

الأشخاص فى الولايات المتحدة الأمريكية ، منهم ابنها «جمال» الذى كان فى نزهة ، مع بعض الأصدقاء ، فى جزيرة بالقرب من ساحل فلوريدا . . وعندما لم تجده ، طلبت ممن رد عليها ، أن يتصل جمال بالقاهرة على الفور «لأن هناك أمرا فى منتهى الخطورة تريد أن تحدثه فيه» . . ويرجح هيكل أن المكالمات التليفونية الأخرى ، «كانت مع بعض المستويات العليا ـ ربما فى البيت الأبيض نفسه ـ فقد كان هدفها أن تعرف «منهم» على وجه اليقين أية معلومات يمكن أن تكون لديهم عن حقيقة ما جرى فى بمصر» . .[٨]

وأغلب الظن أن جيهان السادات تأكدت من أن زوجها قد فارق الحياة ، ولا أمل فى انقاذه ، وهذا ما جعلها تؤجل وصول الطائرة التى تحمله ـ كل هذا الوقت ـ إلى مستشفى المعادى . .

ولعل تأخر هبوط الطائرة فى مهبط مستشفى المعادى ، قد أعطى الفرصة لحسنى مبارك ، ليصل المستشفى فى وقت مناسب . . وكان حسنى مبارك قد ركب سيارة من سيارات وزارة الدفاع ، إنطلق سائقها بأقصى سرعة من مدينة نصر ، إلى المعادى . .

ومن المؤكد أن الأفكار السوداء كانت تملأ رأس حسنى مبارك طوال الطريق إلى المستشفى . . فحتى ذلك الوقت لم يكن يعرف حقيقة ما حدث . . لم يكن يعرف الهدف من وراء الإغتيال . . هل هو مقدمة لإنقلاب عسكرى ؟ . . هل كان لسلاح الطيران الذى خدم فيه ، ويعرف كل ضباطه بالاسم ، دور فيما حدث ؟ . . هل ستعلن بعض التشكيلات تمردها ، وهو فى طريقه إلى ما تبقى من السادات ؟!

لم يكن حسنى مبارك يملك الإجابة على هذه الأسئلة ، ولا على غيرها !

ورغم أنه يثق فى وزير الدفاع أبو غزالة . .

ورغم أنه عرف أنه على قيد الحياة ، وأوصاه بأن يفتح عينيه ، قبل أن يأخذ طريقه إلى المستشفى ، إلا أنه نسى ـ من اللهفة على السادات ـ أن يحذره من خطر أن تكون المؤامرة خارجية . . أو . . من خطر إستغلال ما حدث . .

دخل مبارك المستشفى ، وقفز السلالم بسرعة ، واجتاز الممر المؤدى إلى غرفة

(٨) هيكل ـ المرجع السابق .

العمليات الذى كان يمتلىء بالأطباء ورجال الأمن ، وعندما دخل غرفة العمليات تراجع إلى الوراء عندما وقع بصره على السادات . .

كان السادات قد مات . .

لكن حسنى مبارك أمر الأطباء أن «يستمروا فى جهودهم لإنقاذ حياته» . .

كان حسنى مبارك يريد تأجيل إذاعة نبأ وفاة السادات أطول وقت ممكن ، حتى يتيح لأبو غزالة إعادة تنظيم قواته ، ومعرفة حجم المؤامرة ، وحتى يتيح للداخلية السيطرة على الأمن الداخل . .

خرج حسنى مبارك من غرفة العمليات ليجد أمامه كبار رجال الدولة . .

واقترب منه صفوت الشريف ، رئيس هيئة الإستعلامات ، وقال له :

ـ هناك ضغوط كثيرة لمعرفة حالة السادات ؟ ماذا سنقول للمراسلين الأجانب ؟ وماذا سنقول للناس ؟

وأجاب مبارك على هذه الأسئلة باقتراح ما . .

وفى نشرة أخبار الساعة الثانية والنصف قال راديو القاهرة :

ـ إن عدة طلقات أطلقت أثناء العرض العسكرى فى اتجاه المنصة ، وأن السادات ومبارك وأبو غزالة غادروا المكان !

ولم تلق هذه الصيغة قبولا من الصحافيين ، خاصة الأجانب إلا انها شككت على الأقل ، فى احتمال وفاة السادات وجعلت الناس تكتفى بالاعتقاد أنه أصيب فقط !

وكان أول من عرف ـ رسميا ـ بخبر إصابة السادات ، هو السفير الأمريكى فى القاهرة «الفريد أثرتون» ، الذى تحدث تليفونيا مع أبو غزالة ، وسأله عن السادات . .

قال أبو غزالة :

ـ لقد أصيب السادات !

ثم أضاف ـ من باب مسايرة البيان الرسمى ـ : لكن «الجراح طفيفة» !

وبعد ربع ساعة من الخبر الأول ، قطع راديو القاهرة إذاعته وأذاع البيان التالى :

« اليوم وفى حوالى الساعة ١٢٫٤٠ وفى أثناء العرض العسكرى ، أطلقت جماعة رصاصاتها فى اتجاه المنصة الرئيسية ، وفى أعقاب ذلك جرح رئيس الجمهورية وبعض من مرافقيه ، وتم نقل سيادة الرئيس إلى حيث يشرف على علاجه الأطباء المتخصصون ، فى حين يتابع نائب رئيس الجمهورية جهود الأطباء » . .

○ ○

حسب التقرير الطبى الرسمى لمستشفى المعادى الذى وقعه ١١ طبيبا ، من أكبر أطباء المستشفى ، على رأسهم مديرها أحمد سامى كريم ، ورئيس قسم جراحة المخ والأعصاب د . سيد الجندى ، ورئيس قسم جراحة القلب والصدر د . أحمد القشيرى ، وأطباء القلب : د . أحمد مجدى ، ود . محمد عرفة ، ورئيس قسم الأوعية الدموية د . محمد شلقامى ، وأطباء التخدير : د . أحمد عبد الله ، ود . محمود عمرو ، ورئيس قسم نقل الدم د . كمال عامر ، ود . محمد عطية المستشار الطبى لرئاسة الجمهورية :[٩]

وصل السادات إلى المستشفى فى الساعة الواحدة وعشرين دقيقة . . وكان فى غيبوبة كاملة . . لا النبض محسوس ، ولا ضغط الدم . . ولا ضربات القلب مسموعة . . وكانت حدقتا العين متسعتين ، ولا تستجيبان للضوء . . ولا توجد حركة بالأطراف . . ولا دماء فى أوعية قاع العين . .

ووجدت فتحتا دخول أسفل حلمة الثدى الأيسر . . ووجد جسم غريب ، محسوس تحت الجلد فى الرقبة فوق الترقوة اليمنى . . ووجدت فتحة دخول أعلى الركبة اليسرى من الأمام ، وخروج بمؤخر الفخذ اليسرى مع وجود كسر مضاعف فى الثلث الأسفل لعظمة الفخذ اليسرى . .

وهناك جرح غائر بالذراع الأيمن ، من أسفل المرفق . . وهناك دم متدفق من الفم !

وقد دخل السادات على الفور إلى غرفة الإنعاش الخاصة بحالات القلب

(٩) كنت أول من نشر فقرات من هذا التقرير فى مجلة «روز اليوسف» يوم ذكرى الأربعين لوفاة السادات ، وأضفت يومها أن الدكتور سيد الجندى عندما خرج يحمل نجمة سيناء الخاصة بالسادات تأكد الجميع أنه قد مات فعلا

الطارئة ، وتم تفريغ الدم المتجلط فى البلعوم ، ووضعت أنبوبة فى القصبة الهوائية ، وبدأت عمليات التنفس الصناعى له ، وبدأت عمليات تدليك القلب ، وتنشيطه بحقن داخل القلب نفسه ، وعمليات نقل الدم من أكثر من وريد ، وأدخلت أنبوبة فى الجهة اليسرى من القفص الصدرى لتفريغ الهواء والدم الذى تجمع فيه . .

وبالرغم من ذلك كله لم يستجب القلب ، ولم يستعد نبضه ، فتقرر تنشيطه بالصدمات الكهربائية ، وعندما لم يستجب ، تم فتح التجويف الصدرى الأيسر لتدليك القلب تدليكا داخليا مباشرا ، لكن القلب كان فى حالة استرخاء كامل وكان جذر الرئة اليسرى متهتكا هو والرئة ، وتجلط الدم داخل تجويف الصدر . .

وخلال كل هذا ، كانت هناك وصلات بين جسم السادات - أو ما تبقى منه - وبين أجهزة مراقبة القلب ، وقياس الضغط ، ورسم المخ . .

وخلال ذلك ، أجريت له أشعة على الصدر أظهرت وجود شظايا متعددة داخل الجهة اليسرى من تجويف الصدر ، وأظهرت وجود كسور بالضلوع ، وتهتك بالرئة اليسرى .

وأجريت أشعة على الفخذ اليسرى أظهرت وجود كسر متفتت بالثلث الأسفل من عظمة الفخذ . .

وأجريت أشعة على الجمجمة وكانت سليمة ، وأشعة على الساعد اليمنى وكانت سليمة . .

«وفى تمام الساعة الثانية وأربعين دقيقة بعد ظهر يوم الثلاثاء ٦ اكتوبر أظهر رسم القلب عدم تسجيل أى نشاط للقلب ، وأظهر رسم المخ توقف كامل للمخ عن العمل تأكيدا لحدوث الوفاة . .

« واعتبر سبب الوفاة صدمة عصبية شديدة مع نزيف داخلى بتجويف الصدر وتهتك بالرئة اليسرى والأوعية الدموية الكبرى بجذر الرئة اليسرى » !

○○

تلقت جيهان السادات مكالمة تليفونية خارجية من ابنها «جمال» وهى فى المستشفى . .[١٠]

(١٠) هيكل - المرجع السابق .

قالت له :

«جمال ، سوف أقول لك أمرا فى غاية الأهمية ، ولا يجب أن يظهر على ملامح وجهك أى إنفعال يراه أحد من المحيطين بك ، لأن المسألة لابد أن تظل سرا فى الوقت الراهن . إنهم أطلقوا النار على أبيك . ويجب أن تعود فورا » . .

إتصل جمال السادات بالسفارة المصرية فى واشنطن لترتيب عودته ، واتصل بالسفارة المصرية فى لندن لتحضير أحد جراحى القلب ليأخذه معه ، متصورا أن الإصابة هينة ، لكن الأنباء سرعان ما كشفت عن أن أبيه قد قتل ولفظ آخر أنفاسه . .

خرج الدكتور سيد الجندى وهو يحمل أوسمة ووشاح السادات . .

فتأكد لجيهان السادات ، وللآخرين أن سهم الله قد نفذ . .

ودخلت طلعت السادات الغرفة على أخيه ليجده مسجى ، وملفوفا بالضمادات ، ولا يظهر منه إلا جزء صغير من وجهه . .

تلقت جيهان السادات النبأ فى ثبات أذهل كل من كان حولها . .

لم تبك . .

ولم تنهار . .

وقيل إنها قالت لحسنى مبارك :

إذهب فإن مصر فى حاجة إليك !

لكن . . ليس هناك دليل على أن هذا قد حدث فعلا !

○ ○

غادر حسنى مبارك المستشفى ، إلى بيته بمصر الجديدة . .

وخلع بدلته العسكرية الملطخة بالدماء ، واستبدلها ببدلة «سفارى» صيفى غامقة . .

وذهب إلى حيث تقرر أن تجتمع الحكومة اجتماعا طارئا فى الساعة الخامسة من بعد الظهر . .

وجاء أبو غزالة ، وهو يرتدى بدلته العسكرية العادية ، بعد أن غادر أرض المنصة فى عربة رئيس الاركان إلى مكتبه فى الوزارة ، حيث غير ثيابه ، وبقى هناك حتى موعد الإجتماع !

فى الاجتماع . . لم يكن حسنى مبارك فى حاجة إلى ابلاغ الوزراء بوفاة السادات . . فقد كانوا جميعا على علم بالنبأ . . وهذا ما جعل حسنى مبارك يدخل فى مناقشة الاجراءات اللازمة للحفاظ على البلد مباشرة . .

وقال مبارك :

- إن ثلاثة من بين المتآمرين الأربعة قد قبض عليهم ، وإنهم فى مستشفى المعادى الآن ، تحت الحراسة المشددة !

وقال :

- إن الإحتمالات الأولية تشير إلى أن المتطرفين الدينيين وراء الحادث !

وقال أبو غزالة :

- إنه لاشك عنده فى اخلاص وولاء الجيش !

وقال :

- إن القذافى لم يحرك جيوشه واكتفى برفع درجة الاستعداد فى وحدات الجيش الليبى فى طبرق ، وأن الجيش المصرى على أتم إستعداد لملاقاة أى إحتمال !

وبينما كانت الحكومة المصرية داخل هذا الاجتماع غير العادى ، كانت الحكومة الأمريكية ترفع درجة الاستعداد هى الأخرى ،

وقال مصدر مطلع فى البنتاجون :

- إننا نستهدف من وراء ذلك ردع كل من يحاول إستغلال الموقف فى مصر !

وفى نفس الوقت كانت طائرتان من طائرات «أو - واكس» فى طريقهما لمصر ، لمعرفة أى هجوم متوقع عليها !

وأعلن البيت الأبيض :

- إن الأوامر صدرت للأسطول السادس فى البحر المتوسط ولبعض قوات

الانتشار السريع فى الشرق الأوسط باعلان الحالة «جـ» فى أعقاب عملية المنصه .

○ ○

إنتهى إجتماع الحكومة بموافقة الجميع على ترشيح حسنى مبارك رئيسا للجمهورية . .

وبضرورة عقد اجتماع فورى للمكتب السياسى للحزب الوطنى الحاكم . .

إستغرق إجتماع الحكومة نصف ساعة . .

وبعد الإنتهاء منه على الفور عقد اجتماع المكتب السياسى للحزب الوطنى ، الذى استمر ساعتين وربعا تقريبا ، وبحث فيه إجراءات الاعداد للجنازة ، واجراءات نقل السلطة بطريقة شرعية هادئة إلى حسنى مبارك الذى نال موافقة الجميع هنا أيضا !

لقد التفت الدولة ـ كلها ـ وراء حسنى مبارك . .

كان الجميع يعرفون أن الظروف التى تتعرض لها البلاد لا تحتمل أى خلاف أو مزايدات . .

وفى أثناء اجتماع المكتب السياسى للحزب الوطنى ، ومنذ الساعة الثامنة والثلث ، انضمت شبكات الاذاعة والتليفزيون ، وراحت تذيع آيات من القرآن الكريم . .

وتأكد الناس ـ بعد اذاعة القرآن الكريم ـ أن السادات قد مات ، وأن هناك خبرا هاما على وشك الاعلان . . فقد ذكرهم هذا بالطريقة التى أذيع بها خبر وفاة الرئيس جمال عبد الناصر . .

ثم إن البعض منهم عرف الخبر من اذاعة «مونت كارلو» التى كانت أول اذاعة ناطقة باللغة العربية تذيع النبأ .

وفى الساعة التاسعة والنصف . .

وبعد عدة دقائق من انتهاء جلسة المكتب السياسى للحزب الوطنى . .

أعلن حسنى مبارك ، على العالم ، نبأ إغتيال أنور السادات !

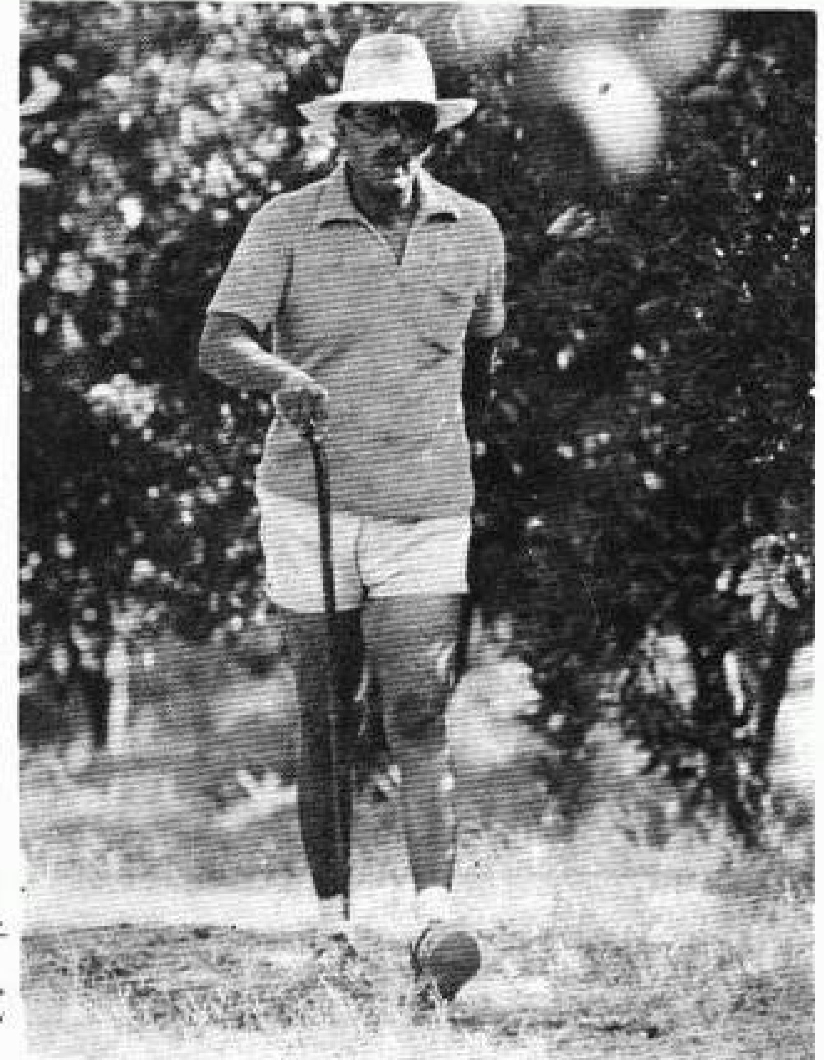
وتنفس كثير من المصريين . . الصعداء !

٧

عملية « صلاة العيد » !

« مسلم يعني إيه .. قصدك إيه ؟ »

سؤال من الأمن
لوالد خالد الاسلامبولي



مجلة تايم ٢٨ نوفمبر ١٩٧٧

فور القبض على خالد وعبد الحميد وعطا طايل بدأ التحقيق معهم . .

لقد أصيب كل منهم فى بطنه على أثر إطلاق رجال المجموعة ٧٥ مخابرات حربيــة ، الرصاص عليهم ، وفى السيارة التى حملتهم إلى مستشفى المعادى ـ التى نقل اليها السادات أيضا ـ إنهال المحققون عليهم بالأسئلة . .

أى أن التحقيق بدأ وهم مصابون ، وفى طريقهم للعلاج . .

كان المحققون لا يهتمون فى ذلك الوقت بمعرفة كيف اجتمعت إرادتهم على قتل السادات ، ولا كيف دبروا الذخيرة ، ولا كيف نفذوا العملية ، وإنما كان كل همهم معرفة حدود «المؤامرة» ، ومدى تورط «الجيش» فيها ، وعلاقة اطلاق الرصاص بهدير الطائرات ؟!

كانوا يريدون معرفة : هل هناك خطر قادم أشد بأسا من قتل السادات ، أم أن الخطر انتهى بنهاية عملية قتله ؟ . .

وقد إقتنع المحققون بعدم وجود مؤامرة «أكبر» داخل الجيش ، وأن الصدفة وحدها هى التى جمعت بين هدير الطائرات ورصاص وقنابل الجناة . .

وعلى الفور نقلت هذه المعلومات «الأولية» إلى حسنى مبارك ، الذى كان لايزال فى المستشفى ، وإلى محمد عبد الحليم أبو غزالة فى مكتبه بوزارة الدفاع . .

وفى المستشفى دخل الثلاثة غرفا خاصة للعلاج ، كان منها غرفة عناية مركزة لعبد الحميد ، الذى كانت إصابته أكبر من إصابة خالد وعطا . .

وبالصدفة . . كان قائد وحدة حراسة مستشفى المعادى ، هو ابن خالة عبد الحميد . . وهى صدفة لم تقدم ، ولم تؤخر ، لأن الذى تولى حراسة غرف

المتهمين فى المستشفى لم يكن ضباط «سرية» الحراسة ، وإنما ضباط المخابرات الحربية ، الذين تناوبوا على الحراسة بصورة مشددة ، ومنعوا أى رتبة صغيرة أو كبيرة مشكوك فى ولائها من دخولها . .

وقد تردد أن هناك محاولات جرت لإغتيالهم فى المستشفى . . ولم نعرف ما اذا كان ذلك شائعة أم حقيقة ؟ . . ولم نعرف كيف ، ولا لماذا ؟ . . كما لم يؤكد ذلك أى دليل رسمى . .

○ ○

فيما بعد . .

وصف عبد الحميد ، ما حدث لهم بعد الإنتهاء من قتل السادات . .

فقال لصديقه الصحفى «حسنى أبو اليزيد» كتابة :

ـ كانوا يعتقدون أن ضابط المخابرات الهارب عبود الزمر سوف يأتيهم من الخلف ومعه مجموعة أفراد لاغتيال فرعون ، فوضعوا حشودا من القوات خلف المنصة خوفا منه . .

فأتاهم الله من حيث لا يعلمون . . وطبعا تسلسل الأحداث فى الضرب والسرعة كانت بفضل الله تعالى . ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ صدق ربى تبارك وتعالى . . وبعد ذلك حملونى وقذفوا بى فى سيارة جيب فوق كاوتش ثم شعرت بجسد آخر يلقون به فوقى وكان يقول بصوت مسموع : آه . . آه . . آه فعرفته . . انه خالد الاسلامبولى . . وكان يتألم من الرصاص وكنت أنا أتألم من ثقل جسده فوقى . . وسارت بنا السيارة بسرعة كبيرة . . وكان معهم بنادق آلية ويضربون ويسبون ويلعنون . . وطبعا كنت أنا آخر «طناش» ونوم . . المهم وصلوا بنا مستشفى الحرس الجمهورى ، وهناك سحبونا من السيارة بعنف وضرب حتى وصلنا إلى الداخل ، ورمونا على الأرض وبدأوا فى اعطائنا العديد من الحقن ، لا أعرف أنواعها وأعدادها . . ثم قام ضابط وسب جميع الضباط والعساكر الذين حولنا وأخرجوهم وبدأوا اسعافنا بيسر وسهولة وأخذ الطبيب يسألنى عن نوع فصيلة دمى ، وكان يضربنى برقة على وجهى لكى أفيق ولكن أنا طناش . . المهم جاء طبيب كبير فى السن وأخذ يمسكنى من وجهى ويقول :

يا ابنى انت نزفت دم كثير قولى فصيلة دمك لكى ننقذك ، فقلت له إنها «ب» ولكن قلتها بصعوبة بالغة حتى يفهم أنى خلاص . . والله كانت مواقف تضحك !

. . . المهم وجدت نفسى محمولا على نقالة ، وسارت بى داخل المستشفى فترة بسيطة وشعرت بعد ذلك بأنهم يستعدون لوضعنا داخل طائرة وسوف يذهبون بنا إلى مستشفى المعادى ، وشعرت بخالد الاسلامبولى نائما بجوارى على نقالة أخرى ويقول آه . . آه . . وأنا نفسى أضحك وكنت أعتقد ان خالد بيمثل عليهم ولكنه أخبرنى انه لم يشعر بشىء الا بعد اجراء العملية فى مستشفى المعادى . . وجاءت الطائرة ووضعونا فيها ثم وصلنا المعادى ونقلونا إلى غرفة العمليات وطبعا أنا مدعى الاغماء وشعرت بعد ذلك إن فيه واحد بيحلق شعر بطنى وضوء شديد وكانت أول مرة أفتح عينى فوجدت الأضواء ساطعة وساقطة من أعلى الكشافات ومن حولى أطباء مكممين مثل السينما تماما ونظرت إلى الطبيب فقال لى : لا تخف يا ابنى ووضع جهاز الاوكسجين فى فمى وقال : اتنفس ولا تخف !

ثم بعد ذلك ظلام . .

وأفقت وجدت نفسى فى غرفة الإنعاش بالدور الخامس ، فى حجرة زجاج بمفردى وأمامى على اليمين خارج الغرفة خالد الاسلامبولى أمامى مباشرة . . وفى الخارج أيضا عطا وعلمت أنه مصاب برصاصتين وقام الأطباء ـ كما عرفت ـ بفتح بطنى للأطمئنان على أن الرصاص فى أمعائى أم لا . . فلم يجدوا شيئا وأخذت ١٥ غرزة بطول البطن . . أما الاسلامبولى فأصيب بستة رصاصات فى بطنه وقطعوا له مترا من أمعائه وعطا أصيب فى بطنه بثلاث رصاصات . . المهم الواحد كان ساعات يأخذ غيبوبة وينام ثم يفيق .

ويقول عبد الحميد :

إنه خلال المدة التى قضاها فى المستشفى تعرف على الحرس الذين وصفهم بأنهم «عيال طيبين» . . ويقول : إنهم قالوا له : «الحمد لله إنه غار فى ستين داهية» . . وإن أحدهم قال أيضا : «إن فرعون موجود أسفل فى ثلاجة المشرحة وإن الرصاص من كثرته فصل الجزء العلوى عن السفلى» . .

ويقول : إنهم نقلوا إلى مستشفى السجن الحربى فى الفجر ، فى حراسة

مشددة ، وكانت هناك كتيبة من الصاعقة حول المستشفى وفى كل عنبر يوجد اثنان من المخابرات ، وفى الخارج ضابط مخابرات وجهاز لاسلكى وتليفون غير السلاح ، وبعد كل هذا كنا على السرير مقيدين بالحديد ..

والذى كان يزعج عبد الحميد وزملاءه هو إن الممرضين كانوا من النساء .. وكانت الممرضات يطعمنهم ، ويساعدنهم على التبول ، حيث كان من الصعب أن يحدث ذلك بمفردهم ، وهم مقيدون فى سرائرهم ..

أما فيما عدا ذلك .. فكانت كل طلباتهم مجابة .. كل طلباتهم ما عدا الأخبار ..

ويقول عبد الحميد :

ـ وما من ضابط أو مسئول ناقشناه إلا ولم يستطع الكلام إما خوفا على منصبه أو خوفا من بعض من كانوا حوله والكل يصمت ويقول : ماذا نفعل ؟

وكان هناك طبيب ملتح ، كان يتعاطف معنا وكان يؤيدنا تماما ، لكننا لم نره بعد ذلك ..

وحدث نفس الشىء مع أحد رجال الحرس الذين «أخذنا» عليهم ..

وفى يوم عاشوراء أرسلت احدى أمهات رجال الحرس لنا طبق «عاشورة» ، وفى ذلك اليوم فقط سمحوا لنا بالجرائد ..

وطبعا ..

هذه كانت حالات شاذة ..

لأن الأغلبية كانوا عايزين «الشنق» !

.. وبعد ذلك ..

مرت الأيام .. وأصبت بنزلة برد وحالة اختناق ومكثت فيها ثمانية أيام فى تعب ، دون نوم ، وأعطونى علاجا مركزا وكان الاطباء يأتون من المعادى يوميا ..

أخذت حوالى سبعين حقنة ، كنت أعدهم ، والحمد لله مرت بسلام ..

وبعد أن شفيت نقلت للسجن الحربى .

فى الوقت نفسه ..

كان رجال المخابرات الحربية يفتشون بيوتهم بحثا عن أدلة إضافية ، أو تفسيرات جديدة للألغاز المعقدة ، التى بدت فى ذلك الوقت بلا حل ..

لكن ..

لم يكن فى بيوت الجناة أى شىء له قيمة بالنسبة للنيابة العسكرية ، الجهة التى تولت التحقيق ..

وجدت المخابرات الحربية شرائط كاسيت مسجلا عليها القرآن الكريم ، وأحاديث لبعض أئمة المساجد المقبوض عليهم مثل الشيخ «المحلاوى» ، والشيخ «عبد الحميد كشك» ..

ووجدت كتبا دينية ، ومنشورات للجماعات الإسلامية ، ومنشورات للإتحادات الطلابية ..

ووجدت بدلا عسكرية ، و «بوصلات» لمعرفة الإتجاه الصحيح للقبلة .

ولابد أن الذين فتشوا بيوت الجناة ، إكتشفوا بسهولة فقر الأثاث ، وضعف الامكانيات ، وعدم وجود كماليات ، أو سلع ترفيهية ، أو أجهزة كهربائية بخلاف جهاز «الكاسيت» الذى كان يستخدم لسماع الشرائط الدينية وشرائط القرآن الكريم فقط ..

ولابد أنهم لاحظوا أن الشقق بسيطة ، وضيقة ، وليس فيها ما يغرى بطول إقامة !

○ ○

لم يحضر أى محام مع أى متهم التحقيقات ..

وانتهت التحقيقات مع المتهمين دون أن يتاح لهم فرصة إحضار محام ، كما ينص الدستور والقانون ..

إن المادة ٦٧ من الدستور تنص على أن «المتهم برىء حتى تثبت ادانته فى محاكمة قانونية تكفل له فيها كل ضمانات الدفاع عن نفسه» .. وتنص المادة ١٢٤

من قانون الإجراءات الجنائية على أنه لا يجوز للمحقق فى الجنايات أن يستجوب المتهم أو يواجهه بغيره من المتهمين أو الشهود إلا بعد دعوة محامين للحضور . .

إن القانون لا يفصل بين المتهم ومحاميه الحاضر معه أثناء التحقيق . .

وقد سئل عبد الحميد ، فى الساعة الثانية صباحا ، وهو فى غرفة الإنعاش :

ـ هل كان معك محام ؟ .

وقد اعتبر محامى المتهم ، شوقى خالد ، فى الإلتماس الذى رفعه لرئيس الجمهورية بعد أن صدرت الأحكام ، أن هذا السؤال هو اعتراف صريح من النيابة العسكرية فى ضرورة أن يكون مع المتهم فى التحقيق محام . . «وهو تحايل ذكى منها . فكيف كان يمكن للمتهم وهو فى غرفة الانعاش ، وفى هذا الوقت ، أن يستعين بمحام ، وكيف كان سييسر للمحامى أن يتواجد معه » .

وعندما طلب متهم آخر[1] محاميا للحضور معه ، سئل عن المحامى الذى يريده ، وعندما أجاب ، قبض عليه هو الآخر ، وحرم المتهم من وجود محام .[2]

والغريب أن المتهمين أجابوا على أسئلة المحققين وهم مربوطون فى السراير ، والحديد فى اليدين والقدمين ، أما أجسامهم فقد لف حولها مع الفراش بشرائط « البلاستر » . .

« وليس هناك شك أن المقبوض عليهم قد لقوا معاملة سيئة ، ولقد أكدت التقارير الطبية ذلك . . قيدوا بالسلاسل ، وضربوا بالكرابيج وبخراطيم المياه ، وعانى بعضهم من كسور فى الجمجمة وفى عظام الساق والركب وفى أجزاء أخرى من أجسادهم » . .[3]

وفيما بعد أثبتت المحكمة ما تعرض له المتهمون من معاملة سيئة .

وإن كان رئيس النيابة العسكرية ، العقيد يحرى محمود عبد القادر قد قال لى :

(١) كان هذا المتهم هو محمد عبد السلام فرج .
(٢) الالتماس المقدم من شوقى خالد ـ محامى المتهم الثانى ، المرفوع لرئيس الجمهورية والمسلم يوم ١٩٨٢/٤/٥ .
(٣) هيكل ـ خريف الغضب ـ ص ٥٣٥ .

إنها المرة الأولى فى تاريخ القضايا السياسية فى مصر التى يعامل فيها المتهمون بهذه الصورة الحسنة التى شهدوا بها علنا أمام العالم !![4]

ولم أعرف ما إذا كان المتهمون قد شهدوا بذلك أم لا ؟

وفيما بعد دفع المحامون ببطلان اعترافات المتهمين «لتحصلها نتيجة الاكراه» . .[5]

« ذلك أن الاكراه أيا كان نوعه ماديا أو معنويا وأيا كان حجمه جسيما أو طفيفا فانها يعدم الارادة الحرة المطلقة ويعيب الاعتراف الصادر عن هذه الارادة » . .

وذلك لأن « مجرد التلويح بوسائل التعذيب البدنى العسكرية إنما تؤدى بالحتم والضرورة إلى إنعدام الإرادة » وفيما بعد ، جاء فى حيثيات الحكم : ان المتهمين لم يقعوا تحت إكراه . .

لكن الدفاع رد على ذلك قائلا :

« إن تقرير المحكمة بذلك هو تقرير نابع من انفعال شخصى أو ذاتى بعيدا عن التأصيل القانونى ذلك أنه يتعين على المحكمة وهى تدرك مسئولياتها أن تقرر ما هى الضوابط الموضوعية وأن تسجل المعايير المادية التى تنص بمقتضاها على وقوع اكراه على المتهمين أيا كان نوعه ، اكراها ماديا أو معنويا حتى يمكن القول بأنها تستخلص نتيجة صحيحة من سبب قانونى »[6]

وقد أخذ الدفاع على اجراءات الإستجوابات أيضا أنها لم تخضع لقانون الإجراءات الجنائية . .

فالمادة ١٢٣ من هذا القانون تنص على أنه : « عند حضور المتهم لأول مرة فى التحقيق يجب على المحقق أن يثبت شخصيته ثم يحيطه علما بالتهمة المنسوبة اليه ويثبت أقواله فى المحضر . . » . .

ويقول المحامون :

ـ إن ذلك كله لم يحدث !

بل . .

(٤) روز اليوسف ـ ٣٠ نوفمبر ١٩٨١ .
(٥) شوقى خالد ـ المرجع السابق .
(٦) شوقى خالد ـ المرجع السابق .

حدث عكس ذلك ..

فقد ادعى المحقق الذى كان يتولى إستجواب خالد الاسلامبولى : « ان الرئيس لم يقتل ، وإنما أصيب بجروح يتماثل للشفاء منها » ..

وهذا يعنى أن المحقق واجه خالد بتهمة « محاولة قتل السادات » لا بتهمة «قتله» ..

والغريب أن خالد رد عليه قائلا :

ـ إنك لن تستطيع أن تخدعنى ، لقد وضعت فى جسده أربعا وثلاثين رصاصة فابحث لك عن شىء آخر تخدعنى به » !

أى أن الآية هنا معكوسة ..

محقق ينفى التهمة ، ومتهم يعترف بها !

○ ○

فى أثناء التحقيق مع خالد ، قبض على أبيه ..

كان الرجل ـ كما قال ـ توقع القبض عليه ، وأن لا تتوقف المصيبة عند الحد الذى شاهده بنفسه فى صور جريدة «الأخبار» فى اليوم التالى للحادث ..[٧]

قبض على أحمد شوقى الاسلامبولى يوم ١٠ اكتوبر ..
وقد قال الرجل :

ـ نعم توقعت القبض على .. وعندما جاءت المباحث كنت أصلى العصر ، وقلت لهم : عندى مسدس مرخص .. وسلمته لهم ..

تمت عملية القبض على الأب فى هدوء .. ثم أخذوه من ملوى إلى المنيا .. أخذوا منه بعض الأسماء والبيانات ، وسألوه :

ـ ايه رأيك فى خالد ؟

فقال :

ـ خالد رجل أمين ومسلم وصادق ولا يكذب ، وهو حائز على جائزة الشرف فى الأخلاق فى الكلية الحربية ، وأنا عندما كنت أسأله عن دراسته كان يقول لى :

اسألنى فقط عن درجة الأخلاق !

سألوه :

ـ مسلم يعنى ايه ؟

قال :

ـ أبونا علمنا أن نصلى ونصوم ونعرف فروض ربنا ، وأنا ربيت أولادى على ذلك .. خالد ومحمد .. وعمر كل واحد منهما سبع سنوات .

سألوه :

ـ ما هى الدوافع وراء قيام خالد بهذا العمل ؟

قال :

ـ لا أعرف !

ـ سألوه :

ـ لو كنت تعرف كنت عملت ايه ؟

قال :

ـ لو كنت أعرف كنت أفدى ابنى !

سألوه :

ـ ما رأيك فى السادات ؟

قال :

ـ انه رجل يكفر المسلمين ويقول على علماء الدين إنهم كفرة .. وقال عن الشيخ المحلاوى إنه مرمى فى السجن زى الكلب !

وسألوه :

ـ وما رأيك فى الإنفتاح ؟

قال :

ـ إنه عملية نهب !

وسألوه :

ـ وكامب ديفيد ؟

قال :

ـ علشان تسألونى فيها ، أحضروا بيان السادات وخطابه فى الكنيست ثم المعاهدة نفسها ، وشوفوا البلد اتباعت النهاردة ازاى ؟

ومن المنيا نقل الرجل الى أحد سجون القاهرة !

وفى السجن ، كانت المعاملة باعترافه ، معاملة حسنة . .

ـ لم يمسنى أحد بسوء !

وبعد فترة نقل داخل السجن إلى عنبر رقم «٧» . . وكان ذلك يوم ٦ نوفمبر ، أى بعد الحادث بشهر . . وفى العنبر الجديد الذى كان يضم بعضا من الشيوعيين والناصريين الذين سجنوا فى سبتمبر ، عرف من عبد الرحمن الشرقاوى ، وفيارى عبد الله ، أن ابنه كان على قيد الحياة . . لم يمت . . لم يقتل يوم الحادث .

فرح الرجل بالخبر . .

لكنه لم يستطع أن يرى ابنه . .

ومرة أخرى سألوه :

ـ ما رأيك فى حادث إغتيال السادات ؟

قال :

ـ إن الله لا يقر القتل . . لكن ابنى لم يكن قاتلا !

ومرة أخرى سألوه عن السادات ؟

فقال :

ـ إنه رجل كافر باع البلد ونكل بالمسلمين . . كما قلت من قبل !

ويقول الرجل :

ـ إنهم ألحوا كثيرا فى هذا السؤال حتى أنهم على مايبدو تصوروا أننا أقرباء للفريق أحمد بدوى الذى راح ضحية تحطيم طائرة الهيلكوبتر الشهيرة فى الصحراء الغربية !

وعندما سأله مندوب جريدة «الأنباء» الكويتية فى القاهرة :

ـ لماذا تصوروا ذلك ؟

قال :

ـ لا أعرف . . ولكنه على كل حال تصور مضحك ، أن يعترف نظام السادات من تلقاء نفسه أن ابنى قام بقتل السادات إنتقاما وقصاصا لرجل ليس بقريب لنا ، أو بعيد ، اللهم إلا قرابة الإسلام !

قال الصحفى :

ـ نحن لا نصدق ما نسمعه منك . . هل تصوروا ان خالد قتل السادات إنتقاما لأحمد بدوى ؟

فقال الرجل :

ـ نعم !

قال الصحفى :

ـ هل هذا يعنى أن طائرة أحمد بدوى لم تتحطم قضاء وقدرا ؟

قال الرجل :

ـ اللى على رأسه بطحة يحسس عليها !

○ ○

قبض على حسين عباس بعد ٣ أيام من الإغتيال . .

وكان من الممكن أن لا يقبض عليه ، وأن يفلت من العقاب . . فالمخابرات الحربية لم تكن تعرف أنه شريك فى الجريمة ، وإن كانت قد عرفت أن هناك شريكا رابعا . . وأن هذا الشريك ضمن القتل الذين خلفهم الحادث . .

وقد تصور خالد وعطا وعبد الحميد أن حسين قد إستشهد فذكروا اسمه فى التحقيقات بلا حرج . . فراجعت المخابرات الحربية أسماء القتلى ، واكتشفت أن اسم حسين عباس ليس منهم . .

ثم . . عرفت مكانه . . وراحت لتقبض عليه . . وعندما قابل حسين عباس الآخرين قال لهم : « مخلصنيش إنكم تستشهدوا لوحدكم » !

أما محمد عبد السلام فرج ؛ فلم يقبض عليه إلا بعد أسبوع من الحادث ، أى فى ١٣ أكتوبر . .

لقد ترك عبد السلام فرج القاهرة ، فور وقوع الحادث إلى «الدلنجات» مسقط رأسه ، وبقى عند قريب لزوج أخته . .

وعندما أنكر معرفته بالجناة ، مؤكدا أنه لم ير صورهم إلا فى الصحف الصادرة بعد الاغتيال ، سئل :

- ولماذا تركت القاهرة بعد الاغتيال ؟

لم يتردد عبد السلام فرج فى الاجابة ، وقال :

- خفت أن يقبض على ! وخاصة أن ساقى فى الجبس ، وأخشى أن لا أجد الرعاية الطبية لها فى السجن !

سأله المحقق :

- ولماذا يعتقلونك مادمت بريئا ؟

قال :

- سمعت أن رجال المباحث جاءوا إلى والدى قبل العرض وأبلغوه انهم يبحثون عنى !

وسئل :

- ولماذا حلقت ذقنك ؟

قال :

- لأبعد عنى أى شبهة فى هذه الأيام التى يقبضون فيها على كل ملتح ، وكل من يلبس عمامة !(٨)

وعندما ذهب رجال المباحث لتفتيش بيته ، قبضوا على زوجته ، وإستجوبوها . .

وسألها المحقق :

إذا كانت شقتكم لا تحتوى إلا على غرفتين . . فكيف كنتم تستقبلون زوارا كثيرين وبصفة مستمرة ؟ . . كيف كنت تتصرفين كمسلمة حقيقية معهم ؟ . . هل كنت ترتدين الحجاب داخل البيت ؟

قالت :

- لا . . كان الزوار يقرعون الباب وكنت أقول للطارق أن ينتظر قليلا حتى أدخل الغرفة الداخلية ، وأفتح الباب ، وأدخل الحجرة الداخلية قبل أن يدخل الزائر من باب البيت ، فلم تقع عينى على أحد منهم !

○ ○

. . وقبض على المقدم عبود الزمر أيضا . .

لكنه . . قبض عليه بعد أن انفجرت الأحداث الدامية فى أسيوط . . التى كان هو وراءها . . متصورا أن أسيوط هى المدينة التى يمكن منها اعلان الثورة الاسلامية فى مصر . .

لقد تصور الزمر أن حالة الفوضى بعد الإغتيال فرصة سانحة لتتحرك كل الخلايا للسيطرة على البلد . . وأن نبأ مصرع السادات يمكن أن يكون الشرارة التى تؤدى إلى إنتفاضة شعبية واسعة . .

وفى التحقيقات أشار عبود الزمر «أكثر من مرة إلى نموذج ايران حيث لم يستطع الجيش ولا البوليس مواجهة حركة جماهير لديها القوة الكافية ولديها التصميم» وكان رأيه أيضا : «أن اللجان الثورية يجب أن تكون فى وضع يسمح لها بالسيطرة

(٨) تحقيقات النيابة العسكرية .

على الشارع ، وإلا فإن الشيوعيين كانوا يستطيعون استغلال الموقف لبسط سيطرتهم هم »[9]

وهذا ما دفع تنظيم «الجهاد» إلى القيام بأحداث أسيوط . .

كانت صلاة عيد الأضحى هى ساعة الصفر . .

قبل موعد الصلاة بنصف ساعة إنتشرت قوات الأمن ، وتفرقت على مساجد المدينة ، لتحرسها ، بلا سلاح ، حتى لا تستفز المصلين . . وخلت مديرية الأمن وأقسام الشرطة الأخرى ، من أغلب الضباط والجنود ، ولم يكن على مداخلها سوى حراسة عادية جدا . .

وقبل ربع ساعة من الصلاة ، وقفت سيارة بيجو - ٥٠٤ ، بيضاء اللون أصلا ، مدهونة بطلاء أزرق ردىء ، وتحمل أرقام (١١٦٠٠ - ملاكى القاهرة) مكتوبة باليد ، وسيارة فيات - ١٢٥ ، جديدة ، تحمل أرقام (١١٧٢ - ملاكى سوهاج) أمام مبنى مديرية الأمن ، ونزل من السيارتين ثمانية أشخاص مسلحين ، سارعوا فى ثوان بفتح نيران بنادقهم الآلية ، على جنود الحراسة الذين لم تتح لهم المفاجأة اطلاق رصاصة واحدة على المهاجمين ، وسقط مع الحرس ، الملازم أول أحمد وحيد ، على مدخل المديرية ، واقتحم المهاجمون المبنى العتيق الذى يرجع عمره إلى سنة ١٩٠٥ ، واستولوا على ٣٠ بندقية من مخزن السلاح ، ومدفعين من طراز «برن» ، وتمركزوا فوق سطح المبنى بعد أن قتلوا العميد رياض شكرى مساعد المدير الذى كان مرتديا «بيجامة» وفوجىء هو الآخر بالهجوم .

فى نفس لحظة الهجوم على مديرية الأمن ، تحركت أربع مجموعات أخرى من أعضاء التنظيم ، فى باقى أنحاء المدينة ، لتنفيذ باقى الخطة ، وهى أن تتحرك مجموعة فى سيارة مسرعة ، تخرج من نوافذها مواسير البنادق الآلية ، تجوب شوارع وسط المدينة ، وتفتح نيرانها على جنود الحراسة ، وعلى عجلات سيارات الشرطة ، وعلى الجنود القابعين فيها . . ومجموعة أخرى اتجهت إلى مبنى مركز الشرطة «قسم ثان» فى شرق البلد لاحتلاله . . ومجموعة ثالثة اتجهت إلى قسم أول فى غرب المدينة . . والمجموعة الأخيرة كانت احتياطية لامداد باقى المجموعات بالرجال والسلاح والذخيرة . كان عدد من اشتركوا فى العملية يتراوح ما بين ٦٠ - ٧٠ شابا . . تتراوح أعمارهم ما بين ١٨ - ٢٦ سنة . . وكانت كل

(٩) هيكل - المرجع السابق - ص ٥٤٠ .

مجموعة من مجموعات الهجوم ، يتراوح عدد أفرادها ما بين ٧ - ٨ أشخاص . . أما باقى المشتركين فى العملية فكانوا إحتياط . .

وقد قال لى مدير أمن أسيوط - يومها - اللواء محمود عيد ، وأنا أغطى الحادث على الطبيعة :[10]

- الحادث نفذ بأسلوب المحترفين . . فقد اختاروا التوقيت بدقة ، حيث ينتشر أغلب الجنود بدون سلاح بالقرب من المساجد ، واستفادوا من عنصر المفاجأة وعدم التوقع ، فوقوف سيارة ملاكى أمام مبنى مديرية الأمن أمر طبيعى وعادى ، ويحدث كل لحظة .

والسلاح الذى كان معهم من النوع غالى الثمن فإذا كان معهم ١٨ بندقية آلية وإذا كان سعر هذه البندقية هنا فى الصعيد حوالى ٢٠٠٠ جنيه ، فمن أين جاءوا بحوالى ٤٠ ألف جنيه وهم من أسر فقيرة ، متواضعة ؟[11]

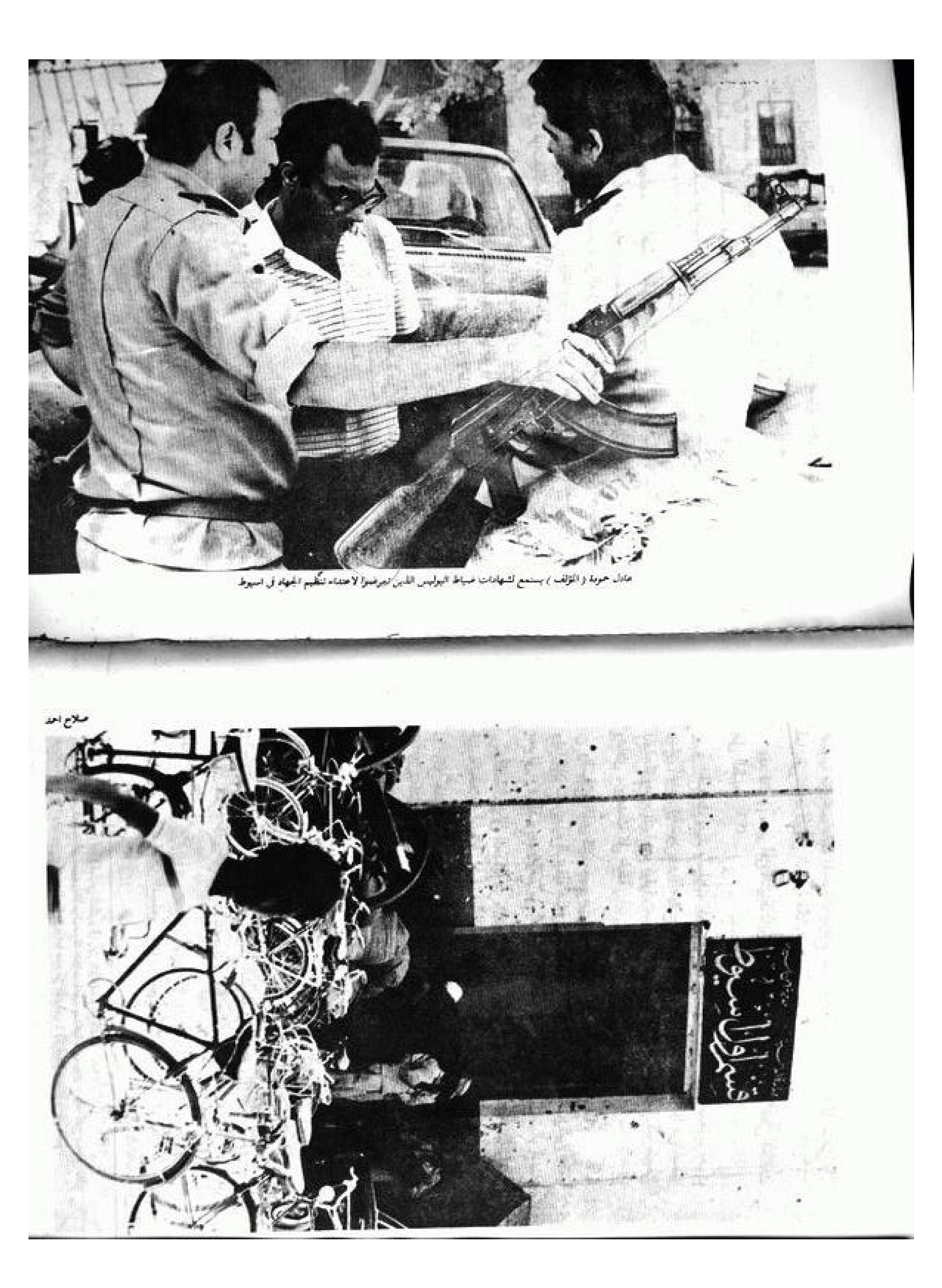
والمشتركون فى العملية من اكثر من محافظة ، من سوهاج ، ومن المنيا ، ومن قنا ، بخلاف أسيوط ، وهذا التنوع الجغرافى لابد أن يكون له معنى .

وكل هذا يوضح فى كفة وقدرتهم الفائقة على ضرب النار وإستخدام السلاح فى كفة أخرى . . صحيح أنهم طلبة وشبان صغار ، لكن صحيح أيضا أن مستوى إستخدامهم للسلاح يؤكد أنهم تلقوا تدريبا عاليا ومستمرا عليه . . إن من يصل الى مستواهم فى ضرب النار لابد أن يكون قد أطلق من قبل ما لايقل عن ١٠ آلاف طلقة فى تدريبات مستمرة ، ودقيقة . .

وقد اعترف أحد المشتركين فى العملية - كما قال لى الرائد حسن الكردى - انه لولا سيطرة الشرطة على الموقف لكانوا قد نجحوا فى تنفيذ خطتهم التى كانت تستهدف - كما قال - السيطرة على مراكز الشرطة فى المدينة ، واعطاء اشارة البدء لجماعات أخرى تنتظر فى البيوت لتتحرك فى مظاهرات واضطرابات يمكن أن تمتد إلى محافظات أخرى .

وقال لى العقيد فتحى المسلمى مأمور قسم أول أسيوط :

(١٠) لمزيد من التفاصيل اقرأ تحقيقى المنشور فى روز اليوسف - ١٩ اكتوبر ١٩٨١ .
(١١) فيما بعد اتضح أن مصدر الأموال سرقة محلات ذهب يملكها مسيحيون ، وقد أفتى بتحليل ذلك عبد السلام فرج ! وفيما بعد حكمت المحكمة ببراءة عدد من المتهمين ، ولم تحكم باعدام واحد منهم !



عادل حمودة (المؤلف) يستمع لشهادات ضباط البوليس الذين تعرضوا لاعتداء تنظيم الجهاد في اسيوط

صلاح احمد

- إن المجموعة التى هاجمتنا كانت ترتدى لباس عساكر الجيش .. كانوا فى البداية حوالى ٧ أفراد .. وجاء الهجوم فى السادسة صباحا ، تقريبا ، بعد أن خرج معظم أفراد القوة لحراسة المساجد ، فقاومهم الملازم أول عصام مخلوف ، ضابط مباحث القسم بطبنجة لا تستخدم الا كتسليح شخصى للضباط .. وكان من الصعب مواجهة البنادق الآلية بطبنجة .. فاستشهد الضابط فى ثوان ..

تحركنا لمواجهتهم .. أصبنا عجلات السيارة التى جاءوا بها .. عجزوا عن التحرك والهرب .. قتل واحد منهم وأصيب اثنان .. سحبوا القتيل .. وجروا إلى بيت المواطن سعد محمد عمر الذى يقع فى مواجهة مبنى القسم على بعد ٢٥ مترا .. وظل تبادل النيران بيننا وبينهم حوالى ٣ ساعات ، واستخدمنا بعد حضور قوات الأمن المركزى الأسلحة الآلية والقنابل المسيلة للدموع .. وكانوا قد نجحوا فى أن تنضم اليهم مجموعة أخرى لتدعيمهم فزاد عددهم إلى ٢٠ شخصا .. ولم يستسلم أغلبهم مباشرة ، وانما قفزوا إلى سيارة «جيب» تحمل رقم ٦ - مطافى أسيوط ، وحولوها إلى قاعدة حصينة لاطلاق الرصاص .

ولكن ..

عند غروب الشمس تم لرجال الأمن السيطرة على الموقف !

وأعلنت على الفور حالة الطوارىء فى المدينة ..

وأصبح حظر التجول جزءا من عاداتها اليومية !

○○

إستغرقت التحقيقات ١٠ أيام ..

كان عدد المتهمين فى قضية الإغتيال قد إرتفع إلى ٢٤ متهما .. بين منفذ ، ومحرض ، ومشارك ..

وقد بلغ عدد صفحات التحقيقات ٧٥٠ صفحة ..

وقال لى رئيس النيابة العسكرية :

- إننا كنا نعمل فى التحقيقات مع المتهمين أكثر من ١٠ ساعات يوميا !

وعندما سألته :

- كيف ضم المتهمون الذين قبضت عليهم مباحث أمن الدولة إلى المتهمين الذين قبضت عليهم المخابرات الحربية ؟

قال :

- كان المتهمون الأربعة الأوائل تحت سيطرتنا تماما .. أما المتهمون الآخرون فكانوا يرسلون الينا من مباحث أمن الدولة للتحقيق معهم ، ثم يعودون إليها مرة أخرى .

والذى لم يقله رئيس النيابة العسكرية هو أن أقوال المتهمين فى التحقيقات ليست مرتبة حسب ترتيب قرار الاتهام ، وانما حسب تواريخ القبض عليهم ، وحسب حالتهم الصحية ..

والذى لم يقله أيضا :

أن النيابة العسكرية طلبت من المتهمين تمثيل الحادث كما وقع ، وبالفعل نفذوا ماطلب منهم ..

وما طلبته النيابة العسكرية ، منهم ، يختلف عن تمثيل الحادث الذى قامت به لجنة فنية خاصة فى موقع المنصة ، مستخدمة نفس الأسلحة ، ونفس العربة ، ونفس الخطة ، بعد أن إستبدلت شخصيات المنصة بشخوص خشبية ! وقد مثلوا الحادث بالضبط ..

لكنهم فشلوا فى تقليده فى نفس الزمن الأصلى ..

○○

نقل المتهمون - بعد شفاء المصابين منهم - إلى السجن الحربى ..

وكان المتهمون منذ القبض عليهم قد أعلنوا الصيام ، تكفيرا عن قتلهم بعض من كانوا فى المنصة بطريق الخطأ ..

وقد قال حسين عباس وعطا طايل فى هذا الشأن :

«إن كل إنسان فى يوم القيامة سوف يحاسب طبقا لنواياه ، وإذا قتل برىء فى سبيل الوصول إلى ظالم فإن الله سوف يبعث البرىء يوم القيامة بريئا » ..

وفى السجن الحربى لم تكن اصابة خالد من الرصاصة التى أصابته يوم الحادث قد زال أثرها ، إلا أن روحه المعنوية كانت مرتفعة ..

وقال أقاربه الذين زاروه فى السجن : إنه كان يقرأ القرآن دون توقف وإنه لم يكن نادما على ما فعله ، بل كان حزينا لأنه سبب المتاعب لأهله ..

وقد كان عنده حق بالفعل .. فقد قبض على والده «أحمد شوقى الاسلامبولى» .. ووالدته : «قدرية محمد على يوسف» .. وتعرض بيت شقيقته «سمية» بشارع عبد الحميد أبو هيف بمصر الجديدة للتفتيش اليومى .. وهو البيت الذى كان يقيم فيه قبل الحادث .. وتعرض زوجها ، وخالته «خديجة» وزوجها «سعد رشوان» وولديه «رشوان» و «جمال» للإستجوابات .. ومنعوا جميعا من السفر خارج البلاد .. حتى إلى المملكة السعودية لأداء فريضة الحج أو العمرة .. وحرموا من حرية التنقل داخل البلاد ..[12]

وقال الذين زاروه فى السجن :

إنه أخبرهم أنهم أدخلوا إلى زنزانته كلبا بوليسيا متوحشا .. كان الكلب جائعا ، وكان من الممكن أن ينهش لحمه ويفتك به ..[13]

لكنه دخل عليه وهو يصلى ..

وبعد أن فرغ خالد من الصلاة وجد الكلب بجواره جالسا على مؤخرته صامتا ، لا يحرك سوى ذيله ..

وربت خالد على رأس الكلب ، حتى جاء من أخرجه من عنده ..

وقال خالد :

- إن هذا الكلب قد آذى آخرين ممن كانوا معى عدا واحدا فقط !

ولم يذكر الذين نقلوا هذه الرواية من هو هذا الشخص !

وعندما كان خالد فى السجن الحربى ، تقدمت أكثر من فتاة تطلب أن

(12) فى 28/4/1984 ، رفع المحامى عبد الحليم رمضان دعوة لعائلة خالد الاسلامبولى ضد رئيس الجمهورية ووزير الداخلية لمنعهم من السفر .. وقد اعتبر عبد الحليم رمضان خالد الاسلامبولى - فى عريضة الدعوة - شهيدا ، وبطلا قوميا مثله مثل أدهم الشرقاوى .. وتعجب من أن يعاقب أفراد أسرته بذنبه ، وخاصة أن العقوبة فى أى جريمة هى عقوبة فردية لمن ارتكبها فقط .

(13) روى القصة والده .

يتزوجها .. رغم أن مصيره كان معروفا مقدما .. الاعدام رميا بالرصاص .. لكن .. خالد رفض كل هذه العروض ..

وتقدم رجال مسلمون من مصر ومن خارجها للزواج من زوجات الآخرين .. لكنهن رفضن ..

وفيما بعد مات رضيع حسين عباس ، الذى حضر «سبوعه» بعد هروبه من أرض الحادث ، وكانت الوفاة طبيعية بعد أن أعدم أبيه بفترة وجيزة ..

وفيما بعد .. بالتحديد فى 17 أبريل 1982 ، أصدرت المحكمة الدستورية العليا قرارها ببطلان اعتقال والد خالد الإسلامبولى .. لكن .. قرار الافراج عنه تأخر رغم ذلك ..[14]

٥ ٥

وفيما بعد ..

سألت صحيفة معارضة مصرية[15] الأب :

- هل كنت تتوقع أن يقتل ابنك السادات ؟

فقال :

- لا !

وسئل :

- هل تصورت ذلك بخيالك ؟

فقال :

- لا !

وسئل :

- هل هناك علاقة بين ابنك وسعد الشاذلى ؟

(14) رفع القضية أيضا الأستاذ/ عبد الحليم رمضان .

(15) صحيفة «الأحرار» .

فقال :

ـ لا . . فخالد ورفاقه ليسوا من تلاميذ سعد الشاذلى ، كما إدعى هو ذلك ، فلم يكن خالـد قد تخرج فى الكلية الحـربية حينما ترك الفريق الشاذلى القوات المسلحـة . . لقد تخرج خالد فى الكلية الحربية عام ١٩٧٧ ، بينما ترك الفريق الشاذلى القوات المسلحة عام ١٩٧٣ .

وسئل :

ـ هل تعتقد أن قرار خالد باغتيال السادات كان قرارا فرديا ؟

فقال :

ـ تماما !

o o

وفيما بعد . .

سئلت أم خالد :

ـ ماذا لو عاد ابنك وعاد السادات ؟

فقالت :

ـ يعود السادات . . يعود الظلم . . لكن يعود خالد أيضا !

٨

الوصية الأخيرة !

« لايعلو قبرى على الأرض ، ولاتخرج أنثى ولابكاء ولا عويل »

من وصية
عبد الحميد

لابد .. أن السؤال الذى خطر على بالى ، قد خطر على بالك أيضا ..

كيف تكون حياة إنسان قرر الإنتحار علنا ، أمام شاشات التليفزيون ، وهو يفرغ رصاص سلاحه فى جسد أكبر رأس فى الدولة ؟

إن المحكوم عليه بالاعدام يعرف أنه سيشنق .. ويتصرف على أنه سيموت .. سيموت ..

والذى يقرر أن يقتل نفسه ، يمكن أن نتوقع مشاعره ..

لكن ..

الذى سيفعل ، ما فكر فيه خالد ، وعبد الحميد ، وعطا ، وحسين ، كان غريبا علينا .. ولا نعرف كيف يكون حال من يسعى اليه ؟! هل يشعر بالحزن ؟ .. هل يمشى وهو يقفز من السعادة ؟ .. هل يسيطر عليه القلق .. هل تحكمه عقيدة اللامبالاة ؟! ..

إن من المؤكد أن هؤلاء الأربعة كانوا فخورين بأنفسهم .. وكانوا سعداء .. يسيطر عليهم المرح وروح الدعابة .. وكانوا يؤمنون أن أبواب الجنة تنفتح أمامهم .. وأن مكانهم فيها قد تحدد من اللحظة التى عقدوا النية فيها على قتل أنور السادات ..

لذلك ..

لم يشعر أحد منهم بالحزن ولا بالاكتئاب ولا بفقد الشهية فى الأيام السابقة على ساعة الصفر ..

بل إنهم - بمجرد أن أخذوا قرارهم - راحوا يمرحون ، ويأكلون بشهية أكبر ، ويتبادلون الآراء السياسية الساخرة من كل ما يحدث فى مصر ..

ففى يوم السبت ٣ اكتوبر ، جلس خالد على أرض احدى حجرات مخيأ عبد السلام ، وهو يلعب بطلقات الرصاص ، وكأنها حبات من «الزلط» . . رصها صفوفا . . ودوائر . . وألقى بها فى الهواء ثم راح يتلقفها . . بينما إنشغل عطا بقراءة حديث السادات لمجلة اكتوبر ، الذى كان يتحدث فيه ـ خصيصا إلى الشباب . . ويقدم له نصائح خبرته ومشوار عمره . .

قال عطا :

ـ أين هؤلاء الشبان الذين يتحدث عنهم ذلك الرجل ؟ . . اننى لا أعرف أولئك الشبان الذين يتحدث عنهم ؟

رد عليه عبد الحميد ، وهو يتقمص شخصية كهل :

ـ ياولدى . . احنا مش شباب . . احنا يالا حسن الختام . . رجل فى الدنيا ورجل فى الآخرة !

قال خالد وهو يعيد الحوار إلى مساره الجاد :

ـ إن مصر لم يكن لها حظ فى حكامها . . لا الاجانب ولا المصريين . . إنهم يعاملوننا كما لو كنا من عبيدهم . . لقد نجحوا فى القليل وإخطأوا فى الكثير . . أعمتهم السلطة وخدعهم كرسى العرش ، فتخيلوا أنفسهم آلهة ، وتصورونا أقزاما . . حتى عندما وفقهم الله فى قرار أو انجاز ، أذلونا به ، واعتبروا أنفسهم أصحاب الحق فى منحنا الرزق والحياة . . ياسبحان الله ، هذا الطاغوت الذى يتحدث اليوم فى هذه المجلة وكأنه سيعيش مليون سنة ، لا يعرف أن الله سيضع نهايته على أيدينا بعد ثلاثة أيام . .

فى ذلك الوقت كان حسين عباس يأكل وجبة من الكفتة والكباب ، على رصيف قريب من بيت احدى شقيقاته . . لقد أحس حسين بضرورة أن يغذى نفسه فى تلك الأيام القليلة السابقة على موعد العرض ، ليكون قادرا على القيام بدوره بنجاح . . إنه منذ أصيب بمرض فى قلبه وهو لا يأكل أصنافا كثيرة من الطعام ، خاصة الدهون ، الأمر الذى جعله يفقد الكثير من وزنه . . ويشعر بالارهاق لأقل مجهود . . وعليه الآن أن يضرب بأوامر الأطباء عرض الحائط ، ليكون قادرا على أطلاق النار من فوق العربة ، والقفز منها دون قلق . .

ويبدو أن حسين عباس لم يأكل بما فيه الكفاية ، لأنه ـ فيما بعد ـ وهو يقفز من العربة ، وقع بجوار المدفع الذى تجره ، والتوت ساقه اليسرى . . وقام وهو يعرج قليلا . .

بعد أن أنهى حسين طبق الكباب والكفتة الذى أمامه ، قام ليذهب إلى رفاقه . .

كانوا كما تركناهم منذ قليل . . يقرأون حوار السادات الذى كتبه أنيس منصور تحت عنوان : «عن الشباب ، وإلى الشباب» . .

وقال عطا :

ـ واسمعوا هذا الكلام أيضا !

س : ألا ترى يا سيادة الرئيس أن الشباب له العذر فى أن يثور وأن يعبر وأن يجاهر برأيه ؟ وكيف وكنت أنت شابا ثائرا ، أن ترفض أن يكون الشبان ثائرين ؟

ويجيب الرئيس قائلا : نحن . . عندما ثرنا . . كانت ثورتنا على الاحتلال البريطانى وعلى الملك الفاسد . . وعلى الحاشية الأكثر فسادا وعلى الأحزاب الوطنية الهزيلة التى باعت كل شىء من أجل بقائها فى الحكم مهما كان الثمن . .

يقاطع خالد ، عطا قبل أن يكمل كلامه ، ويقول :(١)

ـ إنها نفس الصورة . . فاننا نثور على الاحتلال ولكن ليس الأجنبى ، نثور على الاحتلال المصرى . . البعض يحتلون الكل ويفعلون ما يريدون . . ونثور على الرئيس الفاسد والحاكم الظالم . . وهل هناك أكثر من حالة الفساد التى تفشت فى المجتمع نتيجة محاربة رجال الدين والأساليب الخاطئة للحكم ، والنفاق والرياء والكذب والرشوة والتقارير الحكومية الكاذبة والضحك على ذقون الناس والعباد ! . . ونثور على الحاشية الفاسدة . . ونثور على الأحزاب الوطنية الهزيلة ، وليس هناك أهزل من الحزب الذى ألفه . . وكل من قال لهم ذلك وقال لهم إن ذلك ليس فى مصلحة مصر ، قالوا عنه إنه عميل ومتواطىء مع السوفييت ! . .

ويواصل عطا القراءة :

ـ إن واجبنا على الشباب أن نهديه كما اهتدينا . . إنهم أحفاد الفراعنة بناة

(١) من قتل السادات ؟ ـ ص ٥٨

الأهرام . . وواجبنا اليوم أن نعطى الفرصة . . أن نضع المناخ . . وأن ننتظر ، ولن يطول انتظارنا . .

ويقول خالد :

ـ بالفعل ياسادات لن يطول انتظارنا !!

وفيما بعد قال الاسلامبولى :

إن هذا الكلام الذى كتبه أنيس منصور على لسان السادات قد جعلنا أكثر تصميما على قتله ، لأنه حاكم خيالى يعيش فى واد والشعب فى واد آخر . . حاكم أعمته الصحافة بالإشادة . . فهو المعجزة . . وهو صاحب النصر . . وهو محرر العبيد . . فتكبر وطغى ونسى كلام الله . . حتى عندما أراد أن يتحدث للشباب عن مشاكل الشباب بعد فترة حرجة أدخل فيها أربعة آلاف مصرى ومصرية فى السجون ، لم يتحدث إلا عن نفسه ومؤلفاته وذاته وكيانه وتجاربه . . وكأن لاشىء فى مصر والعالم . . إلا أنور السادات ؟» .

وبينما عطا يقرأ وخالد يعلق ، كان عبد الحميد يأكل قطعة من الفطير «المشلتت» كان عطا قد أحضرها من قريته ، وكان بين لحظة وأخرى يضحك ، وكأنه فى طريقه إلى نزهة . .

وقبل أن يلتهم عبد الحميد كل ما أمامه ، نظر إلى حسين عباس المتجهم دائما ، وقال :

ـ افردها يا أخى . . ربنا حيفرجها إن شاء الله !

ولم يستجب حسين إلى طلب عبد الحميد ، وظلت ملامحه جادة وصارمة ، وذلك لسبب بسيط هو : ان هذه هى طبيعته !

وفتح عبد الحميد الثلاجة ، وصرخ :

ـ بطة ! . . فى هذا البيت بطة !

فقال خالد :

لتكن هذه البطة هى طعامنا فى الغد . . وليكن السادات طعامنا يوم الثلاثاء !

وضحك الجميع . . إلا حسين عباس . . الذى قال لخالد :

قم . . حتى لا تتأخر على موعدك فى الوحدة !

ولم يكن غريبا أن يصدر حسين عباس وهو رقيب أمرا لخالد الاسلامبولى وهو ضابط ، فمنذ أن اتفقوا على قتل السادات ، تلاشت بينهم الحواجز والرتب وقواعد المجاملات ، وأصبحوا جميعا شخصا واحدا .

○○

تفرق الأربعة . .

كل منهم ذهب فى طريق . .

كل منهم ذهب يصفى أحواله فى الدنيا . . فهذه هى فرصتهم الأخيرة فى التعامل مع الناس من حولهم . . ففى الغد سيذهبون إلى وحدة خالد . . وسيقطعون صلتهم بالعالم الذى عاشوا فيه . .

خرجوا يودعون حياتهم . .

إن القاهرة تبدو أكثر جمالا بالليل . . وتبدو ـ أيضا ـ أقل صخبا . . لكن . . لم يلتفت أحد منهم إلى ذلك الهدوء ، والجمال . . فهذا ليس وقت التأمل . . وإنما وقت تسديد آخر الفواتير للحياة الدنيا . .

○○

فى سيارة عبد الحميد «الفيات» انطلق خالد ، برفاقه إلى أرض الوحدة ، التى سيدخلونها بخطاب الالحاق المزور . .

وكان واضحا أنهم جميعا تخففوا من كل ثقل الدنيا . .

سألهم خالد :

ـ هل كتبتم وصاياكم ؟

قال عطا :

ـ أنا كتبتها وأرسلتها إلى أهلى فى قرية رحيل !

قال خالد :

- أرسلتها إلى أين ؟

قال عبد الحميد :

- أرسلتها إلى قرية «رحيل» ، فهذه القرية تحمل نفس اسم عائلة عطا .. ياخالد !

قال خالد :

- على كده ، انت يا عطا من كبار الاقطاعيين فى بلدكم ؟

ابتسم عطا ابتسامة لها مغزى ..

وقال :

- قل من كبار المغبونين فى بلدنا !

كان خالد قد ترك وصيته فى غرفة نوم شقيقته ..

وكانت هذه الوصية - كما أشرت من قبل - ضمن خطاب تركه خالد لأسرته ..

وقال فيه :[٢]

بسم الله الرحمن الرحيم

أبى وأمى وأخواتى وأخى محمد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عليكم بالالتزام بالاسلام والعمل بالتنزيل والخوف من الجليل ، أستودعكم الله وأرجو أن تغفروا لى وتسامحونى فقد أسبب لكم جميعا المتاعب . إن الله قد هدانا إلى هذا العمل والاستشهاد فى سبيل الله ، جمعنا وأنتم فى الجنة ان شاء الله .

إن الحاكم قد طغى وتجبر ولا خلاص للأمة إلا بقتله . . .

(٢) أعطانى أحد المحامين الذين دافعوا عن المتهمين هذه الوصية مصورة بالفوتوكبى ، بعد أن رفض ذكر اسمه .

بسم الله الرحمن الرحيم

ابى وامى واخواتى واخى محمد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عليكم بالالتزام بالاسلام والعمل بالتنزيل والخوف من
استودعكم الله وارجو أن تغفروا لى وتسامحونى فقد اسبب
لكم جميعا المتاعب . إن الله قد هدانا الى هذا العمل والاست
فى سبيل الله جمعنا وانتم فى الجنة ان شاء الله
ان الحاكم قد طغى وتجبر ولاخلاص للامة الا بقتله ....
امى لاتحزنى فابنك شهيد باذن الله...
نصلكم رسالتى وتكونوا نحن فى دنيا الآخرة . اوصيكم بشقيقاتى ابنه
وسوسيه واخى محمد ادعو الله له بالنجاح والصحة
وبانيسيم المبلغ الذى طرفك تتصدقى به على فقراء المسلمين
احسنوا تربية فاطمة ومروة وربوهم على الاسلام والصلاة وال
اننا عقدنا العزم على قتل فرعون مصر لعل الله ينقذها من
الضياع فى معاهدة الصهاينة وفساد الروح وخراب الزمم
التى ارساها السادات وزوجته..

(واشهد ان لا اله الا الله محمداً رسول الله)

خالد احمد شوقى الاسلامبولى

وصية خالد الاسلامبولى

أمي لا تحزني فإننا شهداء بإذن الله . . .

تصلكم رسالتي ونكون نحن في دنيا الآخرة ، أوصيكم بشقيقاتي أنيسة وسومية وأخي محمد أدعو الله له سبحانه بالنجاح والصحة .

ويا أنيسة المبلغ طرفك تصدقي به على فقراء المسلمين .

أحسنوا تربية فاطمة ومروة وربوهم على الاسلام والصلاة والصوم .

إننا عقدنا العزم على قتل فرعون مصر لعل الله ينقذها من الضياع في مصادقة الصهاينة وفساد الروح وخراب الذمم يقصد الذمم التى أرساها السادات وزوجته .

(وأشهد أن لا إله الا الله محمد رسول الله)

خالد بن أحمد شوقي الاسلامبولي .

توقيع

ويلاحظ أن خالد كتب اسمه على الطريقة العربية ـ الاسلامية القديمة : «خالد بن أحمد شوقي الاسلامبولي» ، ويلاحظ أنه في توقيعه اكتفى باستخدام اسمه واسم والده فقط ، أي خالد احمد .

أما عبد الحميد فقد وقع وصيته باسم « أبو عبد السلام »

وقد كتبها كما هو واضح من التاريخ تحت التوقيع في ٤ اكتوبر ١٩٨١ . .

وكان النص طويلا . .

وكالتالي :(٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيد الخلق أجمعين .

قال تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون** ﴾ وقد خلقنا الله لعبادته وحده والأمر بمعروفه وتغيير منكره والمفاسد في أرضه ومن ضمن هذه المفاسد بل

(٣) المصدر السابق .

من أكبرها رأس الأفعى فرعون مصر فقد طغى في البلاد وجعل أعزة أهلها أذلة إن العزة لله ورسوله والمؤمنين والعزيز من صان الله واتهج أوامره . .

أخوتي ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هذه وصيتي اليكم رجاء من الله تعالى أن تتقوا الله فيها وفي زوجتي وابني وأنا واثق تماما منكم هي أختكم الصغيرة وعبد السلام أبن كل واحد فيكم .

أولا : أنا عملت توكيلا رسميا عاما موثقا من الشهر العقاري لها بكل شيء من بيع وشراء وغيره لنفسها .

وطبعا أنا واثق منكم ولا أشك في أحد طالما نفعل ما يرضى الله تعالى .

ثانيا : أم عبد السلام لا تفهم أى شيء في ملوى فاتقوا الله فيها وأى فرد منكم تحتاجه ، أرجو أن يفعل ما يفعله دائما لي وكأني موجود .

ثالثا : أنا ما فعلت ذلك إلا لابتغاء مرضاة الله وهي ليس لها أى دخل في ذلك ولا تعلم أى شيء مثلكم بالضبط .

ولا نعرف من التى يقصدها هنا بكلمة «هي» ـ أمه أم زوجته

رابعا : سلامي لكم جميعا أخوتي الأحباء عاصم ، عفت ، عبده ، عزة ، على ، عرفان وأولادكم وأزواجكم .

وأسأل الله تعالى أن تشتروا آخرتكم بدنياكم ولا تغرنكم الحياة الدنيا فإن الله تعالى كتب لعباده الفوز والفلاح طالما باعوا دنياهم بأخراهم . .

ولا تلتفتوا إلى ما يقول الناس عنا فهكذا لو اتبعنا أكثر من في الأرض لضلونا عن سبيل الله .

أخوتي سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

أبو عبد السلام

(توقيع)

٤/١٠/١٩٨١

ويجانب التوقيع والتاريخ أضاف عبد الحميد :

مهم جدا ترسلوا لأم عبد السلام فلوس لتسديد ديوني كلها لأن الجنة حرمت لمن عليه دين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين

إلى [illegible] لعبوديته وقد فرض الله الجهاد

وعدم [illegible] وتغيير [illegible] والمنافسين أرضنا و[illegible]

هذه المنافسة بل من أكبرها [illegible] فرعون [illegible]

في البلاد وجعل أعزة أهلها أذلة [illegible] العزة [illegible] والمؤمنين

فالعزيز من أعزه الله [illegible]

إخوتي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هذه وصيتي إليكم [illegible] الله تعالى أن تتقوا الله

في زوجتي وابني وأنا واثق تماماً منكم في أنكم

[illegible] وكما أحب كل واحد فيكم.

أولاً أنا عملت توكيل [illegible] الشهادة [illegible]

بكل شيء من بيع وشراء وغيره وتصرف.

وطبعاً أنا واثق منكم ولا أخشى أحد طالما تفعلوا ما

يرضي الله تعالى

ثانياً أن [illegible] لا [illegible] أي شيء [illegible] فاتقوا

الله [illegible] أرجو أن [illegible]

دائماً [illegible] موجود

ثالثاً أنا ما فعلت ذلك إلا [illegible]

[illegible] ولا [illegible]

[illegible] الصالحين.

رابعاً/ أسألكم جميعاً [illegible]

[illegible]

فأسأل الله تعالى أن تشتروا آخرتكم بدنياكم ولا تغرنكم

الحياة الدنيا فإن الله تعالى كتب العبادة

لتكون من الفلاح طالما [illegible] بأمركم.

ولا تلتفتوا إلى ما يقوله الناس عنا فهكذا

لو اتبعنا أكثر من في الأرض يضلونا عن سبيل الله.

[illegible] السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أبو [illegible]

٨١/١٠/٤

[illegible]

[illegible]

[illegible] عليه [illegible]

ملحوظة ١

إذا عشتم [illegible] أو وجدتم

جسدي فأرجو أن تتقوا الله تعالى

أن لا تفعلوا [illegible] قبري عن الأرض ولا [illegible]

[illegible] قبري أي [illegible] ولا [illegible] ولا عويل

واتقوا الله فإن الميت يعذب بذلك

ولا حفلات الأسبوع أو الخميس أو الأربعين أو السنوي

أو قراءة أو سرادق أو [illegible] وخصوصاً أنا معتبر نفسي شهيد

الشهيد لا [illegible] له ذلك كله ويدفن بدون تغسيل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وفى النهاية كتب :

ملحوظة :(٤)

اذا (كتبها إذ) عثرتم أو أعطوكم فرصة أو وجدتم جسدى فأرجو أن تتقوا الله تعالى ان لا يعلو قبرى عن الأرض ولا تخرج عند قبرى أى أنثى ولا بكاء ولا عويل .

وأتقوا الله فإن الميت يعذب بذلك .

ولا جهالات السبوع أو الخميس أو الأربعين أو السنوية أو قراءن (الكلمة غير مفهـومة) أو غيره وعموما أنا معتبر نفسى شهيد والشهيد لا يفعل له ذلك كله ويدفن بدون تغسيل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

ويلاحظ أن عبد الحميد كتب وصيته على ورق مسطر . . ويخط فيه الكثير من التسرع . . كما أنه من تعدد ملحوظاته نفهم أنه غير مرتب الأفكار . .

وذلك على عكس خالد الاسلامبولى الذى يدل خطه على الهدوء والعناد وعدم التردد . .

وعلى عكس عطا طايل الذى يتميز خطه بالتناسق ، والوضوح والنعومة فى نفس الوقت ، وكأنه شاعر يتأمل على مهل ، ثم يصيغ بهدوء ، ويخط الكلمات ببراعة . .

لقد أوصى عطا طايل أسرته بتحمل ما سيجرى عليهم ، وأن يمسكوا أنفسهم ولا يبكوا عليه ، وأن يقرأوا على روحه الفاتحة كلما تذكروه ، وان لا يترددوا فى سداد أى دين يظهر عليه دون جدل أو نقاش .

ولم يكتب حسين عباس وصية . .

فقد اكتفى بتقبيل ابنه الرضيع «محمود» وشد على يد زوجته ، وقال لها :

ـ شدى حيلك . . ربنا معاكى !

ولم تفهم الزوجة معنى هذه الكلمات إلا بعد القبض عليه .

(٤) وضع عبد الحميد أكثر من خط تحت كلمة ملحوظة .

بعد أن دخل خالد ورفاقه السجن الحربى ، كانوا لا يصدقون أنهم نجوا من القتل . .

لقد تصوروا أن يوم ٦ اكتوبر ١٩٨١ هو آخر يوم فى حياتهم أيضا .

لكن . . كانت مشيئة الله فوق خيالهم . .

أرادت مشيئة الله أن يلتقوا مرة أخرى فى السجن الحربى . .

إن كلا منهم ـ فى السجن الحربى ـ كانت له حجرة خاصة مدهونة بالزيت . . بها مرتبة من «الاسفنج» وثلاث بطاطين . . حجرة كبيرة ، جعلت أكثرهم سخرية (عبد الحميد) يقول :

ـ إنها أكبر من الغرفة التى كنت أنام فيها فى منزلنا !

وكان بالحجرة «جركن» لمياه الشرب . . و «قصرية» لقضاء الحاجة . .

وقد قال عبد الحميد عنها :

ـ إنها أفضل من قصرية ابنى سلومة (اسم التدليل لابنه عبد السلام) فهى من الجلد الأسود الثقيل .

ويواصل عبد الحميد سخريته فيقول :

ـ فى المنزل كنت أنام على الحصير وهنا فى السجن أنام على مرتبة . . ان معيشتى فى الزنزانة رقم «٢» أفضل مئة مرة منها فى بيتى .

وكان الطعام الجيد جزءا من هذه الحياة التى وصفها عبد الحميد بأنها «فاخرة» . .

فى الافطار على مدى الأسبوع وبالتبادل : عدس وبيض ، أو عدس ومربى ، أو عدس وحلاوة . .

وفى الغداء : خضار باللحم أيام الجمعة والأحد والاثنين ، مع الأرز أو المكرونة ، وسمك يوم السبت ، وفراخ يوم الثلاثاء ، والحلو فاكهة .

وفى العشاء : طعام أقرب لطعام الإفطار . .

لكن . . رغم ذلك لم يكن أحد منهم يتناول طعامه بانتظام لأنهم كانوا قد أعلنوا الصيام . .

كان الحبس انفراديا . .

وكان أغلبهم يستغل الوحدة التي يعيش فيها بحفظ القرآن الكريم . .

وكل يوم كان لهم نصف ساعة «فسحة» ، ويوم الجمعة يخرجون مدة أطول في الشمس ، برفقة عدد لا بأس به من الحراس . .

وفي السجن ، كتبوا اللافتات التي أخرجوها ـ فيما بعد ـ في قفص المحكمة . . وقد كتبت هذه اللافتات على أجزاء من جلاليبهم البيضاء ، وعلى فانلاتهم الداخلية ، بالميكروكروم . .

وكانت هذه اللافتات تقول :

وا إسلاماه . . واقدساه . . الخلافة أو الموت . . نحن جند الله . . دينك لحمك ودمك . .

وأحيانا كانت هناك نجمة اسرائيل وقد رسموها وهي تقطر دما . . وتحت عبارة «ماركة مسجلة» باللغة الانجليزية . .

وفي السجن كتبوا القصائد والأشعار . .

على رأسهم كان خالد الاسلامبولي ، الذي تفجرت قريحته ، بالشعر . . وأكثرهم انتاجا له ، كان أنور عكاشة الذي كتب أكثر من قصيدة على لسان خالد الاسلامبولي . .

وفيما بعد ، في المحكمة ، أصر انور عكاشة على مقاطعة الهيئة «الموقرة» والدفاع ، وألقى قصيدة طويلة . . انتهت بأن قال رئيس المحكمة :

ـ ماشاء الله وانتم رايقين وبتكتبوا شعر كمان !

وكان زملاء أنور قد قدموه إلى المحكمة بلقب : «شاعر السجن الحربي» :

وفي احدى القصائد التي كتبها أنور على لسان خالد ، يقول خالد لأمه :

يا أمي خطابي أرسله . . من داخل سجن الشيطان
فبقلبي جراح قد دملت . . ودموعي تملأ وديان

ويقول :

ديني مضطهد في وطني . . وشبابه يحيا سكران
فشباب بلادي قد أضحى . . يحيا وكأنه جرذان

ويقول :

إن مت شجاعا سأخلد . . وسأسكن دار الرضوان
إن مت جبانا فسأرحل . . وسيطوي كتابي النسيان

وفي قصيدة أخرى عن خالد يقول أنور :

هذا ابن شوقي يتبختر . . في ساحة العرض الجميل ويزأر
أنا خالد أنا مسلم فلتعلموا . . قد جئتكم بعصابة لا تقهر

ويقول :

هذا هو أخي عبد الحميد زعيمنا . . أنعم به من فارس لايدبر
وأخي عطا جاء يحمل سيفه . . أسد على الأعداء جاء مزمجر

ويقول :

وأخي حسين جاء يشدد أزرنا . . صلبا إذا شهد الوغى لا يقهر
قد طلق الدنيا بكل متاعها . . حتى يكون له الجزاء الأوفر

وفي قصيدة ثالثة يقول :

سأل القضاة عن الذي أغراني . . بل ياسادات وماذا كان بشاني
قلت اسمعوني فسوف ألقي جوابي . . قلت انصتوا كي تفهموا بياني
أنا ما جنيت جناية أحيا بها . . خلف الحديد بذلة وهوان
لكن جنيت جناية رأسي لها . . مرفوعة بالحق لا البهتان
ياليت قومي يعلمون من الذي . . يجني عليه ومن يكون الجاني
هبت قوى السادات تقتل حزبنا . . وتظننا فئة من الجرذان

ويقول :

أنا في سبيل الله أبذل دمي . . ويهون هجر الأهل والخلان
أنا لا أحارب بالعتاد وانما . . أغزو الطغاة بقوة الايمان

ويقول :

يا أيها القاضي المبجل هل تعي .. أني علمت نهايتي فكفاني

إني سألقى محمدا وأصحابه .. ولسوف ألقى ملائك الرحمن

وتزفني حور الجنان وتشدو لي .. كل الخلائق أعذب الألحان

أنا قد علمت بأننا سنقتل .. بمشانق جاءتنا من ريحان

فلنصبر ونحتسب ما قد بقي .. من عمرنا فالكل عنها فان

O O

لقد ..

فكروا في القتل في لحظة غضب دفعتهم للحظات من التأمل ..

ثم ..

نفذوا الفكرة بإتقان ..

ثم ..

راحوا يمرحون ويتبادلون السخريات اللاذعة ..

ثم ..

أحسوا بالنعيم في سجنهم الانفرادي ..

ثم ..

واجهوا المحكمة بأبيات الشعر ..

أي رجال هؤلاء الجناة ؟

عصابة الإرهاب

هذا ابن شوقي خالد يتبختر ... في ساحة البطل الجميل ويزأر

أنا خالد أنا مسلم فلتعلموا ... قد جئتكم بعصابة لا تقهر

هذا هو أخي حبيب الجميع زعيمنا ... أنعم به من فارس لا يدبر

وأخي عطا جاد يحمل سيفه ... أسد على الأعداء جاء يزمجر

لا يرغبن العيش إلا بعزة ... لا يرهبن الموت أو يتقهقر

وأخي حسين جاء يشد أزرنا ... بطلا إذا شب الوغى لا يصبر

قد طهر الدنيا بكل مناعة ... حتى يكون له الجزاء الأوفر

إنا من قوم تعالى ذكرهم ... في العالمين ومن سيبقى يزخر

لكن أخانا الكفر يعلو أرضنا ... ~~وديننا يتبذلة~~ ومجانين تزهو علينا وتفخر

كلكم ستعرف الكلب يلهو ديننا ... وسيمضي بنذالة لا تذكر

أيسب دين المرء في أوطانه ... وليعيش كالخنزير لا يتأثر

فلقد عقدنا العزم قتل سفيركم ... هذا الذي يدعى لديكم أنور

مخزوهات من حميز إنني ... أنا خالد قد جئتكم كي تعبروا

فإذا بقنبلة يطير مخدرا ... يا أذل جنود الكفر ولوا وأدبروا

وإذا السادات يبول في سرواله ... ويعود بالإثم الذي لا يغفر

لم تغن عنه أمة من رسله ... يا ليت قومي يسمعون ويبصروا

أنور الكاتب

[signature]

قصيدة لأنور عكاشة بخط خالد الإسلامبولي

مصر مقبرة الغزاة

مصر مقبرة الغزاة ... مصر داحرة الطغاة
مصر تأبى أن تلينا ... للطغاة الحاكمينا
مصر لن تحني الجبينا ... ذات يوم للبغاة
ذات يوم للبغاة

خير جند الله فيها ... هزموا فيها الأسود
سوف أغدو مضحيا ... أحتويه ما بدا الجحود
فلتقم للدين دولة ... فوقها أكتاف الأسود
فوقها أكتاف الأسود

مصر للإسلام تحيا ... عاليا فوق السماء
مصر للتوحيد حصن ... مصر للدنيا منار
مصر للدين الشهادة ... مصر للدين الفداء
مصر للدين الفداء

مصر مقبرة الزعامة ... لن تذل ولن تخون
يا مصر فلندع الإله سعيا ... سوف نحيا في أمانه
أما إذا رضيت بكفر ... سوف نحيا كالعراة
سوف نحيا كالعراة

مصر مقبرة الغزاة ... مصر داحرة الطغاة
مصر تأبى أن تلينا ... للطغاة الحاكمينا
مصر لن تحني الجبينا ... ذات يوم للبغاة
ذات يوم للبغاة

المتهم في قضية السادات وزوجته مصر
شعر أنور عكاشة

قصيدة أخرى لأنور عكاشة بخط خالد الإسلامبولي

9

جنازة « السبت » الصامت !

« هل توقع أحد أن هذا الإله سينكفئ على وجهه »
من مذكرات نوال السعداوي
في سجن النساء !

لم تكن جنازة «السادات» حارة !

كان يوم الجنازة يوما عاديا فى حياة المصريين . .

خيم الصمت على القاهرة ـ العاصمة الصاخبة . . وخلت شوارعها ـ الشهيرة بالزحام والإختناق ـ من البشر والسيارات . . وكان عدد جنود الجيش والبوليس فى طرقها أكبر من عدد المواطنين . .

وقد كان هذا هو حال القاهرة منذ سمع الناس بيان حسنى مبارك ، مساء يوم الإغتيال ، والذى أعلن فيه بصفة رسمية وفاة السادات . .

فقد تلقى الناس النبأ بهدوء . . ودون إنفعال يذكر من أى نوع . . وجلس بعضهم فى الأحياء الشعبية ، مثل شبرا ، والسيدة زينب ، والحسين ، يلعبون «النرد» ويشربون الشاى ، ويدخنون «النرجيلة» وكأن شيئا لم يحدث . . وجرى البعض الآخر ليدبر حاجاته من لحم العيد الكبير ، الذى كان على الأبواب . . وفضلت غالبية الناس أن تدخل بيوتها وتقفل عليها باب مسكنها ، وتتابع محطات الإذاعة العالمية الناطقة باللغة العربية ، لتعرف حقيقة ما حدث فى بلادها فى ذلك النهار . .

إن الناس ـ فى القاهرة ـ الذين تعودوا على الإنفعال ، والمشاركة فى مباريات كرة القدم ، ومهرجانات الأفلام ، والزحام على المجمعات الإستهلاكية ، لم يجدوا فى وفاة السادات شيئا غير عادى . .

وكأنهم كانوا يتوقعون إغتياله . .

وكأنهم كانوا يتوقعون نهايته على هذا النحو . .

وربما كان أكثر الناس إنفعالا هم أقرب الناس إلى السادات . . وأكثر الناس

عداوة له . . أى أصدقاءه وخصومه . . المستفيدون منه ، والمستفيدون من رحيله . .

لقد بكى رجال السادات عليه وانهاروا وتشنجوا وأحسوا أن الدنيا قد اسودت فى عيونهم . . ولم يكن ذلك ـ فى أحيان كثيرة ـ حبا فى السادات وإنما خوفا على مستقبلهم . .

فالكثير منهم كان يدرك أن رصاصات خالد الإسلامبولى ورفاقه لم تقتل السادات فقط ، وإنما قتلت عهدا بأكمله . . أما خصوم السادات ، وكانوا من كل التيارات السياسية والاجتماعية فقد تنفسوا الصعداء ، وانشرحت قلوبهم ، وأحسوا أن عهدا جديدا قد بزغ فجره . .

وفيما بعد ، عبرت الدكتورة نوال السعداوى عن رد فعل خصوم السادات بعد إغتياله ، وقالت فى مذكراتها التى كتبتها فى سجن النساء ، حيث اعتقلت هى وغيرها فى سبتمبر . .

وقالت :[1]

لازلت عاجزة عن الإمساك باللحظة . عقلى يدرك الحقيقة . قلبى ينتفخ بالفرح والأمل . لكن خلية فى عقلى لاتزال قلقة متوجسة . . لازلنا وراء القضبان . . . من قتل السادات . وما الذى سيحدث ؟! . . أى شىء يمكن أن يحدث ؟ . . ربما إنقلاب . . ربما ثورة . . ربما يطلق سراحنا . . ربما يذبحوننا داخل السجون . . كل شىء وارد وأى شىء ممكن ، مادامت رصاصة انطلقت وقتلت رئيس الجمهورية وهو محاط بالحراس والبوليس والجيش .

أول مرة فى تاريخ مصر ، تنطلق رصاصة وتقتل رئيس الجمهورية . أى لحظة تاريخية أعيشها بجسدى وعقلى وأنا داخل هذا السجن .

أنفاسى تتلاحق . صدرى يعلو ويهبط . الدم يتدفق فى رأسى . شريان فى عقلى يكاد ينفجر .

نهضت فجأة وقلت : حتى إذا لم نخرج من هنا يا جماعة فقد تحررت البلد ! وهتفنا فى نفس واحد : نعم تحررت البلد ! .

(١) د . نوال السعداوى . «مذكراتى فى سجن النساء» ـ الناشر : المستقبل العربى ـ ص ٢٣١ وما بعدها !

سمعنا الطبل والرقص ينبعث من العنابر الأخرى . صوت الشاويشة «نوبتجية الليل» يرن فى الليل ويقول لنا من خلال القضبان :

مبروك يا سياسيات . مبروك عليكم وإن شاء الله كلكم إفراج ، والبلد كلها إفراج إن شاء الله !

دخلت إلينا إدارة السجن بكامل هيئتها . بعضهم يرتدى رباط عنق أسود . وجوههم شاحبة . عيونهم حمراء . لابد أنهم لم يناموا الليل مثلنا .

ضحك أحدهم قائلا : من يدرى ماذا يحدث غدا ؟ هذه هى السياسة ، يوم فى السجن ! ويوم فى الحكم ! . . وقالت واحدة منا : ويوم فى القبر !

عيونهم لاتزال مليئة بالخوف والقلق . لاشىء مضمون . ولا أحد يعرف الغيب .

وهل توقع أحد أن هذا الإله الذى جلس على العرش وصاح قائلا : لن أرحم أنه سينكفىء على وجهه فوق الأرض ، وتدوس الأقدام (وهى تجرى بعيدا عنه) على قبعة رأسه وعلى الأوسمة والنياشين وعلى النجمة التى علقها فوق صدره ؟ .

٥ ٥

كان «الصمت» الذى خيم على مصر ، من يوم إغتياله إلى يوم أن دفن ، مثار دهشة ، وتساؤل من العالم كله . . وكان أيضا مثار مقارنة بالإنهيار العصبى والنفسى الذى حدث يوم وفاة عبد الناصر ، ويوم جنازته . . بل كان مثار مقارنة بما حدث فى جنازات مطربين وفنانين مصريين مثل أم كلثوم ، وعبد الحليم حافظ ، وفريد الأطرش . .

لقد كان يوم جنازة عبد الناصر يوما لاينسى من أيام مصر . . جاء الناس من كافة أنحاء البلاد ، سيرا على الأقدام ، وبكل أنواع المواصلات . . وسدت الكتل البشرية الشوارع والطرقات . . ونافست دموع المصريين جريان نهر النيل . . وارتدت النساء الملابس السوداء . . وكادت الجماهير أن تخطف «الجثمان» . . وانطلقت الحناجر تقول فى صوت جنائزى ، تلقائى ، «الوداع ياجمال . . الوداع ياحبيب الملايين» . .

وفى جنازة أم كلثوم تعطلت الحياة فى العاصمة المصرية . .

وفى جنازتى عبد الحليم حافظ ، وفريد الأطرش ، كان الناس يلقون بأنفسهم أمام العربتين اللتين أقلتا جثمانى المطربين الشهيرين . .

أما فى جنازة السادات ، فقد فرش السكون رداء اللامبالاة على الناس ، الذين راحوا يتابعون طقوسها عبر شاشات التليفزيون فى بيوتهم . .

وراحوا يلومون زوجته ، لأنها ظهرت فى الجنازة ، بكامل أناقتها ، ودون أن تلف شعرها بغطاء رأس أسود اللون كما فعلت الشهبانو ، زوجة شاه إيران ، يوم جنازته . .

وفيما بعد ، استفزت هذه الظاهرة - ظاهرة عدم إنفعال المصريين بمصرع السادات - صحف ومجلات وتعليقات ومحطات تليفزيونات العالم . .

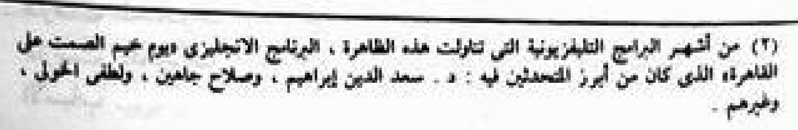
فقد قالت مجلة «باري ماتش» - مع صور الجنازة - إن القاهرة تعاملت مع حادث إغتيال الرئيس السادات ، وكأن الذى قتل هو رئيس جمهورية «بيرو» أو «نيكاراجوا» الذى لا يعرف المصريون اسمه ، ولا أى شىء عنه . . لقد تعامل المصريون مع موت الرئيس السادات ، وكأن الذى مات ليس رئيسهم ، ولم يسبق أن عرفوه أو سمعوا عنه من قبل .

وقالت صحيفة «الموند» ، أكثر الصحف الأوربية إهتماما بمصر ، وفيها لها : «لولا أن نقل التليفزيون وقائع جنازة الرئيس السادات ما أحس المصريون أن رئيسهم قد دفن .

وقالت مذيعة التليفزيون الأمريكية اللامعة «بربارا والترز» فى برنامج خاص عن السادات : «لو قدر للرئيس السادات أن يرى من العالم الآخر إلى أى مدى كان المصريون يكرهونه ، لمات كمدا بعد أن مات إغتيالا !»

وقد فسر الصحافيون ، والكتاب ، والفنانون ، وأساتذة الجامعات المصريون الذين تحدثوا فى تليفزيونات الغرب ، هذه الظاهرة بأكثر من رأى :[٢]

فهناك من قال : إن السادات انعزل عن الشعب المصرى تماما ، فلم يجد من يبكى عليه ، أو يسعى للسير وراء جثمانه . .



(٢) من أشهر البرامج التليفزيونية التى تناولت هذه الظاهرة ، البرنامج الانجليزى «يوم خيم الصمت على القاهرة» الذى كان من أبرز المتحدثين فيه : د . سعد الدين إبراهيم ، وصلاح جاهين ، ولطفى الخولى ، وغيرهم .





مجلة تايم الأمريكية



الشارع المصرى يوم جنازة السادات





وهناك من قال : إن السادات كان لابد أن يقتل ، وأن المصريين جلسوا على المقاهى ينتظرون موته ، وعندما عرفوا النبأ راحوا بيوتهم وأغلقوا عليهم الأبواب . .

وهناك من قال : إن مشاعر المصريين كانت تعتبر السادات رئيسا غير جدير بالثقة التى منحوها له . . وأنه فى سنواته الأخيرة توجه إلى المصريين بكل الأحاسيس الرديئة . . فكان طبيعيا أن يعتبر الناس فى مصر ، موته ، كالكابوس الذى يتزاح من فوق صدورهم . .

وهناك من قال : إن المصريين اعتبروا قاتل السادات (خالد الإسلامبولى) بطلا شعبيا . . فلكلوريا . . مثل : سليمان الحلبى ، أو أدهم الشرقاوى ، أو أبو زيد الهلالى ، الذى يرتبط فى أساطيرهم المتداولة على مر العصور والأجيال ، بالتخلص من الظلم ، والقهر ، والجبروت . . فكان طبيعيا أن يرفضوا السادات ، وأن يسعوا إلى طرده من ذاكرتهم . . ومن حياتهم . .

وهناك من قال : إن السادات «نفض المصريين من كل المشاعر ، فلماذا يطالبهم ـ بعد رحيله ـ أن يتعاملوا معه بأى نوع من المشاعر . .

وهناك من قال : إن معاداة السادات لعبد الناصر ، كانت سبب هذه الظاهرة . .

وأفضل التفسيرات التى قيلت فى صالح السادات ، قالت : إن المصريين خشوا أن يكون الإغتيال بداية لإنقلاب أو تمرد ، أو قرار بحظر التجول . . فأخذوها من «قصيرها» وبقوا فى بيوتهم . .

○○

كانت الجنازة فى يوم السبت التالى ليوم الإغتيال . .

كانت الجنازة بعد ٤ أيام ـ فقط ـ من حادث المنصة ، ومن الفزع والتوتر الذى ساد البلاد ، ومن فقدان الثقة فى الأمن والحراسة المصريين . .

لذلك رفض الرئيس الأمريكى «رونالد ريجان» أن يشترك فى الجنازة ، فقد عارضت المخابرات الأمريكية ـ لأسباب أمنية ـ أن يشترك فى الجنازة . . كما عارضت المخابرات الأمريكية سفر نائب الرئيس «جورج بوش» لنفس الأسباب . .

وجاء الوفد الإسرائيلى (مناحم بيجن رئيس الوزراء ، واسحاق شامير وزير الخارجية ، واريل شارون وزير الدفاع ، ويوسف بورج وزير الداخلية) ومعه الحرس الخاص به . . «وشملت تجهيزات الأمن ، بين ما شملت سيارة مصفحة ، نقلت جوا من إسرائيل لتمكين الوفد من الهرب السريع فى حالة وجود خطر محدق» . . و «لأن المصريين كانوا لايزالون تحت تأثير صدمة التقصير الأمنى ، فقد أعلنوا مسبقا أنهم لن يعترضوا على حمل رجال الأمن الإسرائيليين أسلحتهم[٣]»

وجاء الوفد السودانى ـ والوفد العربى الوحيد الذى إشترك فى الجنازة ـ برئاسة الرئيس جعفر نميرى ، بعد أن دارت مناقشة بينه وبين النائب الأول حول المخاطر التى يمكن أن يتعرض لها الرئيس نميرى إذا ما حضر الجنازة بنفسه . .

وقد روى نميرى هذه القصة فى كتابه : «السادات : المبادىء والمواقف» فقال :

عند وصولى لمطار الخرطوم أبلغنى النائب الأول لرئيس الجمهورية بأنه فرغ من تشكيل الوفد السودانى برئاسته ، والذى سيسافر إلى القاهرة للإشتراك فى تشييع جنازة الرئيس السادات . أخبرته بأن الوفد سيكون برئاستى ، وأضفت أننى ظننت أن هذا واضح منذ أن طلبت طائرة تنقلنى من « دنقلا إلى الخرطوم » . .

وتستمر المناقشة بين الرئيس نميرى ونائبه . . وكانت وجهة نظر النائب أن هناك مخاطر ماثلة على حياة كل من سيشترك فى الجنازة ، فمازالت الظروف التى أحاطت بحادث الإغتيال غامضة ، وليس معروفا مدى تغلغل مجموعة الإغتيال داخل القوات المسلحة والتى تشارك فى تشييع الجنازة . .

ويصمت نائب الرئيس السودانى لحظة ، فيسأله نميرى : «هل انتهيت ؟» . .

فيقول : « نعم »!

---

(٣) كتاب «يوم أن قتل السادات» . . وقد جاء فى هذا الكتاب أن الوفد الإسرائيلى تكون من ٤٠ شخصية بخلاف رجال الأمن ، ونزل معظمه فى فندق «هيات برنس» بمدينة نصر ، أما رئيس الوزراء فقد نزل فى نادى السكة الحديد على بعد كيلو ونصف فقط من النصب التذكارى الذى سيدفن السادات إلى جواره .

فيرد نميرى : «إذن فإن قرارى مع تقديرى لمبررات قرارات مجلس الأمن القومى هو أننى سأسافر على رأس الوفد السودانى إلى القاهرة . .

وقبل أن أسمعه يعقب أضفت : وعلى أعضاء الوفد السودانى أن يحملوا معهم الملابس القومية السودانية : الجلباب والعمامة والعباءة .

ويسأله النائب : لماذا ؟

فيرد نميرى : «حتى تكون مميزين عن غيرنا فى الجنازة ، ولنكون وسطهم أهدافا شهيرة يمكن توجيه النيران إليها بسهولة» . .

○ ○

كان مرور الجنازة بسلام إختبارا هاما لمدى إستعادة الأمن المصرى - داخل وخارج الجيش - لسمعته ، ولسيطرته على الموقف . .

ولذلك . .

فإنه رغم أن خط سير الجنازة كان قصيرا . . فى نفس طريق العرض العسكرى . . إلا أن رجال «الصاعقة» بملابسهم المموهة وأسلحتهم المدببة - قد لقوا المكان . . وأحاط جنود الحرس الجمهورى المشيعين من الجانبين . . وحلقت طائرات الهليكوبتر فى السماء . . وسدت المنافذ بالعربات المدرعة . .

ومنذ الصباح الباكر وكل رجال الأمن فى حالة استنفار وترقب . .

وفى الساعة التاسعة والربع تحرك فريق منهم ، فى قافلة السيارات التى حملت جيهان السادات وأفراد أسرتها إلى مستشفى المعادى ، ودخلوا وراءهم حيث جثمان السادات مسجى ، ومغطى بالعلم المصرى ، ولم يتركوهم ينفردون بالجثمان خوفا عليهم وعليه . .

وبعد دقائق خرجت جيهان السادات وبناتها ، وتركن الرجال (الابن وأزواج البنات) والحرس الشخصى للسادات ، وراء إمام الجامع ، ليصلوا صلاة الجنازة . .

وبإنتهاء الصلاة ، رفع الحرس الشخصى للسادات النعش ، وحملوه إلى سيارة إسعاف كانت تنتظر على الباب ، ويحيطها ضباط وجنود من «الصاعقة» ، وتتقدمها سيارتان من الحرس الجمهورى . .

عدد هائل ومتنوع من رجال الأمن والحراسة كان يحيط بجثمان السادات . . وربما لو كان هذا العدد أحاط به وهو فى المنصة ما كان قتل !

وضع الجثمان فى طائرة الهيلكوبتر الخاصة بالسادات ، والتى قدمها له الرئيس نيكسون بعد أن زاره فى مصر ، وأحس بأزمة اختناقات المرور فى القاهرة . .

وصعدت جيهان وأفراد أسرتها إلى طائرة هيلكوبتر أخرى . .

وإنطلقت الطائرتان فى إتجاه المنصة . . لتهبطا فى الساعة العاشرة والربع فى استاد نادى السكة الحديد ، القريب من المنصة . .

كان ٦ ضباط من الحرس الجمهورى فى إنتظار طائرة السادات . . وحملوا الجثمان إلى عربة «جيب» ، نقلت الجثمان إلى عربة المدفع التى أحاط بها ٦ ضباط من الحرس الجمهورى ، وتقدمها ١٢ ضابطا يحملون الأوسمة والنياشين ، وكان خلفها ١٢ ضابطا آخر من مختلف الأسلحة . .

فى الساعة الثانية عشرة إلا الربع بدأت طقوس الجنازة . . عزف «المارش» الجنائزى لفردريك شومان . . تحركت وحدات رمزية تحمل أعلام الكليات الحربية . . وتحرك خلفها ١٥٠ جنديا يحملون باقات الورد التى تعد خصيصا للجنازات . .

كان الضيوف يجلسون فى خيمة خاصة وقاية لهم من الشمس . .

وكان من السهل تمييز كبار المشيعين الذين جاءوا من ٨٠ دولة ، لعل أبرزهم رؤساء أمريكا السابقين : نيكسون ، وفورد ، وكارتر . . ووزير الخارجية الحالى : الكسندر هيج . . ووزير الخارجية الأسبق : هنرى كيسنجر . . «ومجموعة من كبار موظفى الإدارة الأمريكية ممن شاركوا فى عملية السلام» . . والرئيس الفرنسى : فرانسوا ميتران . . والرئيس الفرنسى الأسبق : جيسكار ديستان . . والأمير تشارلى ولى عهد بريطانيا[4] . . والمستشار الألمانى هيلموت شميت . . ومن الصين «دنج سياو بنج» . . ومن استراليا «مالكوم فريزر» . . ورئيسة البرلمان الأوربى «سيمون فيل» . . والرئيس الإيطالى . . وملك بلجيكا . . والرئيس اليونانى . . وغيرهم من الضيوف الأجانب . .

(٤) قبل وفاة السادات بشهور ، كان الأمير تشارلس ، وزوجته ليدى ديانا ، يزوران مصر فى رحلتهما لقضاء شهر العسل ، فدعاهما السادات وزوجته لرحلة بحرية فى قناة السويس .

وباستثناء ـ نميرى ـ لم يكن فى الجنازة أى شخصيات عربية(*) . . ولا أى شخصية مصرية غير رسمية . . (٦) . .

وقام المشيعون من أماكنهم عندما وصلت عربة المدفع عندهم ، ومشوا وراءها ، خلف الصف الأول ، حيث كان حسنى مبارك ، وجمال السادات ، وجعفر نميرى . .

وبقيت جيهان السادات وبناتها والنساء الأخريات ، جالسات فى المنصة ، حيث قتل السادات ، وبعد أن أعيد طلاؤها وإصلاحها . .

وبعد نصف ساعة وصلت عربة الجثمان إلى المنصة ، فطلب رجال المراسم من المشيعين الصعود إلى مدرجاتها ، فاندفعوا إلى سلالم المدخل ، وضغطوا على بعضهم البعض ، ليصلوا إلى أماكنهم . .

وفى ذلك الوقت توجهت جيهان السادات وأسرتها إلى يسار النصب التذكارى للجندى المجهول ، حيث سيدفن السادات . . ورفع الجنود الجثمان من العربة ، وأنزلوه ـ بمساعدة العميد أحمد سرحان أقرب ضباط الحرس الجمهورى إلى قلب الرئيس السادات ـ إلى القبر . . بينما راحت جيهان السادات تتلو آيات من القرآن الكريم فى سرها . . ووقف ابنها يشد على يديها . . وأمسكت بها إحدى بناتها من الخلف . . وعن يسارها وقف حسنى مبارك . .

بعد انتهاء الدفن فى قبر الرخام الأسود ، راحت جيهان السادات تتقبل العزاء . . وأخذ المعزون يصافحونها ، ويصافحون أيضا كبار الضيوف . .

وبعد نصف ساعة أخرى اختفى الزحام من المكان . .

(*) كان تجاهل العرب لجنازة السادات جزءا من مقاطعتهم لمصر بعد كامب ديفيد ، وقد حملت الأنباء أن الفلسطينيين فى بيروت قد أطلقوا الرصاص فرحا باغتيال السادات .

(٦) أقرب تفسير لمقاطعة المصريين لجنازة السادات هو ما جاء فى الكتاب الإسرائيلى «يوم أن قتل السادات» حيث قال المؤلفان : إن السادات الذى كان يعد بطلا فى نظر العالم الغربى ، خاصة بعد رحلة القدس ، إلا أنه كان فى نظر الكثيرين من أبناء شعبه رمزا للخيانة . . «والأكثر من ذلك زادت غربة السادات فى بلاده ، بعد رائحة الفساد التى تسربت من فم المقربين منه . . ورويدا رويدا تضاعفت الغربة بسبب زوجته التى تناقضت تصرفاتها مع كل القيم والأخلاق الاسلامية» . . ويقول المؤلفان : «إن المصريين لم يحيوا فى السادات هجومه على الدول العربية ، كما لم يبدوا ارتياحهم للشتائم التى كالها للحكام العرب الذين لم يسيروا على دربه ، لأنهم لم يروا داعيا للدخول فى مثل هذه المواجهة الحادة مع زعماء الأمة العربية» . .

وبقى القبر فى مكانه أمام المنصة ، ليشير الناس اليها ويقولون : هنا قتل . . وهنا دفن !

O O

لا أحد يعرف لماذا تحدد يوم «السبت» ليكون هو يوم «الدفن» و «الجنازة» ؟

هناك رأى ـ يمكن أن يكون وجيها ـ يقول : أن مصر حددت اليوم بخبث شديد ، لأنها كانت لا تريد أن يمشى فى الجنازة أى مسئول اسرائيلى ، الأمر الذى يتيح للمسئولين العرب لكى يمشوا فيها . . ذلك أن يوم السبت ، هو اليوم المقدس ، الذى إستراح فيه الرب ، عند اليهود ، والذى يخضعون فيه لطقوس صارمة ، تجعل من الأفضل أن يبقوا فى بيوتهم . .

ورغم ذلك . . ورغم وجاهة هذا الرأى ، فإن الإسرائيليين إشتركوا فى الجنازة بوفد كبير جدا ، على رأسه كان رئيس الحكومة مناحم بيجن . . (٧)

لقد عقد مجلس الوزراء الإسرائيلى جلسة خاصة ـ فى القدس ـ فى اليوم التالى لإغتيال السادات ، برئاسة مناحم بيجن ، وبحث «التطورات الدرامية فى مصر» . . وفى النهاية وافق على أن يرأس بيجن الوفد الإسرائيلى فى الجنازة . . وبإعلان هذا النبأ ، تراجع اسحاق نافون عن قراره بالسفر إلى مصر ، لأنه لايمكن أن يسافر رئيس الحكومة ورئيس الدولة معا فى مثل هذه المهام . .

اتخذ مجلس الوزراء قراره بسهولة ، ولم تثر خلفه أى ردود فعل ، كالتى أثيرت حول ظهور أول سفير إسرائيلى فى القاهرة ـ الياهو بن اليسار ـ فى العرض العسكرى الذى أقيم فى اكتوبر ١٩٨٠ . . فقد قال الاسرائيليون : «إنه كان من الأجدر بالسفير الا يحضر مثل هذا العرض الذى يعد رمزا لانتصار مصر على إسرائيل فى حرب اكتوبر ، ورمزا لجروح اسرائيل التى لم تشف بعد» !

وقد طاردت هذه الإنتقادات المسئولين الإسرائيليين الذين طلب منهم إتخاذ قرار بشأن إشتراك السفير الإسرائيلى الجديد فى القاهرة : «موشيه ساسون» فى العرض العسكرى الأخير . . فى اكتوبر ١٩٨١ . .

وكان الإتجاه هو الحفاظ على مشاعر الاسرائيليين وعدم حضور السفير العرض العسكرى . . لكن . . المسئولين ـ بعد تفكير عميق ـ وجدوا أن عدم حضور

---

(٧) المعلومات الواردة عن اشتراك اسرائيل فى الجنازة مصدرها الكتاب الإسرائيلى «يوم أن قتل السادات» .

السفير الإسرائيلي هذا العرض قد يفسر في مصر بأنه خروج إسرائيل عن السلام ، بالإضافة إلى أن إشتراك بن اليسار في العرض السابق ، سابقة ليس من السهل الرجوع عنها ».

وبعد طول جدل ، ترك الأمر لتقدير السفير الإسرائيلي «ساسون» نفسه ![8]

كان قرار ساسون هو حضور العرض .. لكنه تعمد أن يصل متأخرا حتى لا يستفز مشاعر المصريين .. فجاء العرض قبل أن يبدأ بثلث ساعة فقط ..

وعندما بدأ الإعتداء على المنصة ، سارع حارسه الخاص إليه ، وألقى به على الأرض ، وألقى نفسه عليه ، وغطاه بجسده تماما .. وراح حارسه الثاني يرقبه من بعيد ، فجاءت إليه رصاصة طائشة وأصابته .. ورغم ذلك انضم الحارس المصاب إلى السفير وحارسه الخاص ، واندفعوا يركبون سيارتهم بمساعدة ضابط مصري ، ونجحوا في الخروج من منطقة الخطر ..

وفيما بعد سئل ساسون :

- ألم يكن من الأفضل عدم حضورك العرض ؟

فرد مندهشا :

- يا إلهي .. هل تستطيعون أن تتصوروا ماذا كان سيعتقد المصريون وماذا كانوا سيقولون لو لم أكن حاضرا هناك ؟ .. لقد نجونا من الإغتيال .. ونجونا من تهمة إغتيال السادات !

ولعل العبارة الأخيرة التي قالها موشيه ساسون ، والتي تشير إلى «براءة الإسرائيليين من دم السادات» هي التي جعلت بيجن يعلن مشاركته في الجنازة بقلب قوي ...

ولعل اشتراكه في الجنازة كان محاولة سياسية لجس نبض القيادة المصرية الجديدة ، ومعرفة مستقبل السلام بين مصر وإسرائيل ، من هذه القيادة ..

وقد قال بيجن في جلسة مجلس الوزراء التي عقدها بعد عودته من الجنازة :

(٨) في حديث تليفوني مع صحيفة «معاريف» قال السفير الإسرائيلي : «ان اشتراكي في هذا الحدث ليس إلا جزءا من مسيرة السلام وتطبيع العلاقات بين الشعبين والدولتين . فدعوة وزير الدفاع المصري للسفير الإسرائيلي بالقاهرة لحضور هذا العرض ترمز - في نظري - إلى انتهاء عهد الحروب بين جيشي مصر وإسرائيل» .

- لقد كانت مهمة انسانية ثم تحولت إلى مهمة قومية !

وأضاف :

- لقد كانت إستثمارا هاما لمستقبل العلاقات بين مصر وإسرائيل !

على أن المشكلة التي عانى منها مناحم بيجن ، وباقي أفراد الوفد الإسرائيلي ، يوم الجنازة ، هي كيفية التغلب على طقوس يوم «السبت» التي تفرضها الديانة اليهودية عليهم ..

ولأن بيجن كان يعاني من أمراض ، تجعله لا يستطيع أن يمشي طويلا ، ولأنه كان من المستحيل أن يركب وسيلة مواصلات يوم السبت ، فقد اختاروا له نادي السكة الحديد - كأقرب مكان يمكن أن ينزل فيه ويمكنه منه أن يمشي إلى مكان العزاء - ولم يكن النادي مجهزا - كما قال الإسرائيليون فيما بعد - فنزل بيجن في حجرة ، وبورج في حجرة أخرى ، وشامير وشارون في الحجرة الثالثة والأخيرة من حجرات النادي التي تصلح للإقامة ..

وعشية يوم السبت اكتشف الوفد الإسرائيلي أن سلة الطعام «الكوشير»[9] التي أتوا بها معهم من إسرائيل تنقصها زجاجة خمر للتقديس ، فأمر بورج السفارة بإحضار واحدة بأي ثمن ، وقبل حلول السبت بساعة واحدة انقلبت السفارة رأسا على عقب بحثا عن زجاجة خمر «كوشير» إلى أن وجدوها في النهاية .

وفي نفس الوقت إقترح البعض على بيجن - بسبب الآلام التي يعاني منها في قدميه - ألا يشارك في الجنازة ، وأن يظل في النادي حتى تغرب الشمس فيستطيع ركوب سيارة تأخذه إلى قبر السادات ، فيضع عليه اكليلا من الورود .. لكنه رفض ..

وكان بيجن ، قبل ساعات من طقوس يوم السبت ، قد زار جيهان السادات ، وشد على يديها في تأثر بالغ ، وقال لابنها جمال :

- أتعشم أن تعتبرني مثل عمك ، وأن تحضر لزيارتنا في إسرائيل في أي وقت تشاء !

وردت جيهان السادات المجاملة إلى بيجن ..

(٩) الطعام الديني اليهودي .

وقالت له :

ـ يمكنكم الإعتماد على مبارك ، فزوجي أعده وأهله لمنصب الرئيس !

○ ○

قبل أن يدفن السادات . .

بل . .

قبل أن يجف دمه . .

إنطلقت فى مصر سيول «النكات» الساخرة التى كان السادات بطلا لها . .

كانت النكات تتعرض لكل الإنتقادات التى يمكن أن يوجهها شعب لحاكم ، لم تكن تصرفاته تعجبه . . الإستراحات الفاخرة . . تدخل زوجته فى شئون البلد . . أناقته المفرطة . . الصلح مع إسرائيل . .

وتعرضت النكات للصورة التى كان عليها بعد إغتياله . .

وتعرضت لما كان يشاع عن حياته الخاصة . .

وقد كانت هذه النكات اللاذعة ، والمتلاحقة ، والسريعة ، مثار تعجب لكثير من المحللين والمراقبين ، وخاصة أنها تواجه شخصا قد مات ، والمصريون يحترمون الموت ، ويطالبون بذكر محاسن الموتى فقط . .

فصحيح أن النكتة التى من هذه العينة معروفة فى مصر ، وتعرضت لكل حكامها حتى جمال عبد الناصر ، لكن صحيحا أيضا أنها كانت تتوقف بمجرد أن يموت الحاكم . .

وقد سئل الرئيس حسنى مبارك عن رأيه فى موجة النكات التى تجتاح مصر الآن . . أى بعد وفاة السادات مباشرة . .

فقال :(١٠)

إن النكات لم تتوقف فى أى وقت ، انما هى فقط تظهر وتختفى ، ولكنها دائما

(١٠) حوار مبارك مع مجلة «أكتوبر» عقب اغتيال السادات .

هناك ، ونحن مصريون ونعرف المزاج المصرى الذى يواجه المواقف الصعبة أو الأزمات العنيفة بالسخرية منها ، ومن نفسه أيضا . .

ولعلنا نتذكر أن الرئيس جمال عبد الناصر فى أول خطاب إلى مجلس الأمة بعد النكسة طلب إلى الشعب أن يكف عن النكتة . . أى طلب إلى الشعب ألا يضرب قواته المسلحة من الظهر . . وربما كانت هذه أول مرة فى التاريخ نجد رئيس دولة يعلن «تأثيم» الضحك . . فقد كانت النكسة قاسية ، موجعة . . كأنما الشعب يسخر من أبناء القوات المسلحة . . أى يسخر من أبنائه وآبائه . . أى يسخر من نفسه . . فكأنه يبكى بعين ويضحك بالعين الأخرى . . يبكى ويضحك على نفسه فى وقت واحد . . وأرى أن هذا هو الذى حدث أخيرا . .

وعندما سئل مصطفى أمين عن هذه الظاهرة . .

قال :(١١)

ـ النكات السياسية هى وسيلة الشعب للتعبير عندما لا تكون هناك ديمقراطية . . وإذا كانت هناك حكومات ديمقراطية وصحافة حرة ، وأحزاب تعبر عن آراء واتجاهات الشعب . . بالتأكيد النكات السياسية ستضعف . . أما إذا لم تكن هناك ديمقراطية ، وإذا أصبحت الصحافة مكممة انتشرت النكات !

وقال د . يحيى الرخاوى أستاذ الطب النفسى بجامعة القاهرة :

ـ النكتة السياسية ليست تنفيسا فحسب . . ولكنها اعلان لموقف ، وانذار قاس ، ولكن الافراط فيها قد يجعل منها بديلا عن الحوار المسئول ، والكلمة الناقدة الموضوعية . . وكل ذلك يتوقف على جرعة الديمقراطية ومسئولية ودرجة نضج من يمارسها . .(١٢)

وقال د . سعد الدين ابراهيم أستاذ الاجتماع بالجامعة الأمريكية :(١٣)

ـ قطعا النكتة السياسية هى تعبير عن قصور فى البناء الديمقراطى للمجتمع ، بل هى احدى النتائج لهذا التصور . . والنكتة السياسية هى وسيلة لتوصيل صوت الشعب إلى الحاكم ، وإنذار له .

وكما إنتشرت النكات السياسية تحاكم السادات . .

(١١) مجلة الوادى ـ يناير ١٩٨٢ ـ ص ٣٤ و ٣٥ .

(١٢) و (١٣) مجلة الوادى ـ المصدر السابق .

إنتشرت شرائط «كاسيت» ، يقلد أصحابها السادات ، ويحاكمون بسخرية تصرفاته ، وعهده . .

ثم . .

اندفعت المحاكمات والكتابات التى تدينه وتدين عهده . .

وبدأت أعنف حملة سياسية وصحفية ضده ، وصلت إلى ذروتها بالكتاب الذى أصدره محمد حسنين هيكل : «خريف الغضب ـ قصة بداية ونهاية عصر السادات» الذى انتهى به الأمر إلى المصادرة ، فتداول عدد كبير من المصريين قراءته سرا ، ومن خلال نسخ مصورة بماكينة «الفوتوكوبى» !

O O

على كل حال . .

انتهى الحال بالسادات إلى حجر من الرخام الأسود ، دفن تحته . .

وكتب عليه :

﴿ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾

وتحتها :

«الرئيس المؤمن ـ محمد أنور السادات : بطل الحرب والسلام . .

عاش من أجل السلام ومات من أجل المبادىء . .»

هكذا . .

كان رأى الدولة الرسمى فيه . .

لكن . .

كان رأى الشارع مختلفا تماما . .

١٠

رصاصات الحرس القاتلة !

« لقد اكتشفنا ترهلا يشمل فى الأمن والحراسات »

ضابط كبير
بعد الإغتيال

أين كان رجال الأمن وقت أن إخترقت ٣٩ رصاصة جسد السادات ؟

هذا هو السؤال الذى شغل بال العالم ، بعد أن عرف الناس ـ فى مصر وخارجها ـ من قتل السادات ؟ وكيف قتل السادات ؟!

وقد صاغ هذا السؤال صياغة ساخرة ، كاتب أمريكى ساخر ، هو «آرت بوكوالد» ، فجعله :

عمل فيك الأمن ايه ياسادات ؟ . .

على وزن عنوان الفيلم الأمريكى الشهير : «عملت ايه فى الحرب يابابا ؟» . .

وكانت صياغة بوكوالد الساخرة هى عنوان مقال له ، كتبه فى صحيفة «هيرالد تريبيون» ، تعرض فيه بصورة لاذعة إلى رجال أمن الرؤساء فى العالم . . «الذين يأكلون» ـ كما قال ـ «أكثر مما يعملون» . . و «ينفق عليهم» ـ كما قال أيضا ـ «أكثر مما يستفاد منهم» !

ونحن لا نعرف إلى أى مدى يمكن أن نثق فى رأى «بوكوالد» ـ العجوز . . لكننا نعرف أن التساؤل عن عدم تدخل حراس السادات فى الوقت المناسب ، قد شغل الناس ، بعد إغتياله . . ولايزال . .

○ ○

إن المعلومات التى توصلنا إليها بصعوبة عن الأمن الشخصى للسادات تقول :

ـ إن «الولاء الشخصى» كان عاملا هاما فى اختيارهم . . وكان هذا

« الولاء » أهم ـ أحيانا ـ من « الاعداد » . . أى أن قاعدة أهل « الثقة » وأهل « الخبرة » قد تنطبق عليهم أيضا . .

ـ وهذا لا يعنى أنهم كانوا من الهواة . . أبدا . . فقد تلقوا تدريباتهم جميعا فى وحدة « حراسة » الرئيس الأمريكى ، فى بعثة « سرية » إستمرت حوالى العام . . « وتخصصوا فى مهام الحراسة والتأمين » قبل أن يرافقوا السادات فى كل مكان يذهب اليه . .

وقد ترددت بعض المعلومات شبه المؤكدة أن المخابرات المركزية ، ساهمت فى تدريبهم على مختلف الإحتمالات الأمنية المتوقعة . . من الانقضاض على الرئيس وقت تعرضه إلى هجوم مباغت إلى الهروب به بطريقة مأمونة . . ومن مطاردة السيارات إلى سرعة الإنتباه وسهولة رد الفعل . . ومن كيفية السيطرة على الجماهير الغاضبة إلى سرعة التقاط الأسلحة وسرعة استخدامها . .

ـ وقد قدرت المبالغ التى أنفقت عليهم ، بحوالى ٢٠ مليون دولار . . وهناك تقديرات ترفع الرقم إلى ٢٥ مليون دولار أمريكى . .

ـ ويشمل هذا الرقم تزويدهم بوسائل إتصال حديثة بهدف حصر المكالمات الخاصة بهم فى نطاقهم هم وحدهم . . دون أن يتمكن أحد من خارجها من التصنت عليها . . فاستبدلت أجهزة اللاسلكى المسماة «ووكى ـ توكى» التى كانوا يمسكونها فى أيديهم ، بسماعات صغيرة فى حجم «زرار» الجاكتة ، توضع فى آذانهم ، أو تعلق فى ثيابهم . . ويقال إنهم زودوا بأحذية خاصة ، خفيفة ، تمكنهم من القفز والجرى ، بدلا من الأحذية العادية ، الثقيلة التى كانوا يستخدمونها . .

ـ ومن بين ترتيبات الأمن التى أضيفت للسادات ، فرقة خاصة لمكافحة الإرهاب ، كان بعض من أفرادها من غير المصريين . .

ـ أما الأسلوب المتبع فى حماية السادات ، فكان أسلوبا علميا ، يسمى بالأسلوب « المحورى » : «أى حراسة تتقاطع بحراسة أخرى ومن كل محور ، وكل اتجاه ، بحيث يلتقى نشاطهم جميعا وحركتهم الدائرية الواعية حول جسد السادات » . .[1]

(١) حمدى لطفى ـ مجلة الوادى ـ عدد اكتوبر ١٩٨٢ ـ ص ١٩ .

ـ وقد وصل عدد الأطقم الخاصة بحماية السادات إلى ١٠٠ طاقم !

هذه هى المعلومات التى جمعناها عن رجال أمن السادات . .

لكن . .

ماذا حدث يوم الحادث ؟

○○

مساء يوم ٥ اكتوبر ، جاء رجال الأمن والحراسة الخاصة من رئاسة الجمهورية فى بيت الرئيس السادات بالجيزة إلى وزارة الدفاع ، فى الساعة الخامسة ، قرب المغرب ، ليتسلموا رسميا مهمة تأمين الرئيس وهو يزور مبنى وزارة الدفاع صباح ٦ اكتوبر ، « ويقومون باجراء معاينة على الطبيعة لبرنامج دخول الرئيس إلى مقر المبنى ، وأين سيبقى وإلى أين سيتحرك حتى مغادرته إلى أرض العرض العسكرى برفقة نائب الرئيس ووزير الدفاع » . .[2]

كانت مهمة تأمين الرئيس فى مبنى وزارة الدفاع من اختصاص المخابرات الحربية ، حتى سنة ١٩٧٧ ، لكنها أصبحت من اختصاص رئاسة الجمهورية «أو بتوع الجيزة» كما كان يطلق عليهم . . وقد حاول رجال المخابرات الحربية وضباط الأمانة العامة لوزارة الدفاع ، الإعتراض على أن يتولى أحد ـ من خارج الجيش ـ حماية الرئيس وهو فى مبناهم . . ولكن اعتراضهم لم يقدم ولم يؤخر . . وبقى الوضع على ما هو عليه . .

وفى العادة تكون زيارة « بتوع الرئاسة » أو «أهل الجيزة» فى مساء ٥ اكتوبر ، مقدمة لوصول قادة لهم فى صباح اليوم التالى إلى نفس المكان ، لتمام المعاينة واحكام السيطرة ، ويبقون فى انتظار وصول الرئيس ولا يغادرون مبنى وزارة الدفاع إلا بعد أن يغادره الرئيس . .

نفس الشىء يحدث بالنسبة لأرض طابور العرض . .

ففى يوم ٥ اكتوبر عقد اجتماع ـ أو مؤتمر كما يقول العسكريون ـ برئاسة قائد المنطقة المركزية[3] . . ولأن قائد المنطقة المركزية . اللواء أ . ح سليمان عطية كان

(٢) حمدى لطفى ـ المرجع السابق .
(٣) قائد المنطقة المركزية هو قائد القوات المتمركزة ما بين الجيزة والقاهرة والفيوم .

يؤدى فريضة الحج ، فقد تولى نائبه اللواء أ . ح محمد صبرى زهدى [4] رئاسة المؤتمر ، الذى ضم رجال رئاسة الجمهورية بمختلف تخصصاتهم الأمنية ، ورجال المخابرات الحربية ، والعامة .

وتحرر محضر رسمى بهادار . . وبتوزيع الاختصاصات والواجبات . .

وطبقا لما جاء فى هذا المحضر . .

« كانت مهمة تأمين المنصة من اختصاص رئاسة الجمهورية بناء على طلب وتصميم ضباط الحراسة الخاصة ومجموعة الأمن الخاصة برئيس الجمهورية » . .

وفيما بعد قدم وزير الدفاع هذا المحضر . . الذى وقع عليه الجميع . . للرئيس حسنى مبارك ، أو بالأحرى قدم صورة منه ، لأن الأصل ذهب إلى رجال القضاء العسكرى الذين باشروا التحقيق على الفور ، فى هذه القضية التى عرفت بقضية تأمين المنصة وإهمال الأمن .

وفيما بعد إتضح وجود « ارتباك كبير حول مسئولية تأمين المنصة ، فقد تنازعت هذا الاختصاص عدة جهات ، بينها المخابرات الحربية والحرس الجمهورى والحرس الخاص للرئيس . . » [5]

« وقد قال العميد أحمد سرحان وهو من الحرس الخاص ، أن مسئوليته انحصرت فى تحقيق شخصية كل من كانوا على المنصة بجوار الرئيس وفى التأكد من سلامة أى مشروبات تقدم للرئيس أثناء العرض » . .

وفيما بعد ، قال أحد المحققين ـ الذين إشتركوا فى تحقيق قضية إهمال الحراسة ـ اننا اكتشفنا « ترهلا بشعا » فى مختلف المجاميع الخاصة بأمن وحراسة الرئيس ، وأن الأمر لم يكن يعدو عن مظهرية براقة . . [6]

(٤) اللواء محمد صبرى زهدى كان هو قائد طابور العرض ، وهو من قواد المدرعات فى حرب اكتوبر ، وقد بقى فى منصبه بعد حادث الاغتيال ٩ شهور ، وأحيل للتقاعد فى يوليو ١٩٨٢ .

(٥) هيكل ـ خريف الغضب ـ ص ٥٢٦ .

(٦) باشر القضية اللواء عز الدين رياض ، وعاونه مجموعة من المحققين برتبة عقيد ومقدم ، وكان هدفهم طوال التحقيق الذى استمر فى سرية تامة حتى فبراير ١٩٨٢ هو تحديد مسئولية تأمين المنصة التى جلس فيها السادات لمشهد العرض العسكرى .

حمدى لطفى ـ المصدر السابق الإشارة اليه .

يوم الإغتيال . .

لم يكن رجال الحراسة الشخصية للسادات فى مكانهم الصحيح . .

كانوا يحيطون به وهو قادم فى سيارته السوداء المكشوفة . . لكن . . عندما جلس فى الصف الأول ، انفضوا عنه . . وجلس بعضهم فى آخر المنصة ، وجلس البعض الآخر خلفها « يشرب الشاى والمثلجات » . .

لم يجلس أحد منهم خلف السادات فى الصف الثانى ، ولو كان هذا حدث ، لكانت فرصة القضاء عليه فرصة ضعيفة . . حيث كان متوقعا أن يشد إلى أسفل ، ويلقى الحارس بنفسه عليه ، ليحميه بجسده من الرصاص . . أو . . كان متوقعا أن يشد الكرسى من تحته ، فيقع على الأرض فى الوقت المناسب . .

وأغلب الظن أن السادات نفسه كان سببا رئيسيا فى ذلك . .

فهو الذى طلب من القناص الذى كان يجلس على كرسى أمامه أن يقوم من مكانه ويذهب إلى الخلف . .

وهو الذى رفض أن يكون أحد من الحرس خلفه ، وأصر على أن تكون الفرقة الخاصة بمكافحة الإرهاب خلف المنصة . . وكانت حجة السادات ـ على ما يبدو ـ هى أن الخطر قد يأتى من الخلف لا من الأمام . . كما أنه لم يشأ أن يظهر أمام العالم ـ عبر شاشات التليفزيون ـ بمظهر الخائف الذى يحيط به الأمن من كل جانب . .

إن أقرب رجال الأمن للسادات كانوا على بعد ٦٠ مترا ، بينما كان الجناة على بعد ٣٠ مترا فقط . . «وحين هرع رجال الأمن إليه بسرعة بعد الحادث كان الوقت قد فات » . .

وأغلب الظن أن أحدا لم يتوقع أن يكون هناك خطر على حياة السادات فى العرض . . وخاصة أن الجميع كان يعرف أن ابر ضرب النار قد نزعت من مكانها . . من كل الأسلحة . .

كما أن هذا العنصر . . عنصر المفاجأة قد شل حركة الجميع . . ودفع بعض الحرس إلى الإختباء تحت المقاعد ، مثلهم مثل أى شخص آخر ، غير مدرب على رد فعل مثل هذه العمليات . . ودفع البعض الآخر إلى اطلاق النار ـ دون جدوى ـ على الجناة . . وبعد أن انتهت العملية . . وإنسحبوا فى إتجاه رابعة العدوية . .

لقد أخطأ الحرس عندما أطلق الرصاص ، بعد فوات الأوان ، فقد أصيب الجناه برصاصهم إصابات قوية ، كان من الممكن أن تقضى عليهم ، وتقتلهم ، فيصعب معرفة ما حدث ، ويصعب التوصل إلى شركائهم . .

إذا لم يكن رصاص الحرس ، قد أصاب السادات ، كما أدعى المحامون الذين دافعوا عن الإسلامبولى وزملائه ، فإنه على الأقل قد أصاب بعض من كانوا فى المنصة . .

فقد ذكر تقرير الطبيب الشرعى أن إصابة محمد رشوان المصور برئاسة الجمهورية كانت « من طلقة عيار ٣٨ مللى » وهى ذات عيار تسليح شرطة رئاسة الجمهورية والحراسة الخاصة لرئيس الجمهورية . .[٧]

وقد إستخدم المحامون هذه الحقيقة فى التشكيك فيما قالته المحكمة من أن المتهمين الأربعة الأول « هم المسئولون بفعلهم معا عن قتل كل من رئيس الجمهورية وسبعة آخرين ومحاولة قتل ٢٨ » على النحو الذى تضمنه قرار الإتهام تحديدا . .

ويقول المحامى شوقى خالد ، محامى عبد الحميد ، فى الإلتماس الذى رفعه لرئيس الجمهورية :

إن تقرير الطب الشرعى الذى عولت عليه المحكمة كان قد إنتهى إلى إستحالة إصابة أى ممن فى المنصة بالرصاص الصادر عن حسين عباس من فوق العربة ، كما قطع ذات التقرير باستحالة أن يصاب أى من الموجودين بالمنصة من شظايا القنابل الدفاعية التى ألقاها خالد وعبد الحميد » . .

كذلك . .

ورد فى تقرير الطب الشرعى :

أن المرحوم سمير حلمى ابراهيم ، قد أصيب بمقذوف فرد يتعذر « الجزم بتحديد نوعه أو نوع السلاح بالنسبة لعدم إستقرار المقذوف بالجسم » . .

(٧) ورد فى تقرير الطبيب الشرعى ان الرئيس السادات لم يكن يرتدى النصف الأسفل من ملابسه الداخلية . وأن بنطلون البدلة كان مبطنا بالستان . . أما الفانلة الداخلية فهى ماركة «جيل» .

وبالنسبة للسيد خلفان ناصر ، تعذر اجراء الصفة التشريحية على جثته ، كما تعذر الاطلاع على أية أوراق طبية عن الاصابة أو شهادة وفاة . .

أما الأنبا صموئيل ، فتعذر كذلك اجراء الصفة التشريحية له . . «وجاء رأى الخبير بالنسبة له غير الجزم المتعين اثباته » .

وبالنسبة للسيد حسن علام ، قرر الطب الشرعى أنه لايمكن أن يجزم فى شأن إصابته بنوع الطلقة أو السلاح . . كما أن « اصابته بعيار من اليسار مخترقا الصدر بميل قليلا إلى الأمام وباتجاه من مستوى القدمين إلى الرأس ، وهى نفس ميل واتجاه العيار الثانى الذى أصابه وان كانت من الخلف » . .

ويضيف شوقى خالد فى التماسه :[٨]

« ان ذلك قاطع الدلالة على عدم إمكانية حدوثه من أى من المتهمين حتى على ضوء اعترافاتهم التى وقرت فى ذهن المحكمة ، ولا على ضوء ماوقر فى يقينها أيضا من أن المتواجدين فى المنصة قد اخذتهم الدهشة ، وإنبطحوا أرضا فلم يطلق أحد منهم الرصاص » . .

لقد جزمت المحكمة أن المنصة لم تشهد تبادلا أو تراشقا بالنيران . .

أى أن الحرس الخاص لم يستخدم سلاحه . .

لكن . .

أحد شهود الإثبات ، وهو الصول « الزهيرى » قرر :

ـ كانت هناك اعيرة نارية داخل المنصة من كل اتجاه ! ولاندرى إن كان رجال الأمن يطلقون تجاه المتهمين من عدمه ![٩]

وأمام المحكمة قرر اللواء محمد نبيه السيد أنه أصيب من رشاش خالد الإسلامبولى .

لكن . . التقرير الطبى الخاص به قال أن أصابته « نشأت من مقذوف عيار نارى مفرد كرصاصة من ذات السرعة العالية » وهى بهذه الصفة لايمكن أن تكون من عيار رشاش .

(٨) التماس محامى المتهم الثانى المرفوع لرئيس الجمهورية .
(٩) ص ٥٧ من محاضر الجلسات .

باختصار . .

كان إستخدام الحرس الخاص ، ورجال الامن ، لسلاحهم بعد فوات الأوان ، ضد القضية ، وضدهم . .

أى أنهم ، كما يقول المثل العامى : « جاء يكحلها . . عماها » !

ㅇ ㅇ

وليس سرا أن شكوكا حامت حول إمكانية أن يكون السادات قد أصيب ، إصابات إضافية ، برصاص الحرس الخاص به ، والذى كان السادات يدلله بصورة لم تحدث من قبل لحرس حاكم من الحكام

وكانت الصحافة العالمية قد أشاعت أن « قوات الحراسة الخاصة أصابت الرئيس السادات برصاصهم أثناء تبادل النيران مع القتله . وانه يمكن وبشكل طبيعى أصابة الرئيس برصاص حراسه الموجودين خلفه وبكل حسن النية . . كما انه يمكن أن تكون الاصابة بسوء نية أيضا » ! [10]

ووصلت الشائعة مسامع جيهان السادات . . فناقشت الأمر مع بعض أفراد الأطقم الذين « بكوا » أمامها تأثرا . . وطلبوا التحقيق فى هذه الواقعة . .

فلجأت حرم الرئيس الراحل الى الطب الشرعى الذى استخرج الطلقات من جسد السادات ، وجرت معاينة معملية على نوع الطلقات التى يستخدمها الحرس الخاص والطلقات الأخرى أمام جيهان السادات فتأكدت لها براءة رجال الرئيس . . [11]

ولا نعرف إلى أى مدى يمكن أن تصل خبرة جيهان السادات فى عالم الأسلحة والذخيرة ، حتى تستطيع أن تحكم ببراءة رجال الرئيس . .

وإن كان تقرير الطب الشرعى ـ الأصلى ـ لم يشر إلى أى إتهام يمكن أن يوجه لرجال الرئيس السابق !!

ㅇ ㅇ

(١٠) و (١١) حمدى لطفى ـ المصدر السابق .

وكما أن حراس الرئيس لم يكونوا فى المكان المناسب . . فأنهم كانوا أيضا لا يحملون السلاح المناسب !

فهم كانوا يحملون طبنجات ومسدسات حديثة ، ومتطورة ، إلا أنها كانت غير مجدية بالمرة فى مواجهة الرشاش والقنابل والبنادق الآلية . . [12]

وقد قال الرئيس حسنى مبارك :

ـ إن الحرس الشخصى للسادات كان مسلحا بالمسدسات فقط . . وانهم للأسف الشديد ، سيطرت عليهم المفاجأة ، ولم يفيقوا منها إلا بعد ٢٠ ثانية ، بدأوا بعدها فى الرد على النيران بالمثل .

وحتى فى ذلك الوقت ـ عندما إتضح لهم أن طلقاتهم لا تصيب المهاجمين ـ تجمدوا فى مكانهم ولم يخطوا خطوة إلى الأمام لتقصير المسافة .

والذى يرى الفيلم التليفزيونى الإيطالى الذى سجل عملية إغتيال السادات ، لابد أن يكتشف بسهولة وجود بعض رجال الأمن وهم يطلقون رصاصهم فى إتجاه المهاجمين ، دون أن يصابوا بأى أذى . .

وقد إعترف خالد الاسلامبولى ورفاقه فى التحقيقات :

ـ إن عدم رد الفعل السريع لرجال الأمن كان مفاجأة كبرى بالنسبة لهم !!

وقالوا :

« إن احتمالات نجاح العملية كانت صفرا عندما اندفعوا من العربة ، لكن هذه الاحتمالات أخذت تتزايد وتتزايد كلما نجحوا فى التقدم تجاه المنصة دونما عائق » ! [13]

ㅇ ㅇ

ومما لاشك فيه أن ما حدث من تقصير فى عملية إغتيال السادات ، كان مثار دهشة ودراسة العالم كله . .

(١٢) اتضح ان مسدسات بعض الحرس كانت خالية من الرصاص ، وكان ذلك نوعا من العقاب يفرضه السادات على بعض رجاله . . أن يقفوا خدمة بدون ذخيرة . .

(١٣) من أقوال المتهمين أمام المحكمة .

صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية طلبت من ثلاثة من كبار مستشارى الأمن فى البيت الأبيض أن يكتبوا لها عن رؤيتهم الخاصة لهذا الحادث . .

فأجمع الثلاثة على أن اثنين فقط من المسلحين بالبنادق الألية كان يمكنهما بمنتهى السهولة إحباط الإغتيال !

مجلة «شبيجل» الألمانية عقدت ندوة لخبراء أمن الزعماء والرؤساء ، لمناقشة الحادث . .

فانتهت الندوة إلى أن غياب القناصة الذين تعودوا وضع السادات ، وكل من يقترب منهم من مرمى رصاصهم كان العامل الحاسم للقضاء على السادات بهذه السهولة . . ودون مقاومة !

وقال خبراء آخرون :

ـ إن غياب البنادق الآلية ساعد الجناة على التقدم إلى هدفهم دون أن يصابوا !

أى أنه لو كان فى المنصة أسلحة أكبر من المسدسات والطبنجات لما حدث ما حدث !

والمفاجأة بعد ذلك . .

هى : أن المنصة كان بها بنادق آلية وأسلحة أخرى . .

وقد قرر ذلك العقيد محمد فؤاد حسين ، الذى أطمأنت المحكمة إلى شهادته . .

وقال : (١٤)

ـ انه يوجد حراس للمنصة الرئيسية أمام الصف الأول مباشرة وهو حرس جمهورى ، وأن عددهم كثير ومعهم سلاحهم وانه كان يوجد حرس مسلح داخل المنصة وأن أمن الرئاسة والحرس الجمهورى كان معهم طبنجات ، وبنادق آلية وأسلحة مختلفة .

(١٤) ص ٦٦ من محاضر الجلسات .

ولايجوز أن نلقى بكل اللوم على الحرس الخاص للسادات . .

فهناك جهات أخرى يجب أن تتحمل جزءا من هذا اللوم . .

الجهة التى سمحت لخالد الاسلامبولى بالاشتراك فى العرض رغم التأكد من إتصـاله بالجماعات الإسلامية ، ورغم تحذير المخابرات الحربية من إشتراكه فى العرض ، ورغم معرفة أن أخيه كان من المعتقلين . .

الجهة التى كانت مسئولة عن أمن دخول وخروج الأفراد من مقر وحدات الاسلحة المشتركة فى العرض ، والتى سمحت بدخول ٣ أفراد إلى مقر وحدة خالد الاسلامبولى ، دون حتى ابراز الخطاب المزور الذى كانوا يحملونه . .

الجهة التى كانت مسئولة عن التفتيش . . والتى لم تقم بعملها على الوجه المناسب . .

والجهة التى أمنت منطقة العرض كلها ، والتى أعطت الجنود سلاحا ، ولم تعطهم ذخيرة ، فلم يستطيعوا الرد على رصاص المهاجمين . . .

وفيما بعد ، أضيفت لقضيتى «الإغتيال» و«الحراسة» ، قضية ثالثة هى قضية «المدفعية» ، أو قضية الإهمال فى المدفعية . . (١٥)

وفى هذه القضية جرى التحقيق مع إدارة المدفعية وضباط اللواء ٣٣٣ الذى كان يخدم فيه خالد الاسلامبولى (١٦) . . وقد استمرت دراسة الاوضاع فى المدفعية ، وفى هذا اللواء بالتحديد تحت اشراف المشير أبو غزالة (١٧) لمدة أربعة أسابيع كاملة ، ثم احيل الامر الى القضاء العسكرى فبدأ التحقيق يوم ٨ نوفمبر ١٩٨١ مع مجموعة كبيرة من ضباط المدفعية . . وتولى الاشراف على التحقيق اللواء دكتور يحيى الشيمى مساعد المدعى العسكرى العام ، وهو احد رجال القضاء العسكرى للقوات الجوية . . وساعده ٧ من اعضاء النيابة العسكرية . .

وانتهى التحقيق بتقديم ٦ من ضباط المدفعية إلى المحكمة العسكرية ، التى

(١٥) حمدى لطفى ـ المصدر السابق .
(١٦) اللواء يضم عادة ٣ كتائب ، وقد أثبتت التحقيقات أن خالد الاسلامبولى كان ضابط أمن الكتيبة ليلة العرض .
(١٧) كان ضابط مدفعية أصلا .

جرت كل جلساتها سرية ، برئاسة اللواء عبد العال ابراهيم عبد العال مساعد مدير ادارة المحاكم العسكرية وقتها . .

وصدرت الأحكام بادانه ٥ ضباط وبراءة واحد فقط !

كما تضمنت أحكاما خفيفة جدا بينها حكم بالتكدير ، وحكم واحد بطرد قائد الكتيبة (مكرم عبد العال وهو برتبة رائد) لأنه لم يأخذ باقتراح ضابط المخابرات الحربية الذى أوصى بعدم اشتراك خالد الاسلامبولى فى العرض ، واصيب هذا الضابط بعد ذلك بانهيار عصبى . . وجاءت بقية الأحكام بتأخير الترقيات ، كما كانت هناك توصيات قيادية بإنهاء خدمة هؤلاء الضباط فى أقرب نشرة عسكرية ، وهى النشرة التى تنظم ترقيات العسكريين واحالة بعضهم الى التقاعد .

وفيها بعد نقل مدير سلاح المدفعية ، لواء منير شاش . . وهو أحد أبطال المدفعية فى حرب اكتوبر ، وكان قائدا لقوات مدفعية الجيش الثالث أيامها . . نقل فى يوليو ١٩٨٢ مساعدا لوزير الدفاع . . ثم . . محافظا لشمال سيناء فى ٤ سبتمبر ١٩٨٢ .

○○

وهناك . .

من يلقى ـ بجزء من اللوم ـ من باب التخفيف من تقصير الحرس ، على تصميم المنصة نفسها . .

فالمنصة ليست مرتفعة . . إلى حد أن الجناة قد طالوا من رقد خلفها بمجرد أن شبوا قليلا على أمشاط أصابعهم . . وإلى حد أنهم لم يستخدموا الكرسى الموجود أمامها والذى كان يجلس عليه أحد الحراس . .

والمنصة ليست بعيدة بعدا كافيا عن طريق العرض العسكرى . . فالمسافة بينها وبين خط طابور العرض لا تزيد على ٣٠ مترا فقط . .

كما أنه ليس هناك بينها وبين أسلحة العرض حاجز من الأمن . .

وفيها بعد قال رئيس قسم الإستشارات الأمنية الخاصة بحراسة الأشخاص فى شركة «كونسلدتيد» البريطانية :

ـ كان من الواجب إقامة حاجز شفاف مضاد للرصاص بمساحة المنصة !

○○

ويبقى سؤال له دلالة واضحة . .

هل كان تعدد أجهزة الأمن فى منطقة العرض وأرض المنصة سببا فى القتل السهل الذى حدث ؟

هل أدى تعدد أجهزة الأمن ، وتعدد قياداتها ، إلى بروز خطأ بيروقراطى ، ساهم فى قتل السادات ؟

إن من المثير للدهشة أن نذكر : أن السادات قتل وسط ثمانى هيئات أمنية : مباحث أمن الدولة . . شرطة رئاسة الجمهورية . . حرس الرئاسة الخاص . . الحرس الجمهورى . . المخابرات العسكرية . . الشرطة العسكرية . . المخابرات العامة . . «المكلفة باحباط أى مؤامرة خارجية» . . والأمن المركزى «الذين تخصصوا فى قمع المظاهرات» . .

فهل أعتمدت كل جهة على غيرها ؟

ـ أم . .

عمل الجميع معا دون تنسيق ؟

أم . .

حدث صراع بينها حول هذه المهمة ؟

ولاتزال الاجابات حائرة . .

وفيها بعد حاولت كل جهة من هذه الجهات الأمنية أن تبرىء نفسها من الإغتيال وتلقى به على الأخرين !

وفيها بعد ـ أيضا ـ حصل نقاش حاد بين وزير الدفاع ووزير الداخلية (نبوى اسماعيل) حول من المسئول عن إغتيال السادات ؟!

وفيما بعد أراد المشير أبو غزالة التخفيف من النقد الذى وجه إلى جهات الأمن العسكرية . .

فقال :

ـ إن كل احتياطات الأمن لا تنفى إمكانيات تنفيذ عملية الإغتيال ، اذ أن هناك دائما فى أية خطة حراسة ، ثغرة يمكن النفاذ منها ، بدليل نجاح خطة إغتيال جون كيندى ، وبدليل محاولة اغتيال الرئيس رونالد ريجان وسط أفضل حرس مدرب فى العالم !

وفيما بعد . . أشار حسنى مبارك إلى مسئولية الرئيس السادات عن ما حدث له . .

فقال :

ـ إن السادات إعترض على حراسته لأنه شعر بأنه موجود وسط شعبه ولم يتوقع حدوث هذا الذى حدث !

١١

فى القفص الحديدى !

« الحاكم الذى يعقد صلحا مع اسرائيل . . كافر »

فتوى هيئة كبار علماء الأزهر

شهدت أولى جلسات محاكمة قتلة أنور السادات . .

صباح يوم الجلسة الأولى
يوم ١٢ نوفمبر ١٩٨١ . .

كل شيء «غير» هادىء بالمرة فى أرض المحكمة العسكرية العليا . . محطة «الجبل الأحمر» العسكرية . . بالقرب من نادى «السكة الحديد» الرياضى . . شرق القاهرة . . وبالقرب من مدينة نصر ، حيث قتل السادات . .

سيارات الشرطة العسكرية تسد منافذ الدخول إلى مدينة نصر . . حواجز الأمن ونقاط التفتيش زرعت فى تقاطعات الطرق والشوارع الرئيسية . . مرور السيارات «الملاكى» تحول عن المنطقة . . شبكة دقيقة وحساسة ـ من أجهزة اللاسلكى ـ تربط بين أفراد ومعدات وأسلحة خطة «الحراسة» . . وطائرات هيلكوبتر تحوم ـ أحيانا ـ فى السماء . .

كان العالم كله ينتظر هذا اليوم . .

وكان العالم كله يعتبر هذا اليوم أول اختبار للرئيس الجديد حسنى مبارك . . هل سيتشدد فى المحاكمة . . أم أنه سيحاول أن يفتح صفحة جديدة مع المسلمين المتطرفين . .

فكان أن قرر حسنى مبارك أن تجرى المحاكمة ـ على غير ما كان متوقعا ـ مفتوحة أمام كاميرات التليفزيون ، وأمام الصحافيين الذين وفدوا من أربعة أنحاء العالم لتغطية هذه المحاكمة ، التى اعتبرت بالفعل محاكمة القرن العشرين بأكمله . .

قبل ساعتين بالضبط من بدء المحاكمة ، تجمع الصحفيون والمحامون وأقارب المتهمين أمام نادى السكة الحديد . .

وروجعت أسماؤنا على مدخل المحطة العسكرية أول مرة . . وروجعت مرة أخرى داخل المحطة . . وروجعت مرة ثالثة أمام مدخل المحكمة . . وكان عددنا ١٠٠ صحفى ومصور . . بخلاف ٣٠ محاميا . .

وفى المرة الأخيرة استبدلت بطاقات تحقيق الشخصية المدنية بتصاريح الدخول . . وكان لكل فئة من هذه الفئات تصريح خاص بها . .

وانتهت الاجراءات الأمنية معنا بتفتيش نهائى ، استخدمت فيه أجهزة الكشف عن الأسلحة . .

وكانت أجهزة الأمن العسكرية قد استقرت على هذه الاجراءات ، وعلى خطة التأمين والحراسة فى صورتها النهائية قبل أربعة أيام من ساعة صفر المحاكمة . . وعرف كل مسئول فيها دوره ، وموقعه منذ ذلك الوقت . .

وكانت عملية نقل المتهمين من السجن الحربى - إلى المحكمة - هى أخطر جزء فى هذه الخطة المحكمة . . فقد تم نقلهم منذ الفجر فى سيارات متعددة ، وتحت حراسة مشددة إلى المحكمة .

وصاحب هذه الإجراءات الصارمة للأمن اجراءات طوارىء أخرى ، خاصة بسيارات الإسعاف ، والخدمات الطبية . . وحضرت بعض مجندات السكرتارية العسكرية لتفتيش الصحفيات وأقارب المتهمين من النساء . .

وعموما . .

لم تتعرض هذه الخطة ولا هذه الاجراءات لأية متاعب ولا لأية مفاجآت .

○○

لم يكد الصحافيون ، ومصورو الصحف والتليفزيون يدخلون قاعة المحكمة ، حتى فوجئوا بخالد الأسلامبولى يخرج يده اليسرى من القفص وهو يمسك مصحفا صغيرا له غلاف من اللون الأحمر ، ويصرخ فى صوت مسرحى قوى :

أنا خالد الاسلامبولى . .

أنا قاتل السادات . .

أنا قاتل فرعون . .

أنا قاتل الطاغوت . .

وأسرعت كاميرات الدنيا التى جاءت تبحث عنه ، تصوب عدساتها اليه ، بعد أن لفت انتباهها إليه . . ووفر عليها التفتيش عنه وسط المتهمين . .

كان المشهد فرصة لا تعوض أمام المصورين فانقضوا على المتهمين بكاميراتهم . .

كان المتهمون يقفون كل ستة فى قفص . .

وكان أغلبهم صامتا . .

إلا خالد الاسلامبولى الذى كان استعراضيا طوال الوقت . . وحاول أن يسرق الكاميرات من باقى زملائه ! فعندما دخل أقارب المتهمين القاعة ، صرخ :

مفيش حد من قرايبى جه ؟ . .

ولم يكن قد اكتشف وجود خالته وزوجها فى نهاية القاعة . .

ثم راح يهتف والمتهمون يرددون وراءه :

فى سبيل الله قمنا نبتغى رفع اللواء . .

لا لحزب عملنا نحن للدين فداء . .

الله أكبر . . الله أكبر . . الله أكبر . . لا إله إلا الله . .

عليها نحيا . . وعليها نموت . .

وفى سبيلها نجاهد وعليها نلقى الله . .

وكان خالد الاسلامبولى فى القفص أقل حجما من حجمه فى الصور التى نشرت له بعد الحادث . . كان يرتدى بلوفر رماديا ، وقميصا أزرق تحته ، وبنطلونا من القماش الرخيص . . ورغم ذلك كان أكثر المتهمين أناقة . . فقد

ارتدى أغلبهم الجلباب بألوان مختلفة : أبيض .. أزرق .. وبنى فاتح .. وارتدوا تحت الجلباب البلوفرات والقمصان .. وارتدوا فوقه الجاكت والبالطو .. وتميز عبود الزمر ، وسط المتهمين ، بملابسه ورتبه العسكرية ، وإن لم يضع غطاء الرأس العسكرى (الباريه) ..

وحضر الدكتور عمر عبد الرحمن وهو يرتدى الملابس التقليدية للشيوخ : الجبة والقفطان والكاكولة ..

وظل محمد عبد السلام معظم الوقت جالسا على الأرض فى القفص بسبب ساقه التى كانت فى الجبس ..

كان عددهم ٢٤ متهما ..

كلهم حضروا الجلسة فيما عدا المتهم الثامن عاصم عبد الماجد الطالب بهندسة أسيوط ، والذى كان يعالج فى مستشفى الشرطة بالعجوزة ..

وقد جاء المتهمون إلى القفص بعد أن وجه اليهم المدعى العام العسكرى تهمة قتل .. أو الإشتراك فى قتل السادات ..

وكان نصيب الخمسة الأوائل منهم (خالد وعبد الحميد وعطا وحسين وفرج) هو نصيب الأسد فى إتهامات المدعى العام العسكرى ..

فالمتهمون من الأول إلى الرابع «قتلوا عمدا مع سبق الإصرار والترصد رئيس جمهورية مصر العربية الراحل محمد أنور السادات» عقدوا العزم على قتله غدرا وغيلة أثناء وجوده بالمنصة الرئيسية فى العرض العسكرى يوم ٦ اكتوبر ١٩٨١[1]
أما المتهم الخامس ، فقد «اشترك بطريق الاتفاق والتحريض والمساعدة مع المتهمين من الأول والرابع فى الخيانات السابق بيانها» ..

ووجهت للمتهمين الخمسة ، تهمة تقول : «إنهم حازوا وأحرزوا الأسلحة والذخائر بغير ترخيص قانونى ، كما حازوا وأحرزوا واستخدموا المفرقعات بغرض ارتكاب إغتيال سياسى» حسب ما جاء فى التحقيقات .

واتهم الخمسة أيضا بتهم نسبت اليهم فكرا معينا وصفته إدارة المدعى العسكرى بأنه فكر مؤثم ، وحاولت وأن تستخلص من ذلك أن مجرد اعتناق هذا

(١) قرار الاتهام

الفكر هو بذاته نوع من الإشتراك بطريق التحريض والاتفاق فى التهمة الرئيسية، وهى القتل .[2]

○ ○

فى الساعة التاسعة و ٢٨ دقيقة بالضبط ، صفق الرقيب أول ابراهيم زين العابدين وصرخ بأعلى صوته :

ـ محكمة !

وفى الساعة التاسعة و[illegible] تماما ، بدأت المحاكمة ..

محاكمة العصر ..

وهى فعلا كذلك ..

فالمجنى عليه رئيس جمهورية وصلت شهرته إلى كل الناس ، وأثار الجدل والحيرة بينهم بسبب صدماته وقراراته .. وأيضا تصرفاته ..

والمتهمون جناة غير تقليديين .. غير محترفين .. أعمارهم تتراوح ما بين ٢٩ ، ١٨ سنة ، باستثناء المقدم عبود الزمر (٣٥ سنة) والدكتور عمر عبد الرحمن (٤٣ سنة) .. بينهم ٧ خدموا فى القوات المسلحة ، و٨ طلبة فى الجامعات والتعليم الثانوى .. وعدد من الحرفيين يتراوح عملهم بين طب الأسنان وأعمال الدهان ..

وبمجرد أن سمع من فى القاعة كلمة «محكمة» هبوا واقفين ..

ودخل رئيس المحكمة اللواء دكتور سمير محمد فاضل .. وهو حاصل على درجة الدكتوراه فى القانون ، وخدم فى سلك النيابة والقضاء العسكرى منذ كان ضابطا صغيرا .. وتولى منصب رئيس نيابة شرق القاهرة ، ثم أصبح نائبا للمدعى العام العسكرى ، فنائبا لمدير المحاكم العسكرية ..[3]

(٢) الإلتماس الذى رفعه المحامى شوقى خالد ، محامى عبد الحميد عبد السلام ، إلى رئيس الجمهورية ، بعد صدور الحكم ، وقد جاءت هذه الفقرة فى مقدمة الإلتماس
(٣) فيما بعد .. بعد انتهاء القضية خرج الدكتور سمير فاضل من الخدمة ، على المعاش ، وقد سرت شائعة أثناء المحاكمة أنه سيعين سفيرا فى الخارج ، لكن هذا لم يحدث .. وقد حاول الدكتور سمير فاضل أن يقيد اسمه فى جداول نقابة المحامين لكن طلبه رد .. بعد أن اتهمت النقابة بأنه أثناء نظر هذه القضية أخل بحقوق الدفاع

ثم تبعه القاضيان : اللواء مصطفى ماهر ، واللواء عبد العزيز الشاعر . .[4]

وجلس على يمين المنصة العقيد يحرى محمود عبد القادر رئيس النيابة العسكرية ، واللواء فاضل خليل المدعى العام العسكرى . .

٥ ٥

فتحت الجلسة . .

وسأل رئيس المحكمة خالد الاسلامبولى عن اسمه وسنه ووظيفته . .

وبعد أن أجاب خالد الإسلامبولى . .

سأله رئيس المحكمة :

ـ هل لك محام ؟

فقال خالد :

ـ لا . . إن الله يدافع عن الذين آمنوا !

قال رئيس المحكمة :

ـ سنعين لك محاميا !

وبعد أن كرر رئيس المحكمة نفس السؤال على باقى المتهمين ، اتضح أن هناك تسعة منهم بلا محامين . .

وفيما بعد . .

كان من نصيب خالد الاسلامبولى ، المحامى عبد الحليم رمضان . . وهو محام شهير ، يبلغ من العمر ٥٧ سنة ، وعرف عنه كراهيته للسادات ولنظامه ، وسبق أن رفع قضايا كثيرة ضد العديد من قراراته . . ولهذا كان سعيدا للغاية بدفاعه عن المتهم الأول فى حادث إغتيال السادات . . وكان عبد الحليم رمضان قد سبق له الدفاع عن شكرى مصطفى زعيم جماعة «التكفير والهجرة» عام ١٩٧٧ ، والتى اتهمت بقتل الشيخ الذهبى .[5]

(٤) بعد القضية أحيل عضو اليمين إلى المعاش وعين عضو اليسار رئيسا لفرع المحاكم العسكرية .

(٥) يبلغ من حماس عبد الحليم رمضان لخالد الإسلامبولى أنه شبهه بالحسين (ض) فى أزمته .

وأثبت أحمد الخواجة ، نقيب المحامين حضوره مع المتهم الثانى عبد الحميد عبد السلام ، لكنه لم يحضر . . وتولى الدفاع عن عبد الحميد ، المحامى شوقى خالد ، وهو ناصرى ، وعضو حزب العمل الاشتراكى ، وكان من قبل نائب أحكام بالقوات المسلحة . .

وكانت المفاجأة هنا ، هى أن بعض المحامين الذين كانوا فى السجن ـ على ذمة اعتقالات سبتمبر ـ قد أثبتوا حضورهم عن المتهمين . . ومنهم : عبد العزيز الشوربجى ، وفريد عبد الكريم ، وأحمد ناصر .

وقد وصل عدد المحامين الذين لعبوا دورا فى هذه القضية إلى ٣٥ محاميا . . كان من بينهم عطية سليمان ، وعطية خميس وحافظ الختام وعماد السبكى واسماعيل النجار ، وعبده مراد ، وابراهيم صالح ، وممدوح عبده مراد . . واختفت من القضية الأسماء الكبيرة فى هذا النوع من القضايا ، وهى الأسماء التى تتقاضى أتعابا مرتفعة ، لم يكن ليقدر عليها أهالى المتهمين . .

وبقيت الأسماء اللامعة التى لم تلتفت إلى الأتعاب ، واعتبرت هذه القضية قضية سياسية بالدرجة الأولى . .

وقد قال لى عبده مراد محامى عبود وطارق الزمر :

أنا قبلت هذه القضية لأنهما بلدياتى من «ناهيا» وأعرف عائلتهما من قبل !

وعبده مراد بالمناسبة ، كان أول مدع عسكرى فى عهد الثورة ، ثم خلع بدلته العسكرية ليصبح محاميا فى أشهر القضايا السياسية التى كانت الثورة طرفا فيها مثل قضية «خميس والبقرى» بكفر الدوار ، ومثل قضية انقلاب سلاح الفرسان ومثل قضية الإخوان ، ومثل قضية على عبد الخبير التى اتهم فيها بتدبير انقلاب ضد السادات .

والمثير أيضا . .

أن من بين هيئة الدفاع كان اثنان من رؤساء المحاكم العسكرية العليا (سابقا) وهما اللواء يسرى محرم واللواء محمد صالح . .

والأكثر إثارة . .

أن بعض المحامين حضر الجلسة الأولى وهو غير متحمس للدفاع عن المتهمين . .

وكان السبب هو إحساسهم أن الرأى العام لا يتعاطف مع المتهمين . .

وقد قال لى ممدوح عبده مراد ـ المحامى :

ـ إن موقف المحامين فى هذه القضية حرج جدا . . لأنه يقف ضد مشاعر وأحاسيس الرأى العام غير المتعاطف مع المتهمين !

وكان هذا الرأى فى الحقيقة، رأيا خاصا بصاحبه . .

وقال محمد يسرى محرم ـ المحامى ـ رأيا مشابها أمام المحكمة . .

فقد قال فى جلسة ٣٠ نوفمبر ١٩٨١ :(٦)

ـ إن هيئة الدفاع الموجودة بهذه القاعة ما حضرت إلى هنا إلا لأداء واجب الدفاع وهى أمانة لابد من أدائها ولكنها فى نفس الوقت تشجب سفك الدماء واعتباره وسيلة للتفاهم وحل المشاكل !

ورغم وجاهة هذا الرأى . .

إلا أنه كان غريبا من محام جاء إلى المحكمة ليفعل المستحيل لإنقاذ المتهمين من العقوبة . .

أو . . على الأقل . .

جاء ليخفف العقوبة عليهم !

O O

فى استراحة المحكمة ، نجحت فى الوصول إلى قفص المتهمين ، وطلبت من خالد الاسلامبولى أن يتكلم . . وبالفعل تكلم . .

وتدخل فى الحديث عبد الحميد عبد السلام . .

وقد نشرتُ هذا الحديث فى عدد ٣٠ نوفمبر ١٩٨١ من مجلة «روز اليوسف» ، تحت عنوان : «روز اليوسف تستجوب قتلة السادات» وكان هذا الحديث هو الوحيد فى صحافة العالم مع المتهمين . .(٧)

(٦) ص ٥ من محاضر الجلسات

(٧) ترتب على نشر هذا الحديث سحب التصريح الخاص بى ، وامتناع رجال المخابرات الحربية عن التصديق لى بحضور الجلسات الأخرى ، ومن حسن الحظ أن جلسة واحدة أخرى علنية فقط هى التى تمت . . وحرمت منها .

وقد سألنى خالد :

ـ هو فيه حد من مباحث أمن الدولة هنا ؟

قلت له :

لا أعرف !

سألنى :

ـ أنت صحفى ؟

فقلت :

ـ نعم . . وأريد أن أسألك لماذا قتلت السادات ؟

قال :

ـ لأنه كان يضطهد الجماعات الاسلامية ويعتقل رجال الدين !

سألته :

ـ من قال لك هذا الكلام ؟

قال :

ـ محدش !

سألته :

ـ كيف وضعت الخطة وكيف نفذتها ؟

وقبل أن يرد خالد ، أسرع عبد الحميد يقول لى :

ـ أنا . . أقول لك إزاى .

قلت :

ـ قول . . بسرعة !

قال :

ـ دخلنا أرض الطابور ولم يشك أحد فينا ، وهربوا لنا الذخيرة ، واحتفظت بأبر ضرب النار . . كلنا ضربنا الرصاص فى وقت واحد من العربة ونزلنا جرى لنلتف حول المنصة .

قلت لخالد :

ـ هل رأيت السادات وهو يسقط ؟

قال :

ما أخدتش بالى .

التفت لعبد الحميد :

ـ وأنت ياعبد الحميد ؟

قال :

ـ ما أعرفش !

سألت خالد :

ـ هل أفتى الدكتور عمر عبد الرحمن باباحة دم السادات ؟

قال :

ـ مكناش محتاجين لأى فتوى .

سألته :

ـ عارف مصيرك ايه دلوقتى ؟

قال :

ـ الله أعلم ، المهم دلوقتى إنى أشوف أهلى وقرايبى .

ولم يزد الحديث بينى وبين الاسلامبولى وعبد الحميد عن هذا القدر ، فقد صرخ أمين السر :

ـ محكمة !

ودخلت هيئة المحكمة . .

وبعد أن قرأ القاضى ما توصلت اليه المحكمة من قرارات ، رفعت الجلسة .

وكان القاضى قد أمر بمزيد من الطعام للمتهمين . . وسمح لأقاربهم بزياراتهم . . ووافق على الكشف الطبى الذى طلبوا اجراءه عليهم . . وأمر بنقل عاصم عبد الماجد من مستشفى الشرطة إلى مستشفى السجن الحربى . .

وفيما بعد . .

قررت هيئة الدفاع بطلان إعترافات المتهمين التى إنتزعت منهم بالتعذيب والإكراه . . فقد اثبتت هيئة الدفاع أن المتهم الثانى عبد الحميد عبد السلام نال اكبر قدر من التعذيب «بالوسائل الأمريكية الحديثة التى وردت إلى مصر فى عهد القتيل أنور السادات مع كامب ديفيد»[8]

وقال الدفاع : لقد ركبت أجهزة كهربائية ذات ذبذبات عالية على أدمغة المتهمين لتؤثر على ارادتهم . . ووصل التعذيب إلى حد أن أحدهم فقد النطق .[9]

○ ○

بدأت الجلسة الثانية من المحاكمة صباح ٣٠ نوفمبر ١٩٨١ .

وضع ملف القضية رقم «٧» لسنة ١٩٨١ ـ أمن دولة عسكرية عليا ، على المنصة . .

وسأل القاضى خالد الاسلامبولى :

ـ هل تعترف بالتهمة الموجهة إليك ؟

أمسك خالد القضبان وقال فى ثبات :

ـ نعم . . أعترف أننى قتلت أنور السادات .[10] فهذا ما أمرنى به الدين الحنيف !

قفز عبد الحليم رمضان من مكانه ـ فى الصف الأول من القاعة ـ إلى القفص ، وطلب من المحكمة أن تأذن له بالكلام مع المتهم . . وبعد أن اذنت له المحكمة بذلك ، همس فى أذن خالد ببضع كلمات ، ثم وقف أمام المنصة وطلب من المحكمة أن تعيد قراءة نص الاتهام الموجه إلى موكله من جديد . .

صرخ خالد :

انى لا أعترف بقتل السادات !

(٨) و (٩) شوقى خالد ـ الالتماس المرفوع لرئيس الجمهورية

(١٠) لوحظ طوال التحقيقات والمحاكمات أن المتهمين حريصون على عدم ذكر لقب الرئيس قبل اسم السادات .

وأضاف :

أنا لست مجرما !

ويبدو أن خالد الاسلامبولى قد إستجاب لهمس محاميه من باب عدم إحراجه فقط ، لأنه هو وبقية المتهمين ، قد طلبوا من المحامين عدم بناء دفاعهم على إنكار قتل السادات . .

وقالوا لهم :

- إما أن تبنوا دفاعكم على أننا نعترف بقتل السادات ، وإما سنفرض عليكم الإنسحاب !

لم يكن اقناع عبد الحليم رمضان لخالد الإسلامبولى بالعدول عن اعترافه هو المفاجأة الوحيدة التى فجرها عبد الحليم رمضان فى هذه الجلسة . .

كانت هناك مفاجأة أخرى . .

طلب ضم التحقيقات التى تجريها نيابة أمن الدولة مع بعض المتهمين فى القضية رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٨١ ، حصر أمن دولة عليا ، وهى القضية المعروفة باسم قضية «الجهاد» ، لتناولها وقائع وتهما مرتبطة بوقائع القضية المطروحة ، حتى يمكن تحقيق القضايا إعمالا بنصوص القانون . .[11]

لكن . .

المحكمة رفضت الإستجابة لهذا الطلب . . واستنادا إلى أن مواد القانون المشار اليها تخاطب سلطة الإحالة وتلزمها برفع الدعوى بجميع الجرائم أمام المحاكم العادية إذا شمل التحقيق الواحد عدة جرائم مرتبطة ارتباطا لا يقبل التجزئة » . . وقد وجدت المحكمة أنها لا تنطبق على هذه الحالة . . فالمحكمة لا تتعرض «إلا للوقائع المطروحة أمامها فعلا » . . ولا يجوز لها أن تطلب ضم أوراق تحقيق الذى لايزال جاريا أمام جهة قضائية أخرى بمقولة وجود ارتباط بين وقائعه ووقائع الدعوى المطروحة أمام المحكمة» . .[12]

(١١) المادة ١٨٣ من قانون الأحوال الجنائية والفقرة الأخيرة من المادة ٢١٤ من نفس القانون ، المضافة بقرار رئيس الجمهورية رقم ١٧٠ لسنة ١٩٨١ .

(١٢) حيثيات الحكم !

ولم تكد المحكمة ترفض هذا الطلب . .

حتى أعلن الدفاع عدم صلاحية القضاء العسكرى لنظر هذه القضية . .

وكانت حجج الدفاع فى هذه النقطة لا نهاية لها . .

منها . .

أن الضابط المصدق على أحكام المحكمة ، وهو رئيس الجمهورية ، كان ضمن المتواجدين فى المنصة أثناء الاعتداء عليها ، وهو - هنا - يعد قانونا وواقعا مجنيا عليه . . أو هو فى القليل شاهد فى الدعوى . . أو هو فى أقل القليل كان مطلوبا للشهادة من المتهم الثانى . .[13]

أى أن الضابط المصدق - هنا - هو خصم وحكم فى نفس الوقت !

ومنها . .

أن القضاة العسكريين هم جزء من الإدارة العامة للقضاء العسكرى ، والإدارة الأخيرة هى احدى ادارات القيادة العليا للقوات المسلحة (المادة الأولى من قانون الأحكام العسكرية) ، وهذه الادارة طبقا للمادة الثانية من ذات القانون يتولاها مدير لا يشترط أن يكون قاضيا وهو لا يؤدى اليمين القانونية بالنسبة لنظيره فى المحاكم والادارات المدنية ، وهو يمارس اختصاصاته الممنوحة بقوانين ونظم القوات المسلحة . . والقضاة العسكريون يصدر القرار بتعيينهم من وزير الدفاع ويؤدون القسم أمامه . . وهم خاضعون لكافة الأنظمة المنصوص عليها فى قوانين الخدمة العسكرية . . ولما كان وزير الدفاع من بين المجنى عليهم . . أو هو على الأقل شاهد ، فإن القضاء العسكرى التابع له ، لا يكون مناسبا لنظر الدعوى ، لوجود شبهة التحيز للمسئول الأول عنه . .

ويضيف شوقى خالد - المحامى :[14]

إن القضاء العسكرى غير مستقل ، ولا يتمتع بالحصانة . . وهما الضمانتان

(١٣) لم يكن الدفاع بحاجة إلى اثبات وجود حسنى مبارك فى المنصة وقت الاعتداء عليها ، لكنه رغم ذلك ، دلل على وجوده ، بشرائط الفيديو التى صورت الحادث ، وبظهوره فى التليفزيون وهو يلقى البيان الأول بعد اغتيال السادات وهو يربط أصبعه برباط طبى ، وإلى ما قرره عبد الحميد عبد السلام فى جلسة ٥/ ١٢/ ١٩٨١ من أنه كان بمقدرته النيل منه ، إلا أنه أشار إليه بالإبتعاد ، لانه لا يريده هو . . - انظر النهاس محامى المتهم الثانى .

عدم صلاحية
القضاء العسكرى طعنا بتصديقها

يدفع الدفاع من بداية — وقبل الخوض فى الموضوع لأسباب الطعن — الى الدفع بعدم صلاحية الضابط المصدق طعنا وتصديقا للأسباب الآتية :

أولا : أن السيد الضابط المصدق من السيد رئيس الجمهورية كان ضمن المتواجدين فى المنصة التى قال فيها قرار الاتهام أنها كانت هدف المهاجمين لها وبالذات المتواجدين فى الصف الأول ....

ثانيا : ان السيد الضابط المصدق يعد قانونا وواقعا مجنيا عليه ....
وسنحاول أن نثبت ذلك فى عرضنا للرد على ما أبدته المحكمة من أسباب

ثالثا : هو فى القليل شاهد فى الدعوى ... وفى اقل القليل كان مطلوبا شهادته من المتهم الثانى .

رابعا : ان الحكم لا يعد نهائيا بالإدانة إلا بالتصديق عليه من الضابط المصدق ....

واذ كانت المحكمة ترد على الدفع المبدى من الدفاع بعدم صلاحية القضاء العسكرى طعنا وتصديقا بعبارة موجزها ان المحكمة تقضى بما يطرح عليها فى الأوراق وفى الجلسات . ولم يؤدى رئيس الجمهورية أو وزير الدفاع شهادة وتستند كذلك الى نص المادة ٦٠ ق . أ . ع .

وهذا القول من المحكمة بعيد عن الصواب للأسباب التالية :

١ — اذا كانت المحكمة قد اعتدت بأشرطة الفيديو كدليل فى الدعوى فان الثابت بها تسجيلها لوجود رئيس الجمهورية ضمن الحاضرين .

٢ — انه فى جلسة ١٩٨١/١٢/٥م قرر موكلنا أنه كانت بمكونته النيل من

الأساسيتان اللتان وضعهما الدستور لحماية الحقوق والحريات ، ذلك لأن القضاء العسكرى تابع لوزارة الدفاع ، ولا يمكن القول إطلاقا أنه يستقل ـ حتى ولو معنويا ـ عن وزير الدفاع وعن هيمنته ، وخاصة أن هيئة المحكمة قد تشكلت بقرار من مستشار وزير الدفاع وبتوجيهه .

والإستقلال القضائى الذى أخذت به مصر فى دستورها الدائم كان تطبيقا من وجهة نظر مصرية للمادة العاشرة من الاعلان العالمى لحقوق الإنسان ، حين قررت أن لكل إنسان الحق على قدم المساواة التامة مع الآخرين فى أن تنظر قضيته أمام محكمة مستقلة »[15]

والإستقلال هنا يعنى البعد التام عن السلطة التنفيذية !

ومنها ..
عدم دستورية القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٦٦ ، القاضى باصدار قانون الأحكام العسكرية ..

وقال الدفاع :[16]

إن هذا القانون أصبح «ملتحفا بأكفانه» من يوم صدور دستور جمهورية مصر العربية فى ١٩٧١/٩/١١ .. فقد نص هذا القانون على أنه «ينظم القضاء العسكرى ويبين اختصاصاته فى حدود المبادىء الواردة فى الدستور» .. ولما كان الدستور وقت صدور القانون لم يولد بعد ، فإن القانون المذكور لا علاقة له بالدستور ، وصدور الدستور يلغى وجوده .

وقال الدفاع :

إن القانون ٢٥ لسنة ١٩٦٦ صدر فى ظروف سياسية وتشريعية معينة تطلبت سرعة اصداره على النحو المدون والثابت فى مضابط مجلس الأمة عام ١٩٦٦ ، فقد نوقشت مواده البالغ عددها ١٦٦ مادة فى نصف ساعة .
وردت المحكمة على الدفع بعدم دستورية قانون الأحكام العسكرية قائلة :[17]

إن المادة ١٩١ من الدستور قد نصت على أن : «كل ما قررته القوانين واللوائح

(١٤) و (١٥) شوقى خالد ـ المرجع السابق
(١٦) شوقى خالد ـ المرجع السابق .
(١٧) أسباب الحكم .

من أحكام قبل صدور هذا الدستور يبقى صحيحا ونافذا ومع ذلك يجوز الغاؤها أو تعديلها وفقا للقواعد والأجراءات المقررة فى هذا الدستور»

فقال الدفاع :

- إن هذا النص قصد به حماية الإستقرار القانونى حتى يتم تعديل القوانين واللوائح طبقا للدستور حتى لا يحدث انقلاب تشريعى مفاجىء . . ولا يغيب عنا المحاولات العديدة التى قامت بها إدارة القضاء العسكرى لإستصدار قانون جديد للأحكام العسكرية سنة ١٩٧٦ ، وكان سندها فى ذلك الوقت الدستور الجديد .

ومنها :

- أن هذه القضية ليست من اختصاص القضاء العسكرى ، لأن الإعتداء وقع على أنور السادات ، ليس بصفته العسكرية كقائد أعلى للقوات المسلحة ، وإنما بصفته المدنية كرئيس جمهورية . . والدليل على ذلك أنه كان يرتدى «وشاح القضاء» . . ثم . . أن مكان الجريمة لا يعد ثكنة عسكرية ، كما أن أغلب المتهمين ليسوا من العسكريين . .

وقد استخدم الدفاع هذه الحجج وغيرها فى الطعن الذى قدمه إلى المحكمة الدستورية العليا بتاريخ ١٩٨٢/٢/٢٧ «لتعيين جهة القضاء المختصة بنظر الدعوى» وقد قبل الطلب الذى تقدم به الدفاع ، وكان متوقعا «وقف الدعوى القائمة حتى تفصل المحكمة الدستورية العليا فى الطلب» . .
لكن هذا لم يحدث . .

واكتفت المحكمة بالقول :(١٨)

- إن الدفاع دفع بعدم اختصاص القضاء العسكرى بنظر الدعوى . . واستند فى ذلك إلى عدة أسانيد هى :

١ - أن المشرع قصد بالاختصاص المكانى أن يكون على وجه الاستقرار فى مكان معين ، أما الحادث فوقع فى مكان معبور من المواطنين عسكريين وغير عسكريين وليس معدا لاستقرار القوات المسلحة .

٢ - الإعتداء لم يقع على الرئيس السابق محمد أنور السادات بصفته قائدا أعلى للقوات المسلحة بل بصفته رئيسا للجمهورية .

٣ - وجود شركاء ومساهمين من غير الخاضعين لقانون الأحكام العسكرية مع المتهمين العسكريين ، يحول دون اختصاص القضاء العسكرى بنظر الدعوى .

٤ - المادة الثالثة من القانون رقم ١٠٥ لسنة ١٩٨٠ بإنشاء محاكم أمن الدولة ، التى تعقد الاختصاص بنظر تهمة إحراز وإستعمال المفرقعات المسندة إلى المتهمين بالبند سادسا فى قرار الاتهام لمحكمة أمن الدولة العليا وبالتالى ينعقد لها الاختصاص بنظر الدعوى بأكملها نظرا لتوافر الارتباط الذى لا يقبل التجزئة .

وقد رفضت المحكمة هذه الأسانيد وقررت أن القضاء العسكرى هو المختص بنظر الدعوى . . وهو اختصاص «مكانى» وفقا لأحكام المادة الخامسة من قانون الأحكام العسكرية - فقرة أ - التى تنص على أنه «تسرى أحكام هذا القانون على من يرتكب إحدى الجرائم الآتية : (أ) الجرائم التى تقع فى المعسكرات أو الثكنات أو المؤسسات أو المصانع أو السفن أو الطائرات أو المركبات أو الأماكن التى يشغلها العسكريون لصالح القوات المسلحة أينما وجدت» .

وقالت المحكمة :(١٩)

« والنص هنا لا يشترط أن يكون شغل القوات المسلحة لهذه الأماكن على وجه الإستقرار والدوام كما يدعى الدفاع » . .

« ومن المعروف أن المكان المعد للعرض العسكرى والذى وقعت فيه الجريمة مكان يشغله العسكريون لصالح القوات المسلحة فترة إجراء العرض ويحظر دخول أى فرد من المدنيين فيه خلال هذه الفترة إلا بتصريح من القوات المسلحة» . .

« ويتضح مما تقدم أن الاختصاص ينعقد للقضاء العسكرى بنظر الدعوى وفقا لحكم الفقرة (أ) من المادة الخامسة من قانون الأحكام العسكرية » . .

«أما ما أورده الدفاع من أن المادة الثالثة من القانون ١٠٥ لسنة ١٩٨٠ تنص على أن « تختص محاكم أمن الدولة العليا دون غيرها بنظر الجنايات » . . «فيرد على ذلك بأن المحاكم العسكرية تعتبر محاكم خاصة بالنسبة للمتهمين الخاضعين لاختصاصها ، أو الجرائم التى تدخل فى إختصاصها» . .

(١٨) و (١٩) أسباب الحكم .

« وبناء على ما تقدم فإن المحكمة انتهت إلى رفض الدفع بعدم اختصاص القضاء العسكرى ولائيا بنظر الدعوى » . . وإذا كان من الصعب علينا أن نفهم هذا الجدل القانونى بين المحكمة والدفاع ، فإننا نسجل ـ أبسط ما جاء فيه ـ من باب رصد ما حدث فى هذه القضية التاريخية » !

○ ○

اعتبارا من الجلسة الثالثة ، قررت المحكمة نظر الدعوى فى جلسات سرية . .

وقالت المحكمة :

ـ إنها اتخذت هذا القرار حفاظا على أسرار القوات المسلحة « ومراعاة للنظام العام نظرا لما تتضمنه أقوال بعض الشهود وما تشتمل عليه المستندات المرفقة بأوراق الدعوى من أمور تتعلق بتسليح وتشكيل وواجبات القوات المسلحة ، مما قد يتناوله العرض أو المناقشة فى أى مرحلة من مراحل نظر الدعوى أمام المحكمة » .

« ونظرا لما أفصح عنه الدفاع منذ بدء الدعوى من اتجاه لتأسيس دفاعه على تأصيل وتأييد لفكر المتهمين الجارى محاكمتهم والذى كان دافعا لهم لإتيان ما نسب إليهم من أفعال وكفالة حق الدفاع فى أن يختط لنفسه الخطة التى يراها صالحة للدفاع عن المتهمين وحرصا على حرية الدفاع فى إبداء كل ما يراه من وجهة نظره مؤثرا فى موقفهم دون ما حرج للنظام العام أو بلبلة الأفكار وذلك إعمالا لحق المحكمة المقرر بالمادة ٢٦٨ من قانون الاجراءات العسكرية والمادة ٧١ من قانون الأحكام العسكرية » . .[20]

ولكن . .

الدفاع رفض الأسباب التى ذكرتها المحكمة لسرية الجلسات . .

وقال :

إن المحامين لم يفصحوا ـ كما تقول المحكمة ـ فى الجلسات العلنية عن تأييدهم لفكر المتهمين . . « بل تمادى أحدهم إلى حد إستنكار ما فعله المتهمون » . .[21]

(٢٠) حيثيات الحكم .
(٢١) شوقى خالد ـ المرجع السابق .

وقال :

ـ وإذا كانت المحكمة قد جعلت الجلسات سرية إبتداء من الجلسة الثالثة فى ٢/٥/١٩٨١ ، حرصا على حرية الدفاع فى إبداء كل ما يراه من وجهة نظره دون قيد عليه ، فإن ذلك ليس صحيحا ، فقد قررت المحكمة السماح للمخابرات الحربية بتصوير المحاكمة ، صوتا وصورة ، وهذا فى حد ذاته قيد على الدفاع ، وتهديد له !!![22]

فى الجلسات السرية . .

سألت المحكمة خالد الاسلامبولى :[23]

ـ لماذا قتلت السادات ؟

فقال :

ـ لقد فعلت ما فعلته لأن السادات لم يطبق شريعة الله . . وتصالح مع اليهود . . وقبض على علماء المسلمين دون مبرر !

وقال :

ـ وأردت تحذير كل من يأتى بعده ، وتخويف كل من يمشى على طريقه !

فسألته المحكمة :

ـ ولماذا قتلته وهو الذى قال : إن الشريعة هى المصدر الرئيسى للتشريع ؟

فقال :

ـ كان ينافق . . أراد الظهور فى صورة الحاكم المسلم فقط ، لكن تصرفاته لم تكن كذلك . . لقد ضحك علينا جميعا !

وسألت المحكمة عبد الحميد :[24]

ـ لماذا قتلت السادات ؟

فقال :

ـ لقد فعلت ذلك لأن السادات كان يقدم شرار القوم على خيارهم ، ولأن

(٢٢) شوقى خالد ـ المرجع السابق .
(٢٣) من سجلات المحكمة .

نظامه سخر من الملتحين والمحجبات ، وأنه نفذ قول الله تعالى ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾

وقال عطا طايل كلاما بهذا المعنى . .

وقال حسين عباس :[٢٥]

- إننى توصلت إلى نتيجة مؤداها أن السادات كان يجب أن يقتل ، وكان ذلك قبل أن ألتقى بخالد ومحمد عبد السلام .

سألته المحكمة :

- هل كنت تكره السادات ؟

فقال :

- أنا لم أشعر بكراهية شخصية تجاهه . . فأنا مسلم وأصلى ، وكل ما يهمنى هو تنفيذ تعاليم الإسلام !

وسئل عطا طايل :[٢٦]

- ألم تشعر أنك قد تقتل أبرياء على المنصة ؟

فقال :

- يوم الحساب سوف يحاسبهم الله على أعمالهم ونواياهم . . ولو كنت قد قتلت أبرياء فالله وحده هو الذى سيحاسبنى على ذلك !

وسألته المحكمة :

- ماذا تأخذ على السادات ؟

قال :

- إنه لم يرغب فى تطبيق شريعة الله وفصل بين الدين والدولة وأباح الخمور والرقص فى الملاهى !

قالت المحكمة :

- لكن السادات كان يصلى ويصوم وكان يطالب بتنفيذ الشريعة الإسلامية ؟

(٢٤) و (٢٥) من سجلات المحكمة ايضا .

قال :

- منافق !

وسئل محمد عبد السلام فرج :[٢٧]

- هل تقتل رجلا حاول حكم مصر حكما ديمقراطيا ؟

فقال :

- أية ديمقراطية هذه ؟ . .

ديمقراطية انجلترا التى أباحت الشذوذ الجنسى لأن ستة من النواب مصابون به . . أهذه هى الديمقراطية ؟!

ويبدو أن هذه الأقوال ، قد فتحت ثغرة كبيرة ، لينفذ منها الدفاع ، ليجد مخرجا له وللمتهمين فى هذه القضية الصعبة . . والتى يعترف فيها المتهمون - أكثر من مرة - بالقتل !

أراد الدفاع اثبات أن السادات خرج على شريعة الله ، فاستحق بذلك القتل كعقاب شرعى . .

فقال عبد الحليم رمضان :

- إن السادات لم يكن كافرا بالاسلام فقط . . بل إنه خرج فى حكمه عن شريعة الله وأخرج معه مصر كلها وانتهج لنفسه سياسة تتعارض تماما مع صالح الدولة !

وفيما بعد قال عبد الحليم رمضان :[٢٨]

- إن ما فعله خالد الاسلامبولى (ورفاقه) لا يوصف بالإغتيال وإنما بالقصاص لرجل نازع الله فى ملكه وعزته وجلاله ، وأشهد العالمين أنه هو الله من دون الله ، وأوحى إلى حوارييه فى مجلس الشعب بمشروع قانون يخلع عليه صفة سادس الخلفاء الراشدين وادعى من بعد ذلك النبوة ، ونازع محمدا ، خاتم الأنبياء والمرسلين بمعجزة اسرائه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، فادعى الإسراء من قصره الحرام فى الجيزة إلى المسجد الأقصى فى مبادرة الشؤم التى

(٢٦) و (٢٧) محاضر الجلسات .
(٢٨) قال عبد الحليم رمضان ذلك وأكثر فى عريضة دعوى رفعها لالغاء القرار الادارى بمنع سفر عائلة خالد الاسلامبولى .

أسماها مبادرة السلام ، واستنكر على الله عهده الذى قطعه لعباده على نفسه فى قوله (وما أنا بظلام للعبيد) ، وأحل لنفسه ما حرم الله وافترى فوصف الإنسان بالحيوان ووصف علماء المسلمين بالكلاب !!

وفى جلسة ٢٨ ديسمبر ١٩٨١ ، قام المحامون بالدفع بالإباحة .. إباحة قتل السادات !

وقال المحامون :

- إنهم تقدموا بهذا الدفع بمقولة أنه قامت بالبلاد حالة فساد دفعت بالمتهمين لإرتكاب الأفعال المنسوبة اليهم ، فخرجت أفعالهم بذلك عن دائرة التحريم بانعدام الركن الشرعى للجريمة وذلك تطبيقا للمادة ٦٠ من قانون العقوبات التى تنص على أنه لا تسرى أحكام قانون العقوبات على كل فعل ارتكب بنية سليمة عملا بحق مقرر بمقتضى الشريعة ، والمادة السابعة من قانون العقوبات التى تنص على أنه لا تخل أحكام هذا القانون فى أى حال من الأحوال بالحقوق الشخصية المقررة فى الشريعة الغراء ، وبمقتضى المادة الثانية من الدستور التى تقرر أن مبادىء الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع !(٢٩)

وقدم الدفاع ما يثبت أن القتيل كان تاركا لدينه مفارقا لجماعة الاسلام واستشهد فى هذا الصدد بالآتى :

خروجه على الأمة الإسلامية بالكامل بعقده صلحا منفردا مع اليهود أعداء الله والإسلام .. **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾** - ١٤٤ النساء .

جعله اليهود أولياء الله .. **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴾** - ٥١ المائدة ..

ضربه المسلمين فى ليبيا وتأييده لاسقاط حكم اسلامى فى أوغندا ليتولى الحكم نظام عنصرى ..

تدعيمه لكميل شمعون فى لبنان والمؤازرة لضرب المسلمين ..

دعوته لانشاء ما يسمى بمجمع الأديان الثلاثة فى سيناء رغم الآية الكريمة .. **﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾** ..

(٢٩) المحامى شوقى خالد - المرجع السابق !

سكوته عن ضرب الصهاينة للمسلمين فى جنوب لبنان فى ذات الوقت الذى كان فيه يشن حملة شعواء - بمناسبة وبدون مناسبة - على الوجود السورى فى لبنان ..

وقدم الدفاع إلى هيئة المحكمة فتوى هيئة كبار علماء الأزهر ، الصادرة عام ١٩٧١ ، والتى تكفر الحاكم الذى يعقد صلحا مع إسرائيل .. وهذه الفتوى كافية لكونها من اجماع هيئة كبار علماء الأزهر .(٣٠)

وقال الدفاع :

إن القتيل كان من المشركين بالله والدليل على ذلك قوله :

أنا لا يبدل القول عندى .. وقوله : انه أراد توصيل مياه النيل لاسرائيل لتكون ماء زمزم الجديدة . وفى هذا ادعاء للألوهية وهذا شرك . بل هى بحق أقصى انواع الشرك . أن يتصور العبد أنه إله آخر وهو قد صنع من نفسه إلها جديدا .. بدليل أنه كان يحكم على النحو الذى يدعى فيه لنفسه أنه رب الأسرة .. ليتحكم فى أرزاق البشر .. يعطى نعمته برضائه على من يشاء .. ويذل من يشاء (استغفر الله العظيم) .. و .. **﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾**(٣١)

وقال عبد الحليم رمضان :

- إنه إهمالا لقاعدة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهى قاعدة تعطى الحق فى رد الإعتداء على أى حق من حقوق الله ، حتى وصل هذا الحق للقتل فإن المتهمين ليسوا قتلة وانما هم نفذوا شريعة الله .. أو فى أسوأ الأحوال هم قتلوا دون توافر القصد الجنائى - قياسا على حكم المادة ٦٣ جنايات - ويصبح قتلهم قتلا خطأ وليس قتلا عمدا .. وذلك استنادا إلى حسن نيتهم وتحريهم قبل اقدامهم على فعلهم - بدليل استنادهم إلى كتاب « الفريضة الغائبة » وعملا بقاعدة درء الحدود بالشبهات مما يسقط القصاص عنهم !

وردت المحكمة على الدفاع ..

وقالت :(٣٢)

(٣٠) و (٣١) المحامى شوقى خالد .
(٣٢) حيثيات الحكم

ـ لابـد أن نشير بادىء ذى بدء إلى أن الفعل المنسوب للمتهمين هو قتل الرئيس الراحل محمد أنور السادات ، وآخرين ممن تواجدوا فى مكان الحادث . . ويذهب الدفاع إلى أن القتل تم بمقتضى حق تقرره الشريعة الإسلامية ، ويلزم للرد على هذا الزعم أن نعود المحكمة إلى قواعد الشرع الاسلامى المقرر بكتاب الله والسنة النبوية الشريفة وما ذهب إليه أئمة الإسلام وفقهاء الشريعة الإسلامية فى تفسيرهم لما ورد بالقرآن والسنة وذلك مصداقا لقوله تعالى : ﴿ **فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول** ﴾ (من الآية ٥٩ من سورة النساء) وقوله تعالى ﴿ **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم** ﴾ وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى رواه الزهرى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : سمع النبى صلى الله عليه وسلم قوما يتمارون فى القرآن (يتجادلون) فقال : «إنما هلك من كان قبلكم بهذا ، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضا ، ولا يكذب بعضه بعضا فما علمتم منه فقولوه ، وما جهلتم منه فكلوه إلى عالمه » .

ففى صدد ما نبحثه من أمر إستباحه دم المسلم ومتى يكون ولمن يكون نعود إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بى وما جئت به » ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها » ـ رواه البخارى . . وقد فسر الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الحق بثلاث فى قوله : لا يحل دم امرىء مسلم إلا باحدى ثلاث : الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة »[٣٣] وقال تعالى فى كتابه الحكيم ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾[٣٤] . . وفى حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ذاك جبريل أتانى فقال : من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، قلت وإن زنا وإن سرق ، قال : وإن زنا وإن سرق » ـ رواه البخارى[٣٥] .

(٣٣) اعتبر الدفاع السادات ـ طبقا لهذا الحديث الشريف ـ تاركا لدينه ، مفارقا للجماعة بجعله اليهود أولياء من دون الله وبضربه المسلمين فى ليبيا ، وبدعمه لحكم الموارنة فى لبنان . .

(٣٤) اعتبر الدفاع السادات مشركا عندما أعلن عن توصيل مياه النيل ـ زمزم الجديدة ـ إلى إسرائيل ، وعندما ادعى أنه كبير العائلة يعز من يشاء ويذل من يشاء .

(٣٥) يقول الدفاع إن شرط دخول الزانى والسارق الجنة بالطبع أن يتوب إلى الله عز وجل وأن يستغفره وأن يقيم الصلاة إلى آخر أركان الإسلام . . لكن الحديث يقول إن المشرك لا يدخل الجنة بما يعنى بالقطع أنه ليس من المسلمين ، ولم يكن السادات كذلك ، والدليل على ذلك كل الأدلة التى سبق أن أوردناها . . شوقى خالد ـ المرجع السابق .

«هذه النصوص من القرآن والسنة تهدينا صراحة إلى أنه وان كانت الاعمال مصدقة للايمان ومظهرا عمليا له فإن المسلم إذا ارتكب ذنبا من الذنوب بأن خالف نصا فى كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يخرج بذلك عن الإسلام مادام يعتقد صدق هذا النص ويؤمن بلزوم الامتثال له . وفقط يكون عاصيا ، وانما لمخالفته فى الفعل أو الترك . . ويتساءل الشيخ جاد الحق مفتى الديار المصرية فى تقريره المرفق بأوراق القضية : هل يجوز تكفير المسلم بذنب ارتكبه ؟ ومن له الحكم بذلك إن كان له وجه شرعى ؟ واستطرد مجيبا ، مستندا إلى ماورد فى القرآن والسنة :

قال الله سبحـانـه وتعـالى ﴿ **ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة** ﴾ (من الآية ٩٤ ـ النساء) . .

وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاث من أصل الايمان : وعد منها الكف عمن قال لا اله الا الله . لا تكفره بذنب . ولا تخرجه من الاسلام بعمل .

ومن هذه النصـوص يتضح أنه لا يحل تكفير مسلم بذنب اقترفه سواء كان الذنب ترك واجب مفروض أو فعل محرم نهى عنه . .

وتسوق المحكمة فى مجال اسباغ صفة المسلم على من نطق الشهادتين . . قصة أسامة بن زيد مع أحد الكفار بعد أن قال لا إله إلا الله وبرر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه ما نطق بالشهادة إلا خوفا من السيف ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «هلا شققت قلبه» .

ونرجع هنا إلى رأى لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى فى كتابه : أنت تسأل والاسلام يجيب ـ الجزء الثانى ـ الصادر عن دار المسلم صفحة ٨١ ، ٨٢ فى رده على سؤال عما اذا كان يجوز لفرد أو جماعة أن يكفروا فردا آخر أو جماعة أخرى فقال : «أى إنسان مهما كان علمه لا يستطيع أن يجترىء على واحد يعلن ألا إله إلا الله ويقول عنه أنه كافر . . جائز أن يقول إنه لا يلتزم فى أعماله بأمور الدين . . أقول لهم هل الذين يشيرون اليه بذلك لا يقوم بتنفيذ أحكام الله انكارا أم كسلا . . إن كان كسلا نستمهله حتى آخر يوم فى حياته ولا نكفره ، وأما إن كان منكرا لهذه الأحكام فيكون كفره ليس لأنه لا يطيع الأحكام . . وانما لأنه ينكر هذه الأحكام .

ويقول فضيلة الاستاذ الشيخ محمد أبو زهرة « الايمان بالقلب والاسلام مظهره . فمن خرج عن الاسلام فلابد من مظاهر قاطعة فى خروجه على الاسلام . واتفق العلماء على أنه لا يفتى بردة مسلم اذا فعل فعلا أو قال قولا لا يحتمل الكفر ويحتمل غيره بل روى عن الامام أنه قال : اذا قال كلمة تحتمل الكفر من مائة وجه وتحتمل الايمان من وجه فانه لا يحكم بالكفر »

والذى يباح دمه فهو المرتد ويباح دمه للامام دون غيره .. لان اطلاق ذلك للناس يؤدى إلى الفساد ويؤدى الى الاتهام الباطل بالكفر مع التنفيذ بغير الحق ويؤدى الى التناحر والرمى بالفسوق بعد الايمان وذلك ما ذمه الله تعالى فى قوله **﴿ بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ﴾**

ونعود الى رأى فضيلة الشيخ جاد الحق مفتى الديار المصرية «السابق» كواحد من كبار علمائنا المعاصرين المتفقهين فى الدين استجابة لقوله تعالى **﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون .. ﴾** (من الآية ٧ من سورة الانبياء) فى تفسير ما استند اليه المتهمون من آيات القرآن الكريم فى تكفيرهم للرئيس الراحل محمد أنور السادات واستحلال دمه فنجده يقول فى تقريره تفسيرا لقوله تعالى **﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾** (من الآية ٤٤ من سورة المائدة) وقوله تعالى : **﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾** (من الآية ٤٥ من سورة المائدة) . وقوله تعالى : **﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾** (من الآية ٤٧ من سورة المائدة) .

ذهب الخوارج الى أن مرتكب الكبيرة كافر « مجمعين بهذه الآيات الثلاث الأخيرة وهذا النظر منهم غير صحيح . ذلك لاننا اذا رجعنا الى قواعد اللغة ودلالات الحروف والأسماء نجد أن كلمة (من) الواردة فى تلك الآيات من أسماء الموصول ، وهذه الاسماء لم توضع فى اللغة للعدم بل هى الجنس تحتمل العموم وتحتمل الخصوص . قال أهل العلم باللغة والتفسير وعلى هذا يكون المراد والمعنى (والله أعلم) أما من لم يحكم بشىء مما أنزل الله أصلا أى من ترك أحكام الله نهائيا وهجر شرعه كله فهم الكافرون وهم الضالون وهم الفاسقون وذلك بدليل ما سبق من الأحاديث الدالة على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج بها عن ايمانه واسلامه وانما يكون آثما فقط . . أو أن المراد فى الآيات بقول الله (.. بما أنزل الله) هو التوراة بقرينة ما قبله وهو قوله : **﴿ إنا أنزلنا التوراة .. ﴾** واذا أخذنا هذا المعنى كانت الآيات موجهة لليهود الذين كان كتابهم التوراة فاذا لم يحكموا بها كانوا كافرين أو ضالين أو فاسقين ، والمسلمون غير متعبدين بما اختص به غيرهم من الامم السابقة .

وبهذا البيان يكون مجرد ترك بعض أوامر الله أو مجرد فعل ما حرم الله مع التصديق بصحة هذه للاوامر وضرورة العمل بها يكون هذا اثما وفسقا ولا يكون كافرا مادام مجرد ترك دون جحود أو استباحة . .

وعلى ذلك يكون تكفير الحاكم لتركه بعض أحكام الله وحدوده دون تطبيق لا يستند الى نص فى القرآن أو السنة . . وانما نصوصها تطبق عليه إثم هذه المخالفة ولا تخرجه بها من الاسلام ، ولعل فيما قاله رسول الله وأوردناه فيما سبق من قوله « ثلاث من أصل الايمان . الكيس من قال لا إله إلا الله ، لا نكفره بذنب ، ولا نخرجه من الاسلام بعمل . . » لعل فى هذا الرد القاطع على دعوى تكفير المسلم الذى لم يجحد شيئا من أصول الاسلام أو شريعته »

وفى باب الصبر على جور الائمة وترك قتالهم والكف عن اقامة السيف ساق الإمام محمد بن على بن محمد الشوكانى فى كتابه نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار ـ الجزء السابع ـ ص ١٨١ وما بعدها ساق الأحاديث الشريفة الآتية :

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر فانه من فارق الجماعة شبرا فمات ، مات ميتة جاهلية » .

وعن ابن مالك الأشجعى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم قال : قلنا يارسول الله أفلا ننابذهم (أى نقاتلهم) عند ذلك ؟ قال : لا ما أقاموا فيكم الصلاة الا من ولى عليه وال فرآه يأتى شيئا من معصية الله فليكره ما يأتى من معصية الله ولا ينزعن يدا من طاعة » .

ـ وعن عرفجة الأشجعى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه » .

وجاء بذات المرجع صفحة ١٨٥ « . . . وقد استدل القائلون بوجوب الخروج عن الحكام ومنابذتهم بالسيف ومكافحتهم بالقتال بنصوص من الكتاب والسنة في وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولا شك ولا ريب أن الأحاديث السالف ذكرها اخص من تلك العموميات مطلقا ، وهى متواقرة المعنى كما يعرف ذلك من له أدنى معرفة بعلم السنة .

فاذا ما طبقنا قواعد الشرع السابق تفصيلها والتى استندنا فيها الى كتاب الله وسنة رسوله وآراء أهل الذكر من فقهاء المسلمين على ما نسبه المتهمون للرئيس الراحل محمد أنور السادات تكفيرا له واستحلالا لدمه ، نجده رحمه الله لم يجحد ما أنزله الله في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله عليه الصلاة والسلام ، ولم ينكر ضرورة الحكم بما انزل الله بدليل تعديل نص المادة الثانية من الدستور في عهده بناء على استفتاء شعبى تم عام ١٩٨٠ ، أصبحت فيه الشريعة الاسلامية المصدر الرئيسى للتشريع وانعقدت اللجان ولازالت تعمل لتقنين الشريعة الاسلامية واحلالها محل القانون الوضعى على مستوى مجلس الشعب والأزهر الشريف ، وإن ما نسبه المتهمون للمجنى عليه من اتيانه أمورا مخالفة للدين الاسلامى فهى أمور إن صحت فتدخل في باب الذنوب والمعاصى التى لا تخرجه عن ربقة الاسلام .

ونستشهد هنا بمن اتخذه المتهمون مفتيا لهم في شئون الدين والشرع الاسلامى وهو المتهم العاشر الشيخ عمر عبد الرحمن فقد جاء بأقوال المتهم الخامس محمد عبد السلام فرج عطيه بمحضر تحقيق النيابة العسكرية ص ٢٤٤ انه وكرم وفؤاد الدواليبى استفتوا الشيخ عمر بخصوص الرئيس الراحل السادات وحل دمه فأفتى بعدم حل دمه وان كفره كفر دون كفر وليس كفرا بواحا يخرجه من ملة الاسلام كالفسق وانه ارتكب معصية او كبيرة لا تخرجه من ملة الاسلام . .

وبهذا يكون ما دفع به الدفاع من اباحة ما ارتكبه المتهمون من جريمة قتل الرئيس السابق انور السادات مستندين الى حق مقرر بمفتى الشريعة وفق المادة ٦٠ عقوبات دفع لا اساس له من واقع او قانون مما تنتهى معه المحكمة الى رفض هذا الدفع . .

أما الدفع الاحتياطى بالغلط في الاباحة استنادا الى حسن نية المتهمين فلم يتضح اى حسن نية من جانب المتهمين . . بدليل استفتائهم للمتهم العاشر ورفضهم لفتواه بعدم حل دم المجنى عليه على نحو ما ورد بأقوال المتهم محمد عبد السلام بتحقيق النيابة العسكرية . كما فات الدفاع أن المتهمين لم يقتصروا على قتل الرئيس السابق محمد أنور السادات وحده بل قتل آخرين معه تصادف وجودهم في موقع الحادث رغم توقعهم امكان تعدي آثار الاعتداء إلى غير الرئيس السادات على حد ما ورد بأقوالهم مما تنتهى معه المحكمة إلى رفض الدفع بالغلط في الإباحة المقدم من الدفاع . .

هكـــذا . .

ردت المحكمة على محاولة الدفاع إثبات أن المتهمين لم يقتلوا السادات ، وإنما اقتصوا منه قصاصا شرعيا . .

لكـــن . .

الدفاع عاد وفند ما قالته المحكمة ورد على أسانيد دينية وفقهية وشرعية على أسانيدها السابقة . . وقد تحولت قاعة المحكمة - فيما يبدو - في النهاية إلى حلقة جدل فقهى حول : هل كان السادات كافرا أم لا ؟

وكان لكل من الطرفين حجته التى لا يستهان بها . . [٣٦]

لكن . . كان للمحكمة الغلبة . . وفرضت رأيها . . وأخذت بما انتهت اليه هى . .

٥٥ .

وعاد الجدل بين المحكمة والدفاع مرة أخرى . . عندما حاول الدفاع التفرقة بين الفاعل الأصلى (الاشتراك المباشر) والشريك غير المباشر (الإشتراك بالتسبب) . .

قال الدفاع :

- إن أحكام النصوص الوضعية تتعارض مع أحكام الشريعة الاسلامية ، خاصة ما يتعلق منها بأحكام الاشتراك المباشر ، والاشتراك بالتسبب . . وعلى هذا فإن معاقبة الشريك بالتسبب - وهو المحرض أو المتفق أو المساعد وهو ما نسب لبعض المتهمين - يكون بالتعزير فقط وليس بالعقوبة المقررة للفاعل الأصلى وهى الحد أو القصاص . .

(٣٦) كانت حجة الدفاع قوية في الرد على المحكمة . وقد صعب على أن اعرض هذه الحجة - افرأ النهاس شوقى خالد .

وهو ما يتعارض مع أحكام المساءلة الجنائية الواردة فى قانون العقوبات الوضعى . . وعلى ذلك لابد من وقف السير فى الدعوى المنظورة وتحديد أجل لرفع الدعوى الدستورية أمام المحكمة الدستورية العليا اعمالا لنص المادة ٢١ من القانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٧١ باصدار قانون المحكمة الدستورية العليا .

وردا على هذا الدفع . .

قالت المحكمة : (٣٧)

ـ إن المحكمة تشير بادىء ذى بدء إلى ما هو مستقر من أن قواعد التفسير للنصوص تأبى تأويل النص أو تحميله أكثر مما يحتمل إذا كان واضحا لغويا . . فعبارة المصدر الرئيسى للتشريع لا تمنع لغويا وجود مصادر أخرى للتشريع وهو نفس مفاد النص قبل تعديله ، والشارع الدستورى الذى وضع نص المادة الثانية لم يفته أن هناك مجموعات من القوانين الجنائية والإجرائية والمدنية وغيرها منقولة معظم أحكامها من تشريعات أجنبية ، وتقتضى المعاملات الجارية والحفاظ على النظام بقاءها لحين تعديل ما يتعارض منها مع أحكام الشريعة الاسلامية ، لذلك حرص ذات المشرع على النص فى المادة ١٩١ من الدستور على ما يلى : « كل ما قررته القوانين واللوائح من أحكام قبل صدور هذا الدستور يبقى صحيحا ونافذا ومع ذلك يجوز إلغاؤها أو تعديلها وفقا للقواعد والإجراءات فى هذا الدستور » .

وقالت المحكمة :

ومع ذلك فإذا ما إنتقلنا إلى أهم ما ضرب به الدفاع وهو تعارض مواد التجريم المقدم بها المتهمون فى قضيتنا مع أحكام الشريعة الإسلامية لوجدناه ينتهى إلى تعارض أحكام المساءلة الجنائية فى قانون العقوبات مع أحكام الشريعة الإسلامية بالنسبة للقتل بالتسبب ، تحريضا أو اتفاقا أو مساعدة ، مستندا فى ذلك إلى ما أشار إليه من مراجع نخص منها بالذكر :

١ ـ كتاب الجريمة والعقوبة فى الفقه الإسلامى ـ الجزء الأول ـ لفضيلة المرحوم الأستاذ محمد أبو زهرة . وبالرجوع لهذا المرجع فى باب الاشتراك فى الجريمة نجده ينتهى فى صفحة ٤٠٢ إلى إختلاف فقهاء المسلمين فى هذا الشأن فأبو حنيفة وأصحابه يقصرون عقوبة القصاص على من يباشر دون من يتسبب أما جمهور الفقهاء فإنهم يشركون المتسبب فى القصاص كما اشترك فى الجريمة . .

٢ ـ أما المرجع الآخر الذى استند إليه الدفاع فى هذا الصدد فهو كتاب المرحوم الأستاذ د. عبد القادر عودة ـ التشريع الجنائى الاسلامى مقارنا بالقانون الوضعى ـ الجزء الثانى . . نجده فى الصفحة ١٣٢ يقول فى التفرقة بين القاتل والشريك ـ إن الفقهاء يفرقون بين المباشر للجريمة ومن اتفق أو أعان أو حرض عليها ، فعقوبة المباشر القصاص أما من اتفق أو أعان أو حرض فحكمهم ليس واحدا فمن اتفق أو حرض فجزاؤه التعزير عند الأئمة عدا مالكا أما من أعان فجزاؤه القصاص عند الله والتعزير عند باقى الأئمة . .

والقانون المصرى يفرق بين عقوبة المشاركين فى القتل وعقوبة الفاعلين الأصليين (مادة ٢٣٥ عقوبات) . . وهذه هى وجهة نظر الفقهاء فكان نص القانون فى هذه المسألة تطبيق نظرية فقهاء الشريعة واذا كان القانون قد أجاز الحكم بالاعدام فإن عقوبة التعزير من ضمنها عقوبة الاعدام . .

فإذا ما انتهى رأى من استشهد به الدفاع من الفقهاء إلى أن نص القانون قد جاء فى هذه الخصوصية تطبيقا لمبادىء الشريعة الإسلامية فقد وضح عدم جدية ما استند اليه الدفاع تبريرا الدفعه بعدم دستورية مواد التجريم وغيرها من النصوص التى أشار اليها والتى يتضح عدم جدية نص الدفاع عليها بعدم الدستورية » . .

وقد رد الدفاع على هذا الكلام قائلا :

ـ إن المحكمة تتفق مع ما قاله المتهمون من أن هناك قوانين منقول معظمها عن تشريعات أجنبية ، ولا علاقة لها بالشريعة الإسلامية . . كما أنها تقرر أن النص الدستورى الخاص بالشريعة الإسلامية هو مجرد حبر على ورق ، وهذا غير صحيح ، «لأن مفاد النص قبل التعديل شأنه بعد التعديل » لأنه نص يؤكد ارتباط الأحكام بشرعية الله وليس من حق البشر أن يقولوا بغيره .

٥٥

تحولت محاكمة المتهمين بقتل السادات إلى محاكمة للسادات نفسه . .

وقد فعل الدفاع المستحيل ليصل إلى هذا الهدف . .

ووجه نقدا عنيفا (وأحيانا جارحا) له .

ومن ذلك : (٣٨)

سعيه منفردا إلى توقيع اتفاقية كامب ديفيد مع العدو الصهيونى وما تبع ذلك من آثار مدمرة فى سياسة التطبيع ومحاولات الصهيونية العالمية تدمير الكيان المصرى كله سياسيا واقتصاديا واجتماعيا واخراج مصر من الصف العربى حتى يسهل احتواؤها لصالح ولحساب المخابرات الأمريكية وإسرائيل . .

التطبيق الزائف والمنحرف للديمقراطية واستخدام المؤسسات الشعبية والدستورية فى اصدار مجموعة من القوانين المقيدة للحريات العامة والتى أهدرت آدمية الإنسان المصرى كقانون الاشتباه وقوانين العزل السياسى وقانون ما يسمى بحماية القيم من العيب والقوانين المؤثرة تأثيرا ضارا على مسار الحياة الاقتصادية لطبقات الشعب العامل . .

ما استتبع ذلك من ضرب للسلطة القضائية والاعتداء عليها والقضاء على مبدأ الفصل بين السلطات وتجميع كل السلطات الفعلية ، التشريعية والتنفيذية والقضائية فى يد الحاكم الفرد ، المطلق وما نتج عن ذلك من فتح السجون والمعتقلات على مصراعيها لكل القوى السياسية فى مصر . .

تكوين طبقة من الطفيليين من حفنة قليلة سيطرت على مقدرات هذا الشعب وحولته من شعب منتج إلى شعب تابع مستهلك يتسول لقمة العيش من أعدائه ، مع تحالف هذه الطبقة مع الصهيونية العالمية كفكر وتطبيق سياسى أداته المجتمع الدولى . .

اصراره على تزايد الضغط والكبت والإرهاب والمناخ الديكتاتورى ومحاولات تدمير الوحدة الوطنية بإحداث الفتنة الطائفية المفتعلة ، الأمر الذى أدى إلى تزايد معدلات العنف من جانب السلطة الحاكمة آنذاك »

وقال الدفاع :

- إن السادات بعد أحداث ١٨ ، ١٩ يناير ١٩٧٧ ، إنهار وفقد أعصابه ، وأصبح زبونا دائما للطبيب النفسى والعصبى ، الذى كان يعطيه حقنة خاصة كل ١٢ ساعة ويرافقه فى كل رحلاته . . وهذا يعنى أنه «صائل» أو «جامح» . . وكل قراراته كانت عصبية وغاضبة . . وكان من الواجب الحجر عليه !

وحاول الدفاع التفتيش فى أوراق السادات القديمة ليثبت وجهة نظره . .

وحاول إستدعاء قائمة طويلة من كبار الشخصيات التى قتل السادات وهو على خصومة حادة معها . . أو فى القليل على خلاف معها . .

منها اسماعيل فهمى وزير الخارجية الأسبق الذى استقال احتجاجا على زيارة السادات للقدس . . ومحمد ابراهيم كامل وزير الخارجية الأسبق الذى استقال احتجاجا على موافقة السادات على نصوص معاهدة كامب ديفيد . . والدكتور أسامة الباز الذى كان مديرا لمكتب اسماعيل فهمى . . والدكتور حلمى مراد أمين عام حزب العمل المعارض . . وعبد العزيز الشوربجى نقيب المحامين الذى عزله السادات من منصبه . . وعمر التلمسانى أحد قيادات الاخوان المسلمين الذين اعتقلهم السادات ، وكمال الدين حسين عضو مجلس قيادة الثورة ، والذى أرسل رسالته الشهيرة للسادات وقال له فيها : «اتق الله» . . ومحمد حسنين هيكل . . والدكتور ابراهيم حلمى عبد الرحمن . . والدكتور عبد المنعم لطفى . . والدكتور سعد الدين ابراهيم . .

أراد الدفاع - من خلال شهادة هؤلاء المعروفة مقدما - أن يقول : ان قتل السادات كان انقاذا لمصر ، وكان لصالحها .

«وقد رفضت المحكمة إستدعاء هؤلاء للشهادة «لعدم تعلق الوقائع المطلوب سماع شهادتهم عنها بموضوع الدعوى » واعتبرت المحكمة أن ذلك لا يعد من جانبها إخلالا بحق الدفاع .

ورفضت المحكمة أيضا - الاستجابة لطلب الدفاع - واستدعاء جيهان السادات « لسماع شهادتها عما سبق أن صرحت به من تحذيرها للرئيس الراحل من احتمال اغتياله وعدم الاهتمام بذلك التحذير » . .

وقد أراد الدفاع من وراء ذلك إثارة الشبهة حول إمكانية وجود شركاء آخرين - لم يظهروا فى الصورة - كان من مصلحتهم اغتيال السادات واقناعه بأنه لا خوف على حياته . . «لأنه وسط أولاده» . .

كذلك كان طلب جيهان السادات من أجل إحراجها فى المحكمة . . من خلال توجيه الأسئلة والاتهامات التى تثبت فساد عصر زوجها . . وتثبت أنها شاركت فى هذا الفساد . .

ورفضت المحكمة - كذلك - إستدعاء رئيس الجمهورية للشهادة ، ولا وزير الدفاع عبد الحليم أبو غزالة . . وقد أراد الدفاع بوجودهما فى قاعة المحكمة على قيد

الحياة ، إثبات أن الاغتيال كان موجها للسادات فقط ، وليس لغيره ، بدليل نجاة أقرب الجالسين إليه فى المنصة وعدم اصابتهم إلا بخدوش . .

وقالت المحكمة :

«ولما كانت المحكمة قد إستمعت إلى عدد من شهود الإثبات عن ذات الواقعة فطلوب سماع شهادة السيد رئيس الجمهورية والسيد وزير الدفاع عنها ، فقد رفضت المحكمة هذا الطلب لاكتفائها فى هذه الخصوصية بما سمعته من شهود إثبات» . وكان الدفاع قد طلب استدعاء رئيس الجمهورية بناء على طلب المتهم الثانى عبد الحميد عبد السلام ، أما طلب استدعاء وزير الدفاع فكان بناء على طلب المتهم الأول خالد الاسلامبولى .

0 0

وطلب الدفاع إستدعاء عدد من كبار رجال الدين لمناقشة فكر المتهمين الدينى . .

منهم الشيخ جاد الحق على جاد الحق مفتى الديار المصرية . . والدكتور زكريا البرى . . والدكتور عبد الرحمن بيصار . . والشيخ محمد متولى الشعراوى . . والشيخ المحلاوى . . والشيخ صلاح أبو إسماعيل . . والشيخ حسنين مخلوف . . والشيخ موسى شاهين عميد كلية أصول الدين . . والشيخ عبد الله عبد العزيز بن باز رئيس هيئة الفتوى بالمملكة العربية السعودية . .

ورفضت المحكمة هذا الطلب . .

واكتفت برد المفتى على كتاب الفريضة الغائبة وعلى فكر المتهمين . . وهو الرد الذى قدمه لمحكمة مكتوبا . . وضم لأوراق القضية . .

ورد الدفاع على هذا التقرير بقوله :[39]

ـ فوجئت أوراق الدعوى باندساس ما يسمى بفتوى شرعية صادرة عن مفتى الديار المصرية (السابق) تؤثم واقعة مقتل الرئيس السابق السادات .

وقد طعنت هيئة الدفاع فى تلك الفتوى أو ذاك التقرير بالبطلان ، فقد أودع أوراق الدعوى سفاحا لأن النيابة العسكرية لم تثبت فى أوراقها أنها طلبت من المفتى أن يوافيها برأيه أو رده على فكر المتهمين .

(39) النبأ، شوقى خالد ـ المرجع السابق .

بطلان تقرير المفتى
والاخلال بحق الدفاع لعدم سماع شهود

فوجئت أوراق الدعوى باندساس ما يسمى بفتوى شرعية صادرة من مفتى الديار المصرية السابق تؤثم واقعة مقتل الرئيس السابق السادات .

وفى المفهوم القانونى الصحيح فان هذه الفتوى لا تخرج عن كونها تقرير خبير المفروض فيه أن يفهم فى شئون الدين .

وقد طعنت هيئة الدفاع على تلك الفتوى أو ذات التقرير بالبطلان باعتبار أنه أودع أوراق الدعوى سفاحا لان النيابة العسكرية لم تثبت فى أوراقها أنها طلبت من مفتى الديار السابق أن يوافيها برأيه أو رده عن فكر المتهمين .

وهذه الاوراق الصادرة من مفتى الديار السابق لا تخرج عن كونها أحد أمرين .

1 ـ أنها تقرير خبير فنى فى شئون الدين ومن ثم فهو قابل للمناقشة والطعن عليه ومجادلته وامكان انتداب خبيرا آخر يكون اكثر تفهما لشئون الدين .

2 ـ أنها شهادة مكتوبة كدليل اثبات صادر من مفتى الديار السابق وفى كلتا الحالتين وطبقا للقانون فكان يتعين عليه أن يحلف اليمين القانونية أمام جهة التحقيق أو أمام الهيئة ذات الاختصاص القضائى ـ ومن هنا فان هذا التقرير باطل بطلانا مطلقا لا يأتيه الحق من بين يديه .

فاذا ماجاءت الهيئة ذات الاختصاص القضائى وقالت بأنها قد اخذت برأى المفتى كفقيه من فقهاء الاسلام وانه ليس ثمة ضرورة لان يحلف اليمين باعتباره فقيها ..

فان هذا القول أو الافتراء على الله من جانب الهيئة التى كتبت حكم الادانة هو قول مجاف للحق والمنطق والعدل والقانون ذلك :

وهذه الأوراق الصادرة عن مفتى الديار السابق لا تخرج عن كونها أحد أمرين : إما أنها تقرير خبير فنى فى شئون الدين ومن ثم فهو قابل للمناقشة والطعن ومجادلته ، وامكان انتداب خبير آخر يكون أكثر تفهما منه لشئون الدين ، أو أنها شهادة مكتوبة كدليل إثبات صادر عن المفتى . . وفى كلتا الحالتين وطبقا للقانون ، كان يتعين عليه أن يحلف اليمين القانونية أمام جهة التحقيق أو أمام المحكمة ، ومن هنا فإن هذا التقرير باطل بطلانا مطلقا لا يأتيه الحق من بين يديه .

فإذا ما جاءت المحكمة وقالت بأنها قد أخذت برأى المفتى كفقيه من فقهاء الإسلام وإنه ليس ثمة ضرورة لأن يحلف اليمين باعتباره فقيها . . فإن هذا القول أو الافتراء على الله من جانب المحكمة ، ذلك أن الرجل الذى صدر عنه ما يسمى بالفتوى لا يكتسب صفته كمفتى للديار من كونه من العلماء أو من رجال الدين ولكن يكتسب هذه الصفة من قرار جمهورى أصدره القتيل محمد أنور السادات .

ثم . . هل كان رأى المفتى منزها عن الخطأ أو الانحراف ؟ . . أليس هو بذاته الذى وافق وأقر قانون الأحوال الشخصية الجديد الذى أحل الزنا وأباحه بنص القانون ليرضى الحاكم المقتول ؟ . .

ثم . . إن المحكمة تقول إن رفض سماع الشهود من علماء المسلمين يعنى أنه قد يضطر إلى سماع كل علماء المسلمين ، فإن هذا القول من جانب المحكمة فريد من نوعه لم يألفه القضاء بل يعتبر اخلالا بواجب تحقيق العدالة وتعجلا فى إصدار الأحكام بلا تروى » . .

٥٥

وكما شكك الدفاع فى تقرير المفتى ، شكك أيضا فى تقرير الطب الشرعى . . وقال :

- إنه تم الطعن على تقرير الطب الشرعى بالبطلان استنادا إلى أنه لم يثبت من تحقيقات النيابة أنها قامت بندب الدكتور عبد الغنى البشرى (كبير الأطباء الشرعيين سابقا ومستشار وزير العدل لشئون الطب الشرعى حاليا) وذلك أن ما ثبت فى أوراق النيابة هو ندب كبير الأطباء الشرعيين للقيام بالمهمة الفنية ـ الطبية

بطلان تقرير الطب الشرعى

جاء فى مذكرة الدفاع عن المتهمين انه تم الطعن على تقرير الطب الشرعى بالبطلان استنادا الى انه لم يثبت من تحقيقات النيابة انها قامت بندب الدكتور عبد الغنى البشرى (كبير الأطباء الشرعيين سابقا ومستشار وزير العدل لشئون الطب الشرعى حاليا) وذلك ان ما ثبت فى أوراق النيابة هو ندب كبير الأطباء الشرعيين للقيام بالمهمة الفنية الطبية ـ وفوجىء الدفاع بأن الذى يباشر المأمورية كخبير هو الدكتور عبد الغنى البشرى .. [illegible] أوراق تحقيقات فقد ثبت على وجه القطع واليقين أن الدكتور [illegible] البشرى [illegible] قيامه بالمأمورية لم يحلف اليمين القانونية [illegible] فيما بعد انه حلف اليمين بتاريخ لاحق على بدء المأمورية [illegible] بعد ان انتهى من المأمورية فعلا ؟ .

[illegible] يمكن أن يتكرر [illegible] الأمر [illegible] المحكمة [illegible] أن ما قدمته النيابة [illegible] المطلوب [illegible]

ومن [illegible] أن تختتم [illegible] المحكمة [illegible] من الواقع [illegible] النيابة [illegible] فان هذه [illegible] المستندات

وثيقة من الدفاع للطعن فى تقرير الطب الشرعى

وفوجىء الدفاع بأن الذى باشر المأمورية كخبير هو الدكتور عبد الغنى البشرى وبمراجعة أوراق التحقيق ثبت على وجه القطع واليقين أن الدكتور البشرى وحتى تاريخ بدء قيامه بالمأمورية لم يقم بحلف اليمين القانونية ، ولكن اتضح فيما بعد أنه حلف اليمين بتاريخ لاحق على بدء المأمورية ، بل إن حلف اليمين قد جاء بعد أن انتهى من مأموريته فعلا !

ولا نعلم فى أى شريعة أو فى أى ضمير قانونى أو خلق قضائى يمكن أن يتكرر مثل هذا الأمر أو تقوم له قائمة . ومن المؤسف أن تأتى المحكمة وتقول إن ما قدمته النيابة للمحكمة يفيد صحة ندبه وحلف اليمين ».[40]

وخاصة أن ما يقطع فى الدلالة على كذب مزاعم النيابة والادعاء العسكرى من أن الدكتور البشرى قد حلف اليمين فى ورقة مستقلة . . فإن هذه الورقة المزعومة لم يرد اليها أى ذكر أو بيان أو إشارة فى تفريغ حافظة المستندات التى أحيلت بها الأوراق إلى هيئة المحكمة ، فإذا افترضنا أو سلمنا جدلا أن الدكتور البشرى قد حلف اليمين فى ورقة مستقلة حسبما تزعم النيابة وإذا افترضنا جدلا أن النيابة العسكرية تقدر مسئولياتها وتقدر قيمة الورقة المزعومة ، فإنه كان يتعين على النيابة العسكرية أن تدرج هذه الورقة الهامة ضمن حافظة المستندات بل إن الدفاع يكاد يقطع بأن هذه الورقة قد قدمت إلى هيئة المحكمة أثناء المرافعات التى تمت بالنسبة للمتهم السابع بما يقطع فى الدلالة على أنها مدسوسة وباطلة بطلانا مطلقا وكان يتعين على هيئة المحكمة أن تستبعد هذه الورقة المدسوسة وتقضى ببطلانها . .

وإذا كانت هناك ثمة فرصة لأن نتخاطب بمنطق القانون فإنه من المسلمات البديهية أن قيام الخبير بمباشرة مأموريته لابد وحتما أن يسبق المباشرة حلف اليمين ولا تكون اجراءاته أو أعماله أو محاضره تكتسب من الصحة إلا إذا كانت مسبوقة بحلف اليمين القانونية[41]

وشكك الدفاع ـ كذلك ـ فى إعترافات المتهمين . .

(٤٠) شوقى خالد ـ المرجع السابق .
(٤١) شوقى خالد ـ المرجع السابق .

بطـــلان اجراءات التحقيـــق

واذا كان الدفاع فى اثناء المحاكمة والطاعنون من خلال هذا الالتماس انمــا ينتزعون جانب القانون تمسكا شهم واستمساكا بالشرعية القانونيه باعتبارها صمــام الامان لكل متهــم يجرى معه تحقيق او تجرى محاكمته وبأعتبار ان المبادىء القانونيه هى الضمانه الوحيدة التى يحتمى بها المتهــم .

واذا كانت الشريعة الاسلامية السمحه قد سبقت كل الشرائع الاخرى فى تقريــر مبدأ ان المتهم برىء حتى تثبت ادانته بقولها " وادرؤا الحدود بالشبهات " لان المتهم يجب ان تتوافر له كل الضمانات اثناء التحقيق وان تجرى معاملته بانسانيه وتحترم آدميته حتى تتقرر ادانته بحكم نزيه محايد متجـــرد .

واذا كانت كافة اجراءات الضبط والتحقيق وجميع الأدله كلها باطلة بطلانا مطلقا لان كافة اجراءات المحاكمه تأتى بالتالى باطلة بالترتيب على قاعدة اصوليه ان ما بنى على باطـــل فهـــو باطــــل .

ونتنـــاول ذلك تفصيـــلا على الوجـــه التالـــى :ـ

وثيقة من الدفاع ببطلان التحقيق مع المتهمين

فقد قالت المحكمة : (٤٢)

« إن المتهم الأول خالد الاسلامبولى إعترف صراحة فى تحقيق النيابة العسكرية أن فكرة اغتيال رئيس الجمهورية فى طابور العرض العسكرى لم يتلقها أو يبثها فيه أحد ابتداء وانما نبعت من ذاته على أثر تعيينه بطابور العرض العسكرى»

وأن خالد قد أوضح فى ذات إعترافه أنه قام بنفسه بعرض فكرته وما ينوى فعله من اغتيال رئيس الجمهورية فى طابور العرض العسكرى على كل من المتهمين الثانى عبد الحميد عبد السلام وعبد العال على والثالث عطا طايل حميدة رحيل والرابع حسين عباس محمد داعيا كلا منهم للاسهام معه فيما يعتزمه فوافقوا . .

وقالت المحكمة إن المتهم الثانى عبد الحميد عبد السلام عبد العال على قد اعترف صراحة فى تحقيق النيابة أن خالد ـ الذى يلتقى معه فكريا ـ هو الذى فاتحه فى عملية اغتيال رئيس الجمهورية مستهدفا اشراكه معه فيما ينويه الا أنه تراخى يومين فى ابداء رضائه لريبته فى نجاح الخطة حتى اذا ما اطمأن أعلن موافقته على الإنضمام وان خالد هو الذى عرفه بمحمد عبد السلام فاستضافه فى شقته فاتخذها محمد عبد السلام طيلة فترة إقامته فيها مسرحا لابرام تفاصيل عملية الإغتيال .

وأشارت المحكمة إلى اعترافات عطا طايل وحسين عباس . .

وقالت :

ومن حيث أنه وقد جاءت اعترافات المتهمين تترى على نحو متسق وتواترت تؤيد بعضها بعضا فقد اطمأنت المحكمة لصحتها وسلامة مضمونها مما دفعها للركون اليها والتعويل عليها فى تكوين عقيدتها . .

لكن الدفاع رد على هذا الكلام قائلا :

ـ إن الاعترافات جاءت وليدة إكراه بالدرجة الأولى !

وقالت المحكمة : إن المتهمين السادس كرم زهدى والسابع فؤاد الدواليبى والتاسع اسامة حافظ قرروا فى تحقيق النيابة العسكرية أنهم والمتهم الثامن عاصم عبد الماجد محمد ماضى سعوا لمقابلة المتهم الخامس محمد عبد السلام حيث كان يقيم بشقة المتهم الثانى عبد الحميد عبد السلام فوجدوا معه المتهم الاول خالد

أحمد شوقى الاسلامبولى الذى طرح عليهم فكرة اغتيال رئيس الجمهورية أثناء العرض العسكرى المشارك فيه وأنه سيعاونه نفر يختارهم بنفسه فوافقوا على الفكرة فطلب امداده بكمية من الذخيرة وعدد من القنابل اليدوية . .

وقالت المحكمة انها تستمد من أقوال هؤلاء المتهمين دليلا على صحة ما أدلى به خالد فى تحقيق النيابة العسكرية . . وما قرره المتهمون الثانى عبد الحميد والثالث عطا والرابع حسين من أن خالد هو المخطط وقائد التنفيذ «الآمر» للعملية . .

وقالت المحكمة أن تهمة القتل ثابتة لدى المتهمين الاربعة الاول ثبوتا قاطعا بما أعلنوه صراحة فى اعترافاتهم بتحقيق النيابة العسكرية من انعقاد عزمهم وانصراف ارادتهم الى اغتيال رئيس الجمهورية أساسا ومن استخدامهم فى مقارفتهم لجرمهم قنابل يدوية ، واسلحة نارية قاتلة بطبيعتها . .

وأن المتهمين الاربعة الاول ـ لتنفيذ ما انعقد عليه غرضهم وانصرفت اليه ارادتهم ـ قد استخدموا القنابل اليدوية ذات الاثار غير المميزة والاسلحة النارية الآلية القاتلة بطبيعتها وبتكثيف شديد بغية تحقيق الهدف الذى يبتغونه .

ولا يجدى الدفاع التحدى بأن المتهمين الأول والثانى قررا فى تحقيق النيابة العسكرية وأكدا بجلسات المحاكمة أن هدفهما كان اغتيال رئيس الجمهورية وحده وانهما عزفا عن قتل عديدين آخرين ممن كانوا يجاورونه . . رغم تمكنهما من ذلك بيسر وسهولة ، لانه مع التسليم الجدلى بصحة زعمهما فما كان ذلك ليغير من الامر شيئا أو يرتب أثرا قانونيا مختلفا ، اذ أن أخذ المتهمين بالقصد الاحتمالى يفضى لنفس النتائج القانونية . . مما لاشك فيه أن الادوات التى استخدمها المتهمون الجناة فى مقارفتهم لجريمتهم وبالاسلوب الذى تبنوه فى ارتكابها لابد أن يؤدى الى ما أدى اليه ، ولابد انهم ـ وهم العسكريون ـ قد ثار وتردد فى أذهانهم منذ الوهلة الاولى مغبة تحملهم وآثارها المادية كنتائج ممكنة ومحتملة ورغم ذلك فما عاقهم عن مقصدهم ولم يثنهم عما بيتوه ، وانما قبلوها حسبما هو ثابت مما سردوه فى اعترافاتهم بتحقيق النيابة العسكرية .

وقالت المحكمة أن اعترافات المتهمين الاربعة الاول فى تحقيق النيابة العسكرية وتسلسل واقعات الدعوى زمنيا لينبىء عن يقين بتوافر سبق الاصرار لديهم جميعا والمتهم الاول خالد منذ توهجت فى ذهنه نيران الجريمة اذ به يسعى

للمتهم الخامس محمد عبد السلام فرج الذى يرسخها فى وجدانه بتشجيعه له ووعده إياه بتكريس جهده لتوفير كل ما يحتاجه .

كما أن ظرف الترصد ثابت فيما اقترفه المتهمون الاربعة الأول ، اذ ان الثانى والثالث والرابع ليسوا من المشاركين فى طابور العرض العسكرى وأن المتهم الاول قام بادخالهم وحدته بطريقة غير مشروعة فى واقعة الدعوى ، واعترافاتهم بتحقيق النيابة العسكرية حيث كمنوا بمنطقة تمركز الوحدة الى أن استقلوا العربة التى مرت أمام المقصورة الرئيسية ، ففاجأوا رئيس الجمهورية ومن معه غيلة وغدرا بقذف القنابل واطلاق النيران عليهم .

ومرة أخرى شكك الدفاع فيما قالته المحكمة استنادا إلى الاعتراف بالإكراه . .

وقالت المحكمة : إن المتهم الخامس محمد عبد السلام فرج عطية اعترف صراحة فى تحقيق النيابة العسكرية انه المشارك الرئيسى فى عملية اغتيال رئيس الجمهورية ، وكانت هذه وسيلة يبغى من خلالها تطهير شرع الله عز وجل لازالة الحكم الكافر وان المتهم الاول خالد احمد شوقى الاسلامبولى عندما عرض عليه فكرة بشأن اغتيال رئيس الجمهورية أثناء العرض العسكرى أقره وشجعه على تنفيذ ذلك مكلفا كلا من المتهمين الثالث عطا طايل حميدة رحيل والرابع حسين عباس محمد بالاشتراك فيها وموفرا ما يلزم من ذخيرة بما فى ذلك القنابل اليدوية .

وينهى خالد ما قرره فى شأن محمد عبد السلام محددا دوره بأن تأييده اتخذ صورتين : اولاهما فكرية هى ادلة شرعية متفق عليها بينهما اذ ان فكرة اغتيال رئيس الجمهورية مردها الى عقيدة قتال أئمة الكفر التى كانا قد بحثاها معا قبل ذلك فى مقابلات سابقة جرت منذ حوالى عام ، أما ثانية الصورتين فهى مادية تتمثل فى تجنيده المتهمين الثالث عطا والرابع حسين علاوة على امداده بالذخيرة والقنابل التى استخدمت فى الواقعة . .

ومن جماع ما سلف بسطه واستخلاصا من الوقائع السابق سردها والمؤسسة على ما ادلى به المتهمون الخمسة الاول بين قيام المتهم الخامس محمد عبد السلام فرج عطيه بتحريض المتهمين الاول خالد احمد شوقى الاسلامبولى والثالث عطا طايل حميدة رحيل والرابع حسين عباس محمد لارتكاب جناية قتل رئيس الجمهورية فهو الذى حبذ الجريمة لخالد وغض من شأن العقبات التى تعترض تنفيذها . .

وكون الشخص المراد تحريضه قد وردت الى ذهنه فكرة الجريمة فتردد فى شأنها وظل مترددا حتى أتى المحرض نشاطه فخلق به التصميم الاجرامى لديه وهو ما حدث فعلا اذ استجاب خالد لتحريض أمير جماعته المتهم الخامس محمد عبد السلام وترسيخه لفكرة الجريمة فى عقله ووجدانه ومن ثم ثبت فى يقين خالد تصميم جازم وانطوت ارادته على عزم حاسم بمقارفة الجريمة دون تطرق لماهية الادلة الشرعية التى بحثاها معا ـ خالد ومحمد عبد السلام ـ والتى قرر خالد انها صورة التأييد الفكرى الذى تلقاه من محمد عبد السلام ودون بحث عما اذا كانت هذه الادلة قد ضمنها محمد عبد السلام كتيبه المسمى «الفريضة الغائبة» ودون استقصاء لمدى سلامة هذه الادلة شرعا فليس هنا مجاله أو ميدانه ، فقد تناولت المحكمة فكر المتهمين بالتقويم والتقدير فى مكانه من اسبابها فى الرد على ما أثير أمامها من دفوع ، إذ أن مناط التحريض موضوع بحث المحكمة ـ هو التحرى عن صحة ما اذا كان المتهم الخامس محمد عبد السلام فرج عطية قد خلق فكرة الجريمة أو دعمها كى تتحول الى تصميم على ارتكابها دونما أى التفات للأسلوب الذى تبناه المحرض وسواء كانت الاسباب التى توصل بها للتأثير فى نفسية الفاعل مرتكب الجريمة قد أثارت حماسته الدينية أو طمعه الدنيوى ، فدفعته الى الجريمة اذ أن قانون العقوبات المصرى السارى لم يأت بحصر لوسائل التحريض خلافا لما كان الحال عليه فى قانون العقوبات القديم الصادر فى عام ١٨٨٣ .

ومن حيث أن الثابت انه بعد أن نجح محمد عبد السلام فى القضاء على تردد المتهم الأول خالد فى الاقدام على مقارفة اغتيال رئيس الجمهوريه ، فشرح خالد تصوراته لخطته وما يعترض تنفيذها من صعوبات ومحددا احتياجاته ومطالبه حتى يمكن أن تخرج الفكرة الى حيز الوجود واقعا ماديا ملموسا ، فبحثاها سويا وتدبراها معا اذ أخذ محمد عبد السلام على نفسه مسئولية تدبير كافة مطالب خالد واحتياجاته . . اتحدت ارادتاهما وتلاقت عزيمتهما فى تصميم قاطع على ارتكاب الجريمة وفقا للخطة التى اتفقا عليها مما يتحقق معه اشتراك المتهم محمد عبد السلام فى عملية بطريق الاتفاق فى جناية اغتيال رئيس الجمهورية . .

وبالبناء على ما تقدم يكون المتهم الخامس محمد عبد السلام فرج عطية قد ثبت فى حقه مساهمته بوسائل الاشتراك الثلاث التحريض والاتفاق والمساعدة فى الجنايات التى قارفها المتهمون الأربعة الاول مما يتعين معه ادانته فى التهمة المنسوبة اليه بالبند ثانيا من قرار الاتهام . .

ومرة ثالثة . .

شكك الدفاع فيما استندت إليه المحكمة من اعترافات أدلى بها المتهمون ، لأنها تمت تحت ضغط وإكراه . .

O O

كانت إعترافات المتهمين في غرف المحكمة هي الدليل الأول . .

أما الدليل الثاني فكان أقوال الشهود . . .

وقد قال الدفاع عن هذه الأقوال :

- إن المحكمة وقد استندت إلى الاعتراف لتكوين عقيدتها (بالإدانة) فإنها استمرارا منها في الأخذ بالاتجاه بالإدانة ، فإنها قد تناولت أقوال من ترى أن في أقواله دليلا للإدانة واستبعدت سواهم !

وكان الدليل الثالث الذي أخذت به المحكمة ، الصور الفوتوغرافية ، التي قدمتها النيابة العسكرية في جلسة ١٩٨١/١٢/٩ قائلة :

إن هذه الصور قد أبرزت المتهمين الأربعة على مسرح الجريمة ، وضوحا وتحديدا بما لا يثير أدنى شك في شخصياتهم وفي أماكن وجودهم أمام المقصورة الرئيسية بما يطابق ما بينه المتهمون في اعترافاتهم بتحقيق النيابة العسكرية

ورد الدفاع على هذا الدليل قائلا :

- لقد فات الهيئة الموقرة أن هذه الصور نفسها كانت محل طعن من المتهمين ومحل تشكيك من الدفاع لكونها غير واضحة من جهة ومن جهة أخرى لكون الثابت فيها أنها أخذت والمنصة خالية تماما بما يقطع أن تكون قد التقطت أثناء إجراء تمثيل للحادث في غيبة المتهمين ، بتواجد غيرهم وبمن يقوم بدورهم تمثيلا !(٤٣)

وكان الدليل الرابع الذي أخذت به المحكمة هو عدم تبادل النيران في المنصة بين الحرس الخاص والمتهمين . .

وقالت المحكمة :

- إن التسليح الخاص بأفراد الحرس الجمهوري الموجودين بالمنصة الرئيسية يوم العرض العسكري كانت طبنجات سميث آند كولت الأمريكية عيار ٣٨ر بوصة وطبنجات «بيل» عيار ٣٨ر بوصة أيضا ، وطبنجات «حلوان» عيار ٦ ملل وذلك على النحو الثابت في كتاب قيادة الحرس الجمهوري رقم ق . ع ٥١٠٣/٨١ بتاريخ ١٩٨١/١٢/١٥ . . كما أن تسليح أفراد الحرس الخاص بالسيد رئيس الجمهورية الراحل الموجودين بالمنصة الرئيسية يوم العرض العسكري ١٩٨١/١٠/٦ ، كان طبنجات «سميث آند ويسون» عيار ٣٨ر بوصة سبيسيال ، وذلك على النحو المثبت بكتاب أمين عام رئاسة الجمهورية رقم ٥٢٢٠ المؤرخ ١٩٨١/١٢/٢٢ مما يبين للمحكمة خلوها من البنادق الآلية أو الرشاشات القصيرة عدا تلك التي كان يحملها الجناة أثناء مقارفتهم لجريمتهم . .(٤٤)

وتضيف :

وإن الثابت من جماع أقوال الشهود والمصابين أن عملية مهاجمة المنصة من الجناة منذ أن توقفت العربة والكرازة ونزولهم منها ومبادرتهم بإلقاء القنابل وفتحهم لنيران أسلحتهم من فوق العربة وتقدمهم تجاه المنصة الرئيسية واطلاق نيرانهم من الأسلحة التي كانوا يحملونها وسيطرتهم على المنصة السيطرة التامة سواء بالمواجهة أو بالاقتحام ، وقتلهم من قتل وإصابتهم من أصيب ، كل ذلك لم يستغرق سوى ثوان معدودات لم تصل في تقديراتهم في حدها الأقصى فيما لا يجاوز الدقيقة فضلا عن أن الدهشة قد عقدت ألسنة الحاضرين جميعا والمفاجأة من جراء إلقاء القنابل عليهم قد أذهلتهم برهة من الوقت فأسرعوا بخفض رؤوسهم ، تحوطا من اصابتهم . . كل ذلك مؤداه القول بأنه لم يحدث تراشق بالنيران بين الجناة وأفراد الحراسة في لحظات الهجوم وارتكابهم جريمتهم الشنعاء !

وبناء على ما تقدم فإن المحكمة قد كونت عقيدتها ، واستقر في يقينها تماما أن تبادل اطلاق النيران بين الجناة وعناصر الأمن الموجودة لم يبدأ إلا عند انسحابهم . . وانتهت المحكمة بتوافر رابطة السببية بين فعل الجناة وبين وفاة المجني عليهم والمصابين في الحادث !!

ويحاول الدفاع نسف هذا الدليل . .

فيقول :

ـ مع تمسكنا ببطلان الدليل المستمد من الصور ، فإن محمد يوسف رشوان المصور يظهر أمامنا ـ فى المونتاج المعد لأفلام الفيديو وهو ملقى على الأرض فى نفس الوقت الذى يتم فيه الهجوم على المنصة ، وهذا يعنى أن تبادل النيران تم فى وقت لاحق على انسحاب المتهمين ، كما أن المحكمة اقتنعت ببراءة المتهمين من قتله ، استنادا إلى تقرير الطب الشرعى الذى أثبت أن اصابته كانت من طلقة عيار ٣٨ مللى وهى ذات عيار تسليح الحرس الخاص والحرس الجمهورى . . وهذا من شأنه « أن يهدم الأساس الذى بنت عليه المحكمة اثباتها بأن قتل رئيس الجمهورية وغيره قد تم بأسلحة المتهمين ، ذلك لأن هذا الأساس فيه عوار على النحو الموضح .

وإذا كانت المحكمة قد اطمأنت ـ كما تقول ـ إلى اعترافات المتهمين ، فالثابت فيها أن عبد الحميد أطلق عليه النار من المنصة بعدما صعد السلم الأيمن ، فأصيب بطلق نارى فى بطنه فاتجه إلى أمام المنصة حيث رفع البندقية لأعلى مع إمالة ماسورتها لأسفل مطلقا عدة دفعات ثم شرع فى الجرى .

أى أن الرصاص أطلق من المنصة قبل انسحابهم ، لا بعده . .

كما أن التقرير الطبى الذى عولت عليه المحكمة كان قد انتهى إلى استحالة اصابة أى ممن فى المنصة بالرصاص الصادر عن حسين عباس من فوق العربة ، كما قطع ذات التقرير باستحالة أن يصاب أى من الموجودين بالمنصة من شظايا القنابل التى ألقاها خالد وعبد الحميد . .

كذلك لم يستطع الطب الشرعى تحديد نوع مقذوف وسلاح كل من سمير حلمى ، وخلفان ناصر ، والأنبا صموئيل ، وحسن علام . . الأمر الذى يقطع بعدم سلامة ما وقر فى يقين المحكمة .

يضاف إلى ذلك ما أثبته التقرير الفنى للأسلحة من وجود قطعة من المعدن رمادى خفيفة الوزن على هيئة أذن على جزء منها طلاء أسود ـ وهى مخالفة لما يتخلف عن اطلاق الرصاص أو ما يتخلف عن القنابل المتفجرة عن الحادث ـ عثر عليها داخل المنصة .

ويفجر الدفاع مفاجأة مذهلة فى هذه النقطة . .

فيقول :[45]

ـ أكثر من ذلك ، فإنه ليس هناك من دليل بجزم ـ على وجه القطع ـ بأن الرصاصة التى أصابت أنور السادات فى صدره هى من السلاح المستخدم مع المتهمين ، كما أنه لا توجد أدلة أو قرائن ـ قاطعة ـ على أن اصاباته نتجت عن أعيرة نارية صادرة من ذات أسلحة المتهمين .

كما أن عددا كبيرا من الحراس قد أطلقوا أعيرة نارية من أوضاع وزوايا متفقة مع أوضاع وزوايا الإصابات الموجودة بالرئيس القتيل وبغيره من المصابين والقتلى .

وقال شاهدا إثبات ـ طلب الدفاع إستدعاءهما ـ إن ثمة قدرا من طلقات النار ، كان من الطبنجات ، وفى اتجاه الرئيس القتيل .

وقال الدفاع :[46]

ـ إن فتحات دخول وخروج الطلقات فى جسم الرئيس القتيل تؤكد أن إصابته جاءت من عكس اتجاه المتهمين . كذلك يفيد التقرير الفنى الصادر من مصنع ٢٧ الحربى بوجود أعيرة نارية مستخدمة فى الحادث ، وهى من نوع خاص وغير متوافر إلا فى الوحدات الخاصة .

ويقول الدفاع :

ـ إن ذلك كله يؤكد الشك فى الأدلة التى تصورت المحكمة أنها تحاصر المتهمين بالقتل . . والشك يفسر لصالح المتهم دائما !

٥ ٥

كان الدكتور عمر عبد الرحمن أكثر المتهمين حظا فى القضية . . لقد اتهم بأنه الذى أفتى بإباحة دم الرئيس السابق . . لكن هذه التهمة سرعان ما فلت الدكتور عمر منها ، وقضت المحكمة بأنه غير مدان فيها . . وشرحت ذلك تفصيلا ، فقالت :[47]

(٤٥) و (٤٦) شوقى خالد ـ التماس محامى المتهم الثانى .
(٤٧) حيثيات الحكم .

ومن حيث أن المتهم العاشر الدكتور عمر أحمد على عبد الرحمن قد نسب اليه قرار الاتهام تهمة واحدة هى اشتراكه بطريق التحريض مع المتهمين من الأول الى التاسع فى ارتكاب جناية قتل رئيس جمهورية مصر العربية الراحل محمد أنور السادات عمدا مع سبق الاصرار والترصد ، وما اقترن بها فى نفس الزمان والمكان من جنايات قتل عمد وشروع فى قتل عمد مع سبق الاصرار والترصد . واذ اقيمت التهمة على ركيزتين أولاهما قبوله الزعامة على جماعات المتهمين الضالة مع علمه بمنهاجهم الاثيم الذى يستبيح الدماء الذكية والأموال المصونة ، أما الاخرى فهى افتاؤه لهم الفتاوى التى شجعتهم على تنفيذ ما عقدوا العزم عليه فاقترفوا جناياتهم الشنعاء ، بناء على ذلك فانه يتعين على المحكمة أن تتناول بالتمحيص الركيزتين تباعا استجلاء لمدى الصحة فيهما وبالتالى ليستبين وجه الصواب فيما اسند اليه .

ومن حيث انه فيما يتعلق بقبول الدكتور عمر احمد على عبد الرحمن الزعامة على جماعات المتهمين فانه رجوعا لاقواله فى تحقيقات النيابة العسكرية يتضح منها انكاره صراحة لهذا الادعاء ساردا دليلا منافيا لاعتذاره عن عدم قبول عرض مبايعته أميرا عليهم هو انه رجل كفيف لا يستطيع تدبير هذه الأمور ولا تنظيمها وليس فى مكنته ادارة مجموعات ظاهرة جهرية فكيف يكون بمقدوره ادارة مجموعات سرية .

ومن حيث أن ما تحدى به المتهم الدكتور عمر فى هذه الجزئية يجد سندا فى تأييد المتهم الخامس محمد عبد السلام فرج عطية الذى نفى عنه قبوله الزعامة نفيا قاطعا . ما قرر فى أقواله بتحقيقات النيابة العسكرية من أن الشيخ عمر كان يرفض الامارة رفضا باتا .

ومن حيث أن المتهم السادس كرم محمد زهدى سليمان قد سار على نفس الدرب فى نفى ما قيل عن المناداة بالدكتور عمر أميرا للجماعة عندما قرر فى أقواله بتحقيقات النيابة العسكرية أن الشيخ عمر ليس عضوا فى التنظيم وأنه لا يذكر أن الظروف جمعته مع المتهمين الخامس محمد عبد السلام والحادى عشر عبود الزمر فى منزل الدكتور عمر عبد الرحمن بل انه لم يحدث أن أبلغه أحد من تنظيم محمد عبد السلام بتنصيب الدكتور عمر أميرا للتنظيم بصفة مرحلية .

ومن حيث أن المتهم التاسع اسامه ابراهيم حافظ قد سئل تحديدا فى تحقيق

النيابة العسكرية عمن يكون أمير الجماعة فأجاب بوضوح بأن الجماعة يديرها مجلس شورى وانه يعتقد انه لا يوجد لها أمير عام .

ومن حيث انه جاء بأقوال المتهم السابع فؤاد الدواليبى فى تحقيقات النيابة العسكرية أن جماعة الصعيد المكونة منه وكرم زهدى ومحمد عصام وعاصم عبد الماجد توجهوا للدكتور عمر فى منزله بالفيوم والتقوا هناك مع محمد عبد السلام وعبود الزمر وعرضوا عليه منهجهم بشأن شمولية الاسلام والجهاد المسلح لاحداث انقلاب بالقوة ثم طلبوا منه أن يتولى رئاستهم فقبل بعد رفض شديد اذ كان يقول انه غير أهل لذلك .

ومن حيث أن المتهم الحادى عشر عبود الزمر ذكر فى هذا الشأن بتحقيقات النيابة العسكرية انه ومحمد عبد السلام توجها للدكتور عمر فى منزله بالفيوم لمبايعته أميرا عاما للجماعة فرفض الامارة فى بادىء الامر واذ عاودا الكرة بعد أسبوعين أو ثلاثة وافق بصفة مرحلية بعد ضغط شديد وأرجع تمنعه الى تواضعه اذ كان يقول انه من الممكن أن يجدوا من هو أفضل منه .

ومعالجة الأمور حسبما قرر هو ذاته فى تحقيقات النيابة العسكرية من أن منهاجه الاسلامى ووسيلته الشرعية هو ما علمه سبحانه وتعالى فى قوله عز وجل **﴿ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾** ، وقوله سبحانه وتعالى **﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين ﴾** ، **﴿ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن ﴾** وهو ما يعضده المتهم السادس كرم زهدى والذى تعود معرفته بالدكتور عمر لعام ١٩٧٤ عندما قرر أن الدكتور عمر يدعو دوما للاسلام والى نبذ اللهو ومحاربة الفساد بجرأة فى خطبه وأن دعوته لم تتبدل ، أما السبب الثانى فهو ان كلا من المتهمين السابع والحادى عشر قررا أن قبول الدكتور عمر للامارة لم يكن بالامر اليسير وانما تم بعد ممانعة وضغط شديدين وكان قبوله بصفة مرحلية وهو مالا تطمئن معه المحكمة الى أن الدكتور عمر قد قبل فعلا العرض المطروح عليه والا فكيف يستقيم أن تنعقد للدكتور عمر الامارة فى الوقت الذى يقرر فيه المتهم الحادى عشر انهم لم يبايعوه على السمع والطاعة وكيف يوقر فى الاذهان أن يكون للدكتور عمر الزعامة فى اللحظة التى يعلن فيها المتهم الخامس محمد عبد السلام انهم لم يلتزموا بفتوى الدكتور عمر بعدم حل دم الرئيس المجنى عليه .. اذ كيف تتحقق

الزعامة وهى تفتقد أهم مقوماتها الرئاسية من سيطرة وهيمنة على التابعين والموالين اذ للامير حق الامر والنهى وعلى المبايعين واجب السمع والطاعة .

ومن حيث انه لما يرسب فى يقين المحكمة أن الدكتور عمر لم ينصب أميرا لجماعة المتهمين ما قرره عند مواجهته فى التحقيق بقبوله الامارة بصفة مرحلية بانكاره ذلك بشدة مرددا انه رفض ثم رفض .

ومن حيث انه من ناحية أخيرة فان واقعة قبول الدكتور عمر لزعامة جماعة المتهمين تضحى وقد أيدها البعض ـ بفرض صحة هذا التأييد ـ وانكرها البعض الآخر ونفاها نفيا جازما ، واقعة احاطتها الشكوك والريب مما يقتضى والحال كذلك تعذر التقرير بصحتها عن اطمئنان كامل ويقين شامل وبالتالى نبذها وعدم التسليم بها أخذا بقاعدة أصولية مؤداها أن الشك يفسر لصالح المتهم .

ومن حيث أنه بفرض سلامة واقعة قبول الدكتور عمر لزعامة هذه الجماعة فان مجرد القبول ليس بالعمل المؤثم فى حد ذاته طالما أن رئاسته هذه لم تبرز الى حيز الوجود بنشاط مادى محرم ، أو أن الجماعة أتت بأمر منه ما يوقعها تحت طائلة المساءلة والعقاب وطالما أن ساحة الاتهام لم تجعل من زعامته مسوغا لها وسندا فى أن تنسب اليه ما ينسب عادة لمن يكون جماعة لخرق القانون .

ومن حيث انه بالنسبة للركيزة الثانية فى الاتهام المنسوب الى المتهم الدكتور عمر عبد الرحمن وهى افتاؤه بالفتاوى التى شجعت المتهمين وحفزتهم لان يقارفوا ما قارفوه ، فان أقوال المتهم الخامس محمد عبد السلام قاطعة الدلالة فى صراحتها من ان الدكتور عمر لم يفت بحل دم الرئيس المجنى عليه ، وانما سبق له أن افتى لهم منذ خمسة شهور سابقة على الحادث بكفرالرئيس المجنى عليه الا أن كفره ليس كفرا بواحا يخرجه من ملة الاسلام ، ولكنهم لم يقتنعوا بفتواه وانهم هم الذين استنتجوا استحلال دمه بيد انه لم يفتهم بذلك صراحة ولا مراء فى انه لا يجوز شرعا أو قانونا ولا يصح عقلا ومنطقا أن يتحمل انسان مغبة ومسئولية استنتاج انسان اخر قد يصيب أو يخطىء فى استنتاجه شيئا وان استحلال الدم ـ فى عقيدة المتهمين ـ مناطه الكفر البواح .

ومن حيث ان المتهم السادس كرم محمد زهدى قد جرت اقواله فى تحقيقات النيابة العسكرية فى نفس التيار ، نافية عن الدكتور عمر افتاءه بحل دم الرئيس المجنى عليه ، عندما اوضح ان دعوة الدكتور عمر كانت عبارة عن قولة حق باللسان فى مواجهة الاحداث وان الذى دعا جماعة الصعيد الى تغيير مناهجهم هو ما بثه المتهم الخامس محمد عبد السلام فى فكرهم بتبديل وسيلتهم لتضحى الدعوة الى الجهاد بقوة السلاح . .

ومن حيث انه رغم ما قرره المتهمان السابع فؤاد الدواليبى والحادى عشر عبود الزمر من أن الدكتور عمر افتى بحل دم الرئيس المجنى عليه منذ عدة شهور خلت قبل الواقعة ، الا ان عبود الزمر قد كشف فى اقواله بوضوح عن ان تلك الفتوى جاءت معلقة على شرط واقف هو رجوع الرئيس المجنى عليه عما كان سادرا فيه وتطبيق شرع الله ، مما يقوض رواية عبود الزمر ومفهومه عن فتوى الدكتور عمر ومما يبرر للمحكمة عدم الركون سواء الى قوله أو قول المتهم السابع فؤاد الدواليبى والتى تضحى رواية تتنافى مع باقى روايات المتهمين الآخرين . .

ومن حيث انه من ناحية ثانية فبفرض ان الدكتور عمر افتى بحل دم الرئيس المجنى عليه من فترة استطالت لشهور عدة قبل الحادث ، فانه لكى تصح مساءلته فيلزم ان يستمر مصرا على فتواه وهو مالم يثبت ، بل انه انكرها كلية فضلا عن حتمية اتصاله بالفاعلين الجناة الذين باشروا القتل حتى يكون مسئولا بصفته محرضا لهم بفتواه ولما كان واقعا غير مجحود انه ليس ثمة وشيجة من أى نوع كانت تربط الدكتور عمر باى من المتهمين الأربعة الاول الفاعلين وبالمثل فان المتهم الخامس محمد عبد السلام صاحب الفكر السائد والراسخ فى عقول المتهمين بصفة عامة ومرتكبى الحادث بصفة خاصة قد فسره الدكتور عمر عن افتائه باستحلال دم الرئيس المجنى عليه حتى يمكن القول بان فكره الذى حرض به الفاعلين للجريمة انما استمده اصلا واساسا من الدكتور عمر . .

ومن حيث ان الثابت من اقوال المتهمين سواء من نسبوا للدكتور عمر اصداره فتواه باستحلال دم الرئيس المجنى عليه او اولئك الذين نفوها عنه جميعا لم يقابلوه منذ قرابة شهرين سابقين على الحادث وانهم جميعا قرروا بجلاء انهم لم يستفتوه فى اغتيال الرئيس فى ٦ اكتوبر ١٩٨١ ابان تواجده بالمنصة خلال العرض العسكرى وكان الثابت ان المتهم الاول خالد شوقى الاسلامبولى قد ساورته فكرة الاغتيال فى الثلث الاخير من سبتمبر ١٩٨١ قبل تاريخ العرض العسكرى بأيام معدودات فانه يبين بجلاء انفصام الصلة بين الفتوى المدعى نسبتها للدكتور عمر ـ ان كان ذلك حقا ـ وبين ارتكاب الحادث من الناحية الواقعية والفعلية .

ومن حيث انه متى استقام ما تقدم فانه يتعين من الناحية القانونية فى

التحريض بادىء ذى بدء ان يتصرف مباشرة الى الفاعل لينتج اثره فى ارتكاب الجريمة التى تم التحريض عليها وهو ما لم يثبت قطعيا على النحو السالف بيانه فى حق الدكتور عمر ومن ثم بدا من الضرورى ان نخلى بين الدكتور عمر احمد على عبد الرحمن والتهمة المنسوبة اليه وتضحى البراءة حقا واجبا مما يلزم معه القضاء له بها .

○○

كان واضحا منذ البداية أن ثمة أزمة على وشك الوقوع بين الدفاع وهيئة المحكمة . .

فقد شكك الدفاع فى عدم إستقلالية المحكمة عن السلطة التنفيذية التى تتبعها (وزارة الدفاع) وحاول إثبات أن المتهمين لا يحاكمون أمام قاضيهم الطبيعى ، وأن النصوص والقوانين التى تعتمد عليها المحكمة تتعارض مع الدستور ومع الشريعة الإسلامية . .

ومن ناحية أخرى أحس الدفاع أن المحكمة لا تعطيه الفرصة ولا الحرية الكاملة للإنطلاق . .

فقد وافقت على أن تسجل المخابرات الحربية الجلسات ابتداء من الجلسة الثالثة . . ورفضت الإستجابة لطلبات الدفاع فى حضور معظم الشهود الذين طلبهم . . وصرح رئيس المحكمة للصحف بأن المحكمة لابد أن تنتهى من نظر القضية يوم ٢٢ فبراير ١٩٨٢ قبل أن تكون ـ حتى جلسة ٢٤ فبراير ١٩٨٢ ـ قد سمعت الدفاع عن ١٤ متهما من المتهمين . .

وفى جلسة ٢٤ فبراير ١٩٨٢ كانت الأزمة بين الدفاع والمحكمة قد نضجت تماما . .

قام عبد الحليم رمضان ، وطالب بتأجيل القضية كلها حتى تنظر المحكمة الدستورية العليا فى الطعن المقدم من الدفاع ، فى دستورية المحكمة العسكرية !

ورفض القاضى التأجيل . .

فتكهرب الجو . .

ووقف عبد الحليم رمضان ثائرا ، وقال فى غضب :

ـ إن المحكمة تحنث باليمين الذى أقسمت عليه !

وازداد الموقف اشتعالا أمام إهانة المحكمة ونعتها بالكذب ، فأمر اللواء سمير فاضل بالقبض على عبد الحليم رمضان بتهمة إهانة المحكمة ، وتدخل المحامون ، واستطاعوا نقل الموضوع إلى النيابة العسكرية للتحقيق ، الذى بدأ فى أول مارس ١٩٨٢ ، وانتهى إلى وقوف المحامى المتهم أمام محكمة جنح عسكرية يرأسها ضابط واحد فقط ، وقد استمرت فى نظر هذه القضية حتى ما بعد صدور الأحكام فى القضية الرئيسية . .

وفى جلسة ٢٥ فبراير ، سحبت المحكمة تصاريح دخول أربعة محامين هم عبد الحليم رمضان وشوقى خالد ، وعماد السبكى ، وحافظ ختام وقضت بتغريم كل واحد منهم ٥٠ جنيها .

وكانت هذه الغرامة بخلاف الغرامة التى فرضتها المحكمة على ٢٠ محاميا ، كانوا قد انسحبوا من أمامها ، يوم الثلاثاء ٢٨ ديسمبر ١٩٨١ . . وقد أوضح المحامون المنسحبون سبب ما فعلوه فى مؤتمر صحفى عقد فى مكتب عبد الحليم رمضان ، الذى قال فيه :

ـ إن السبب يرجع للخلاف الحاد بينهم وبين المحكمة التى لم تأخذ بدفوعهم !

وكانت المحكمة بعد انسحاب المحامين قد طالبتهم بتسليم نسخ القضية المسلمة اليهم من المدعى العام العسكرى ، واخطار نقابة المحامين بما وقع منهم ، وندب محامين آخرين للدفاع عن المتهمين .

وطلب المحامون مقابلة الرئيس حسنى مبارك . . لكنه رفض طلبهم . . ورفض أن يلتقى بهم بعد أن توجهوا إلى قصر العروبة لعرض شكواهم من المحكمة عليه . .

وعاد المحامون إلى الدفاع عن المتهمين . .

وعادوا يشكون من المحكمة . .

وعندما حكمت المحكمة بتغريم ٤ منهم ٥٠ جنيها أخرى ، راح عبد الحليم رمضان يترافع ٦ ساعات عن نفسه ، فدفع بعدم دستورية القانون الذى استندت اليه المحكمة فى عقوبتها ، ودفع ببطلان الحكم لأنه لم يصدر فى جلسة علنية . .

فكان أن أقالته المحكمة . وقام شوقى خالد ، الذى غرم هو الآخر ، ليعلن أنه وكل عبد الحليم رمضان فى الدفاع عنه ، وأنه يطلب منه أن يترافع عنه كما ترافع عن نفسه . . أى ٦ ساعات .

وقبل أن يفعل المحامى الثالث والرابع نفس الشىء ، كانت المحكمة قد أخذت قرارها باقالتهم .

وذهب المحامون إلى القصر الجمهورى ، بالأرواب السوداء ، وسجل شوقى خالد بخط يده - فى سجل التشريفات - كلمتهم التى جاء فيها :

حتى لا يقال إن ما يحدث فى ايران يحدث فى مصر ، من اعدامات بالجملة ، نرجو أن يتدخل الرئيس مبارك لتوجيه مسار المحكمة مسارا صحيحا !

وفيما بعد كتب شوقى خالد فى التماسه المرفوع لرئيس الجمهورية :

إن القضية التى نحن بصددها ليست قضية قتل أو إعتداء على شخص ، أو إعتداء مجموعة على فرد ولكن هى قضية أمة ، وقضية شعب وقضية حاضر وقضية مستقبل . .

هى قضية رجل أوجدته الظروف على رأس السلطة واعتقد الشعب أنه حمل الأمانة ، لكنه اكتشف أنه خان الأمانة . هى قضية شعب ، غيبت عنه الحقائق . . قضية شعب كممت السلطة فمه من أجل فرد واحد فما كان منه إلا أنه انفجر بصوت الرصاص أيا كانت اليد التى أطلقته ، ذلك أن الكبت يولد الانفجار ، والعنف يولد العنف واليأس يدفع إلى الإنتحار . .

﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان . . ﴾

فإن كانت القضية يستخدم فيها القانون ويتمسك فيها رجل القانون بشريعة السماء والأرض وبالشريعة الدستورية والمشروعية القانونية ، فذلك جميعه قد أهدرته المحكمة . . وخاصة أن القضية فى حقيقتها هى قضية سياسية فى المقام الأول . . وليس هذا القول من عندنا فقط ولكن تشترك معنا النيابة فيه حيث تصف فيه الواقعة بأنها : « اغتيال سياسى » . .

فأى ثأر للمتهمين لدى القتيل ، وأى كره يحملونه له ؟ سوى أنهم مصريون ، أبناء زمانهم ، نبتوا فى تربة هذا الشعب وعاشوا مأساته ولمسوا ما ارتكبه القتيل من أفعال هى بذاتها مجموعة من الجرائم والخيانات ، ولا نقولها نحن وحدنا ولكن

سيثبت التاريخ فى يوم من الأيام صدق هذا القول ، وسيكشف التاريخ فى يوم من الأيام الحقائق المستورة . .

فإذا ما حاول الدفاع أن يكشف عوار هذه الفترة من فترات الحكم تحت جناح القانون ، هبت هيئة المحكمة فى وجه الحق ، وثارت ضد الحقيقة وكممت أفواه الدفاع ، وحاولت قتل ألسنته حتى لا يتمادى فى أداء رسالته ، وإذا بالدفاع يتصدى لمحاولات المحكمة حتى لا يكون جزءا فى مسرحية وحتى لا يتهمه التاريخ بأنه شارك فى محاكمة صورية كمحاكمات المهداوى فى العراق ، والدجوى فى مصر . . فكم من مرة قاطعت المحكمة الدفاع ، وكم من مرة حاولت أن تجبره على عدم الاسترسال فى المرافعات ووصل بهيئة المحكمة الأمر إلى أن أقالت محاميا موكلا من وكالته على خلاف العرف والقانون ثم تأتى فى نهاية الأمر وتحجب هيئة المحكمة الدفاع بالكامل عن المتهمين وتستمر هيئة المحكمة فى محاكمة صورية يندى لها الجبين ، فبأى عقل وبأى منطق يمكن أن يقوم أربعة من المحامين المأجورين بتغطية الدفاع الواجب عن ١٣ متهما فى مدة لا تتجاوز الأربعين دقيقة كما حدث فى جلسة ١٩٨٢/٣/٣ . .

وبكل اطمئنان الضمير نسجل للتاريخ أن هيئة المحكمة قد ارتكبت خطأ مهنيا جسيما بإخلالها بحق الدفاع اخلالا يندى له الجبين ، ذلك أنها قد عرت المتهمين من كل ضمانة لحقهم فى الدفاع عن أنفسهم وطعنت فى الصميم الحصانة المقررة للمحامى وهو يقوم بواجبه ويتحمل أعباء مسئوليته فى الدفاع عن المتهمين . .

ويقول محامى المتهم الثانى :

- إن من المدهش أن المحكمة أثبتت فى محضر جلسة ١٩٨٢/٣/٣ أن المتهمين رفضوا حضور المحامين المأجورين لاستكمال صورة المحاكمة باضفاء شكل الشرعية عليها زيفا وبهتانا وتمسك المتهمون بمحاميهم الموكلين ، أو تمكينهم من توكيل آخرين يثقون بهم إن كانت المحكمة ترفض وكالة المحامين الأصليين .

والمعروف قانونا - طبقا لأحكام النقض - أنه إذا كان المحامى الذى ندبته المحكمة للدفاع عن المتهم بجناية لم يتتبع اجراءات المحاكمة ولم يحضر سماع الشهود - إذا كان ندبه بعد ذلك - فإن اجراءات المحاكمة تكون باطلة ، ذلك بأن الغرض من ايجاب القانون حضور مدافع عن كل متهم بجناية لا يتحقق إلا اذا

كان المدافع قد حضر اجراءات المحاكمة من أولها إلى آخرها مما يلزم عنه أن يكون قد سمع الشهود قبل المرافعة إما بنفسه أو بواسطة ممثل له يختاره هو فى هيئة الدفاع[٤٨]

كان إختيار المحكمة للمحامين الأربعة ، إختيارا خاصا منها ، ولم تلجأ كما يفرض القانون لنقابة المحامين الفرعية المختصة ، وقد أصدرت نقابة المحامين الفرعية بالقاهرة ـ ردا على ذلك ـ قرارا كان نصه :

إن الادعاء العام العسكرى وهيئة المحكمة الموقرة قد ضربت ـ بما فعلته ـ عرض الحائط ووطئت حرمة القانون ، وأهدرت حق المتهمين فى اختيار المحامين الذين يترافعون عنهم وأهدرت أحد أركان العدالة والإعتداء الصارخ على القضاء ، أو الواقف أمامها ، المتمثل فى هيئة الدفاع هذه التى تجرأت المحكمة على حرمتها وعوقت إضطلاعها بواجباتها ومسئولياتها نحو تحقيق العدالة .. كل ذلك لكى تنهى القضية بمحاكمة صورية مفتعلة فاقدة لكل الضمانات وموجبات تحقيق العدالة .. الأمر الذى لا يؤدى إلى بطلان الحكم بل إنهيار المحكمة من أساسها وانعدامها أصلا لافتقادها إلى ركن أساسى فيها لا تقوم إلا به .[٤٩]

OO

طوال فترة المحاكمة ، كان المتهمون صائمين ..

فقد أعلنوا الصيام من يوم الحادث إلى ما بعد الحكم عليهم ..

وفى جلسة عقدت يوم المولد النبوى الشريف ، تصادف أن جاء وقت المغرب ، والمحكمة لم تنه الجلسة .. فطلب المحامون من المحكمة إحضار طعام للمتهمين لكى يفطروا عليه ..

وبعد ساعتين على المغرب ، أعاد المحامون الطلب .. فجاءت سندوتشات فول وطعمية .. لكل متهم سندويتشان .. فأصر المتهمون على اقتسام السندويتشات مع المحامين ..

وقد كان بعض المحامين فى حاجة إلى الطعام بالفعل ، ليس بسبب تأخر

(٤٨) أحكام النقض ـ ص ١٠١٣ .
(٤٩) شوقى خالد ـ المرجع السابق .

الوقت ، والجوع فقط ، وإنما بسبب مرض السكر الذى كان هذا البعض ـ وعلى رأسهم عبد الحليم رمضان ـ يعانون منه ..

وقد كان عبد الحليم رمضان فى أوقات كثيرة يقطع المرافعة ، ليضع فى فمه قطعة سكر ، أو ملبس ، تسنده وتحد من دوار مرض السكر ..

ولأن المصابين بالسكر يترددون على دورة المياه كثيرا ، فإن المحامين الذين كانوا يتعرضون لهذا الموقف ، يفضلون أن يمسكوا أنفسهم على قدر المستطاع ، لأن دخول دورات المياه كان يستدعى دخول أحد الحراس معهم ، ويحتاج إلى اجراءات أمنية معقدة ..

ورغم ذلك كان المحامون أكثر حظا من المتهمين ، الذين كان عليهم دخول دورات المياه ، والقيود الحديدية فى أيديهم وأقدامهم ، والحراس إلى جوارهم تماما .

OO

فى يوم السبت ٧ فبراير ١٩٨٢ نشرت مجلة اكتوبر مقالا جاء فيه :

«سوف يقع حادثان هامان .. الحادث الأول اعدام الذين اغتالوا السادات .. والثانى الانسحاب الشامل من سيناء» .

نشرت اكتوبر هذا الكلام والمحكمة لاتزال تنظر القضية .. اعتبرت المحكمة ما نشر يمثل محاولة للتأثير على الرأى العام وعليها .. وأمرت بإحالة كاتب المقال إلى النيابة العسكرية للتحقيق معه . وقرر خالد الاسلامبولى وعبد الحليم رمضان مقاضاة مجلة اكتوبر وطلب ٥١ جنيها كتعويض مؤقت لأن مانشر يعد تأثيرا ضد المتهمين .

OO

فى ٦ مارس ١٩٨٢ عقدت الجلسة الأخيرة ..

بعد ٥ شهور بالضبط من الحادث ، انتهت المحاكمة ..

وبعد أن جعلت المحكمة ، جلساتها سرية ، سمحت بحضور الصحافيين

الجلسة الأخيرة .. جلسة النطق بالأحكام .. فى ذلك اليوم ، كانت اجراءات الأمن المشددة هى نفسها الاجراءات المعتادة .. حملت سيارات الأتوبيس التابعة للقوات المسلحة أكثر من ١٥٠ من رجال الاعلام بأجهزتهم .. كانوا قد تجمعوا منذ الثامنة صباحا بمبنى ادارة الشئون المعنوية بالعروبة ، وسارت بهم الأتوبيسات فى التاسعة صباحا إلى مبنى المحكمة ، فى طريق يحيط به رجال المظلات المدججون بالسلاح .. وظل الصحفيون ينتظرون فى احدى غرف المحكمة حتى الحادية عشرة إلا الربع ، حينما سمح لهم بدخول القاعة .. وكان المتهمون قد سبق وصولهم إلى داخل القفص حيث حاولوا أمام ممثل الصحافة اشاعة جو من الضوضاء .. وتسلق بعضهم حديد قفص الاتهام ..

وبعد ٢٥ دقيقة .. انقطع التيار الكهربائى فجأة ..

وعندما فشلت كل الجهود فى اعادته ، أخليت القاعة من الصحافيين ورجال الاعلام .. وذهبوا إلى قاعة انتظار مجاورة لحين اعادة التيار .. وعندما فشلت محاولة توصيل القاعة بمحول كهربائى ، تقرر إعداد قاعة جديدة فى ردهة المحكمة ، نقلت اليها المنصة على عجل .

وفى الواحدة تماما ..

أعلن بدء الجلسة .. وأحاط الصحافيون بالمنصة داخل القاعة الجديدة ، واعتلوا المقاعد ..

وفى الواحدة وعشر دقائق صاح الحاجب :

- محكمة !

ودخلت هيئة المحكمة العليا يتقدمها رئيسها اللواء سمير فاضل ..

وجرت وقائع الجلسة كالتالى :

رئيس المحكمة : بسم الله نفتح الجلسة ، نادى على المتهمين .

سكرتير الجلسة : المتهم الأول خالد أحمد شوقى الاسلامبولى .

قائد أمن قاعة المحكمة : يافندم المتهمين فى القفص بيصيحوا داخل القاعة وعاملين ضوضاء ودوشة ولو جم حيعملوا شوشرة على المحكمة .

رئيس المحكمة : المحكمة توافق على وجودهم خارج القاعة ..

ثم ..

بدأ رئيس المحكمة فى تلاوة الأحكام ..

فقال :

- القضية رقم ٧ لسنة ١٩٨١ أمن دولة عليا .. باسم الشعب .. بعد الاطلاع على مواد الاتهام ، والمادة ٧٥ من قانون الأحكام العسكرية والمواد ١٧ ، ٣٠ ، ٣٢ من قانون العقوبات ، والمادة ٦٠٤ من قانون الاجراءات الجنائية ، وبعد المداولة قانونا حكمت المحكمة حضوريا :

أولا : بمعاقبة كل من المتهم الأول (خالد الاسلامبولى) والثانى (عبد الحميد عبد السلام) والثالث (عطا طايل) والرابع (حسين عباس) والخامس (محمد عبد السلام بالاعدام باجماع الأراء نظير التهمتين المنسوبتين إلى كل منهم .

ثانيا : معاقبة كل من المتهمين الحادى عشر (عبود الزمر) والرابع عشر (طارق الزمر) والخامس عشر (محمد طارق) والسادس عشر (أسامه قاسم) والسابع عشر (صلاح بيومى) بالاشغال الشاقة المؤبدة ، نظير التهمتين المنسوبتين الى كل منهم .

ثالثا : معاقبة كل من المتهم السادس (كرم زهدى) والسابع (فؤاد الدواليبى) والثامن (عاصم عبد الماجد) والتاسع (أسامة ابراهيم حافظ) بالأشغال الشاقة لمدة ١٥ سنة .

رابعا : معاقبة كل من المتهم رقم ١٢ (صالح أحمد صالح جاهين) ورقم ٢٢ (عبد الله محمد سالم) ورقم ٢٣ (صفوت الأشوح) لمدة ١٥ سنة .

خامسا : معاقبة المتهم رقم ٢٠ (محمد طارق اسماعيل المصرى) بالأشغال الشاقة لمدة ١٥ سنة .

سادسا : معاقبة كل من المتهمين رقم ١٨ (علاء الدين عبد المنعم) ورقم ١٩ (أنور عكاشة) ورقم ٢١ (على محمد فراج) بالأشغال الشاقة لمدة ١٠ سنوات .

سابعا : معاقبة المتهم الثالث عشر لمدة ٥ سنوات وهو عبد الناصر عبد العليم درة .

ثامنا : براءة كل من المتهمين الداشر (الدكتور عمر عبد الرحمن) ورقم «٢٤» (محمد السلاموني) مما هو منسوب اليهما .

تاسعا : مصادرة المضبوطات والأسلحة والذخائر المضبوطة على ذمة القضية . . وقدرت أتعاب محاماة للسادة المحامين المنتدبين بواقع ١٠٠ جنيه عن كل متهم تمت المرافعة عنه وصدر هذا الحكم وتم النطق به علنا في جهة الجبل الأحمر بالقاهرة في جلسة السبت الموافق ٦ مارس ١٩٨٢ . .

رفعت الجلسة :

○○

عندما قال رئيس المحكمة أنه قرر ١٠٠ جنيه أتعاب محاماة عن كل متهم ، ضحك الصحافيون الذين كانوا في القاعة طويلا . . ثم ضحك الصحافيون الأجانب عندما نقلت اليهم ترجمة العبارة . .

فرغم أن هذا الرقم كان أكبر أجر تقدره محكمة عسكرية مصرية كأتعاب محاماة ، إلا أنه كان أقل من أتعاب محام صغير في قضية نفقه أو طلاق . .

ولم يكن هذا الأجر ـ في الحقيقة ـ يهم المحامين ، فقد أراد بعضهم الشهرة ، وأراد البعض الأخر الانتقام من عصر السادات ، وأراد البعض الثالث أن يكسب من بيع شرائط الجلسات السرية للإذاعات والصحف العربية . . وكان الشريط الواحد يباع بألف جنيه . . مما دفعهم إلى زيادة عدد الجلسات .

○○

في الجلسة الأخيرة ، وصل جميع المتهمين إلى قاعة الجلسة في التاسعة والنصف ، وسمح رجال الأمن بمقابلة عدد من أقاربهم الذين حرصوا على حضور جلسة النطق بالأحكام .

كان جميع المتهمين يلبسون ملابس بيضاء باستثناء أسامة السيد الذى ارتدى فانلة بيضاء وبنطلونا أسود . .

أما خالد الاسلامبولى فقد كان يغطى رأسه بعد أن أطلق لحيته ، وكان المتهم الثاني عبد الحميد عبد السلام قد «كحل» عينيه ، بينما ارتدى الشيخ عمر عبد الرحمن جبة لونها فاتح .

وفور دخول الصحافيين وقف عبد السلام فرج زعيم تنظيم الجهاد ليلقى خطبة ضد الظلم والظالمين ، تبعها هتافات رددها خالد الإسلامبولى وعطا طايل . .

وبعد أن صدرت الأحكام . .
سكت الجميع !

١٢

الطريق إلى الإعدام !

« أين جثمان ابني ياسيادة الرئيس ؟ »

من رسالة أم خالد
الى حسني مبارك

انتهت المحاكمة . .

وانتهى معها «المشوار» التقليدى الذى كان يقطعه المتهمون من السجن الحربى إلى مبنى المحكمة بقاعدة «الجبل الأحمر» العسكرية . .

كان المشوار ثقيلا على المتهمين . .

وعلى رجال الأمن أيضا . .

فقد كان المتهمون يقومون من نومهم قبل الفجر بساعة . . ويتناول الصائمون منهم قطعة من الخبز وكوبا من الشاى ، على سبيل «السحور» لا الإفطار . . بعد ذلك يقيدون بالأغلال ، وتوضع «عصابة» سوداء على عيونهم . . ثم . . يتحركون من بوابة السجن إلى سيارات مصفحة تقف بالقرب منها . . يصعدون اليها . . يجلسون فيها . . وتربط أيديهم بأقدامهم حتى لا يستطيعوا الفرار أو الحركة إذا ما تعرضت السيارات للهجوم . .

تأتى طائرات الهيلكوبتر . . وتبدأ السيارات فى التحرك . . وينطلق الموكب المكون من ٦ سيارات مصفحة . . فى كل منها أربعة متهمين بخلاف جنود الشرطة العسكرية . . وبخلاف ١٢ سيارة مصفحة أخرى تتحرك معها من باب التمويه ، ومن باب عدم معرفة أى السيارات بالضبط هى التى تحمل المتهمين . .

انتهى هذا المشوار الآن . .

فقد صدرت الأحكام عليهم . .

ولم يبق سوى أن يصدق عليها رئيس الجمهورية . .

إن أحكام المحكمة العسكرية لا تقبل النقض أو الاستئناف مثل أحكام

الجنايات فى المحاكم المدنية . . العادية . . ورئيس الجمهورية هنا ـ بصفته القائد الأعلى للقوات المسلحة ، والضابط المصدق ـ يحل محل قاضى الطعون الذى من حقه تخفيف الحكم أو الإبقاء عليه كما هو . .

○ ○

انتظر الناس قرار حسنى مبارك . .

وتساءلوا :

ـ هل سيخفف الأحكام ـ ياترى ـ أم سيصدق عليها كما هى ؟

ورغم أن الجميع ، قبل المحاكمة توقع أن يعامل حسنى مبارك المتهمين بقسوة ، إلا أن البعض قد رجع فى كلامه ، وتصور ـ بعد المحاكمة ـ أن حسنى مبارك قد يخفف الأحكام على المتهمين . .

فقد تسربت بعض أخبار المحاكمة ، وتسربت بعض الفضائح التى أثارها المحامون أمام المحكمة ، ونسبوها لعصر السادات ، وجاء ذلك فى وقت كانت محكمة «القيم» تحاكم أشقاء السادات ، وتفضح هى الأخرى عصره ، وتحول مشاعر عدد كبير من الناس ضده ، ولصالح الذين قتلوه . .

كما كان هناك سبب آخر جعل البعض يتصور أن حسنى مبارك سيخفف الأحكام . . وهذا السبب هو عدم رغبة حسنى مبارك فى إستمرار مواجهة التيارات الدينية . . وتصور هذا البعض أن حسنى مبارك سيفتح صفحة جديدة معها ، وسيقدم لها حياة خالد الاسلامبولى ورفاقه عربونا على الوفاق بينه وبينها . .

ومن ناحية أخرى تدخل رؤساء الأحزاب السياسية المعارضة فى مصر لديه لكى لا يصدق على حكم الإعدام . . وكان صاحب الدور الأكبر فى ذلك المهندس ابراهيم شكرى رئيس حزب العمل الإشتراكى . . وقد تصورت الأحزاب المعارضة أن حسنى مبارك ـ الذى فتح معها صفحة بيضاء بعد صفحة السادات السوداء ـ قد يستجيب لطلبها . .

ومن ناحية ثالثة ، تدخلت شخصيات عربية من دول شقيقة مختلفة لكى لا يصدق حسنى مبارك على حكم الإعدام . . وتصورت هذه الشخصيات أنه يمكن أن يستجيب لها بعد أن سارع منذ اليوم الأول لحكمه إلى مد كل الجسور بينه وبين العرب . .

لكن . .

كل هذه التخمينات . . وكل هذه الضغوط ، ذهبت أدراج الرياح . .

فعلى ما يبدو ، لم يكن حسنى مبارك قد نسى ـ كما نسى الآخرون ـ يوم الإغتيال الرهيب . . وما جرى فيه . . لم ينس حسنى مبارك أن فوهة بندقية خالد الإسلامبولى كانت قريبة منه . . ولم ينس أن تغيير الحكم فى مصر كان هدف هذه المجموعة ، الأكبر والأهم بعد قتل السادات . .

ولابد أنه كان يدرك أن عدم التصديق على الأحكام ـ كما هى ـ هو إعتراف منه بشرعية الإغتيال ، وبفضل الجناة عليه فى توليه السلطة .

ولابد أنه كان يدرك أن التساهل مع المتهمين ، سيشجع غيرهم على رفع السلاح فى وجه كل من لا يعجبهم . . بما فيهم هو نفسه . .

كما كان هناك قلق واضح من أن لا تنسحب إسرائيل من سيناء فى ٢٥ ابريل ١٩٨٢ ، كما هو مقرر ، إذا ما أحست أن النظام الجديد فى مصر يتساهل مع الذين قتلوا صديقهم الحميم أنور السادات .

ولهذا . .

فقد صدق حسنى مبارك على الأحكام كما هى !

○ ○

فى الفترة القانونية المحددة لتقديم الإلتماس إلى رئيس الجمهورية ، لتخفيف الأحكام ، قدم المحامون التماسات موكليهم . .

وكان أضخم هذه الإلتماسات ، الإلتماس الذى قدمه شوقى خالد ، محامى المتهم الثانى عبد الحميد عبد السلام ، فقد وصل إلى ٩٨ صفحة من قطع «الفولسكاب» الكبير . . وقد تسلم الإلتماس ـ وسجل تحت رقم ٢٩٣٢ ـ ٤/٥ . .

وجاء فى مقدمته :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ﴾ ـ صدق الله العظيم .

التماس باعادة النظر مقدم للسيد الضابط المصدق فى القضية رقم ٧ لسنة ١٩٨١ أمن دولة عسكرية عليا .

إن هذا وإن كان فى ظاهره التماسا باعادة النظر فى القضية العسكرية المقدم فيها مجموعة من شباب مصر بتهمة إغتيال رئيس الجمهورية السابق . . إلا أنه فى حقيقته صرخة من أعماق التراب المصرى ونقل أمين لنبضات الشعب المصرى بعيدا عن تأثير أجهزة الاعلام والصحافة . . وتصوير صادق لمشاعر الاستياء والاحباط التى أصابت الشعب المصرى . . بعيدا عن زيف أجهزة الصحافة . .

وجاء فى خاتمته :

إن الضمير الانسانى فى مصر . . يأمل . . ويرجو أن يكون وضع هذه الدعوى أمام لجنة الطعون فى الموضوع الذى تستحقه من ترو . . ومن تعمق . . من قانون حقيقى يدرس . . ويقال . . وينتهى اليه . . من تحصيل لأسباب البراءة مساويا لتحصيل الإدانة . .

آمل أن لا يقال ذات يوم إنه قضاء بأمر . . أتمنى كمحام أن يكون القضاء بعدل . . وأكتفى بالقول . . ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾ (آية ٤٧ من سورة الحج)

ويلتمس الدفاع طبقا للمادة ١١٦ من قانون الأحكام العسكرية الأمر :

بصفة أصلية : بالغاء الحكم وتخليص المتهم من جميع آثاره القانونية . .

وبصفة احتياطية : باعادة النظر فى الدعوى من جديد أمام محكمة أخرى . .

ومن باب الاحتياط الكلى : تخفيف العقوبة جدا . .

و . . ﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا ، إن الله لا يحب كل خوان كفور ، أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ صدق الله العظيم ـ الآية ٣٨ ـ ٣٩ من سورة الحج . .

بسم الله الرحمن الرحيم

(ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون)

" صدق الله العظيم

التماس

باعادة النظر

مقدم للسيد الضابط المصدق

فى القضية رقم ٧ لسنة ١٩٨١ أمن دولة عسكرية عليا

ان هذا وان كان فى ظاهرة التماس باعادة النظر فى القضية العسكرية المقدم فيها مجموعة من شباب مصر بتهمة اغتيال رئيس الجمهورية السابق .. الا أنه فى حقيقته صرخة من اعماق التراب المصرى ونقل أمين لنبضات الشعب المصرى بعيدا عن تأثير اجهزة الاعلام والصحافة .. وتصوير صادق لمشاعر الاستياء والاحباط التى اصابت الشعب المصرى بعيدا عن زيف اجهزة الصحافة .

ان المحاماه رساله تبغى أن تكون منبثقة من هذا الدرب تسير هيئة الدفاع عن المتهمين فى القضية .. هؤلاء المحامون الذين عاشوا مأساة المحاكمة ومأساة الحكم فى اعماقها وما تلا ذلك من معوقات وعراقيل وضعتها الادارة العامة للقضاء العسكرى وادارة المدعى العام العسكرى والثابتة تفصيلا فى القضية رقم ٢٤٨٢ لسنة ٣٦ ق والمرفوعة من السيد / الاستاذ عبد الحليم رمضان المحامى أمام القضاء الادارى .

لقد وجهت اداره المدعى العام العسكرى الى المتهمين ستة تهم أخرها التهمة التى تقول انهم حازوا واحرزوا الاسلحة والذخائر بغير ترخيص قانونى

الصفحة الأولى من الالتماس المرفوع من المتهم الثانى الى حسنى مبارك

لم يقبل هذا الإلتماس ، ولا غيره .

وتحدد يوم ١٥ أبريل **١٩٨٢** لتنفيذ الأحكام على المتهمين . .

وذلك قبل موعد انسحاب إسرائيل النهائى من سيناء بعشرة أيام . .

وقبل تنفيذ الحكم بيومين وصل إلى القاهرة اريل شارون وزير الزراعة والمستوطنات الإسرائيلى والرجل الذى كان يقف فى وجه الإنسحاب من سيناء ، ويطالب ببقاء مستوطنة «ياميت» اليهودية على الأراضى المصرية . .

وقد قيل إنه جاء إلى القاهرة ليحضر تنفيذ حكم الإعدام فى خالد الاسلامبولى ورفاقه . . وقيل أيضا إن السلطات المصرية رفضت الاستجابة لطلبه واكتفت باعطائه نسخه من شريط «فيديو» له ، عليها المشاهد الكاملة للإعدام . .

وقبل الإعدام بأيام قليلة ، زار المحاميان عبد الحليم رمضان ، وشوقى خالد ، كلا من خالد الاسلامبولى وعبد الحميد عبد السلام ، للمرة الأخيرة فى السجن الحربى . .

وقال لى شوقى خالد :

ـ رحنا لهم ومعنا «جاتوهات» من حلوانى «شانتيل» فى مصر الجديدة ، وأخذنا معنا أيضا حكما بتمكين خالد الإسلامبولى من رؤية والده ، وكان معنا أيضا حكم من مجلس الدولة والقضاء الادارى باستلام حيثيات الحكم لكنهم رفضوا التنفيذ . .

وفى ليلة تنفيذ أحكام الإعدام ، تجمع المحامون ، وأهالى المتهمين ، ومراسلو الصحف والتليفزيونات العالمية ، وكان هناك بالقرب من سجن الاستئناف فى باب الخلق ، مؤتمر صحفى عالمى ، كان نجومه عبد الحليم رمضان ، وأشقاء عبد الحميد . .

صباح يوم الإعدام ، رفرفت راية سوداء على سجن الاستئناف . .

ورغم أن عائلات المتهمين لم تتسلم أى إخطار بموعد التنفيذ ، إلا ان الخبر وصل اليهم ، فتجمع أقاربهم منذ مساء اليوم السابق أمام بوابة السجن . .

وفى داخل السجن كانت اجراءات الأمن شديدة الصرامة على غير العادة . .

ويبدو أن عددا كبيرا من المسئولين فى وزارة الداخلية ومصلحة السجون قد بقوا فى السجن منذ أن نقل اليه المتهمون من غير العسكريين ، تمهيدا لتنفيذ حكم الإعدام عليهم . . وظل هؤلاء المسئولون فى حالة قلق ، وترقب حتى حانت ساعة الصفر . .

كان ذلك مع أول ضوء من صباح يوم الإعدام . .

بالتحديد . . فى الساعة الرابعة صباحا . .

فى ذلك الوقت ، صعد الحراس إلى طابق الزنزانات «الانفرادية» ، حيث يوجد محمد عبد السلام فرج ، وعطا طايل ، وعبد الحميد عبد السلام ، وكان برفقة الحرس مأمور السجن وشيخ ، وبعض الرجال الغرباء عن السجن . .

فتح الحراس الزنزانات . . فوجدوا فيها فرج ، وعطا ، وعبد الحميد مستيقظين تماما ، ويقرأون فى كتاب الله . . وعندما دخل الحراس عليهم ، لم يفاجأ أحد منهم ، ولم يظهر عليه أى انفعال . . لا تأثر . . ولا خوف . . وراحوا يكملون ما كانوا يفعلونه . .

قيد الحراس كلا منهم من وراء ظهره . .

وقادوهم إلى غرفة الاعدام بالدور الأرضى . .

عند مدخل غرفة الإعدام أمرهم المأمور بالوقوف أمامه صفا مستويا ، وتلا عليهم نص الحكم ، وتصديق رئيس الجمهورية عليه . .

تقدم الشيخ إلى كل منهم وطلب تلاوة الشهادتين وراءه : «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله» . .

وسأل المأمور فرج :

ـ هل لك مطلب أخير يمكن أن ننفذه لك ؟

فلم يرد . .

وكرر نفس السؤال على عطا وعبد الحميد . .

فلم يردا . .

وواصل الثلاثة ترتيل آيات من الذكر الحكيم . .

أشار المأمور بيده . . فتقدم من يضع رؤوسهم فى ثلاثة أكياس سوداء . . ولف الحبال فوق رقابهم . . وفى ثوان أعدم الثلاثة . .

O O

فى نفس الصباح تحرك الحراس فى السجن الحربى لإخراج خالد الاسلامبولى وحسين عباس من زنزانتيهما ، تمهيدا لاعدامهما رميا بالرصاص ، لأنهما من العسكريين . .

تحت حراسة مشددة نقل خالد وحسين إلى ميدان ضرب النار بالجبل الأحمر بالقرب من مكان المحكمة ، وعلى بعد مسافة قصيرة من قبر السادات . .

غطيت أعين خالد وحسين بقطعتين من القماش الأسود وربطت أيديهما من وراء ظهريهما . . وأعطى ضابط الفرقة إشارة إطلاق النار ، فنفذ الجنود الأمر ، وسقط خالد وحسين فى ثوان . .

O O

نقلت جثث الخمسة الكبار إلى مقابر الصدقة بمحافظة القاهرة «البساتين» قرب مقبرة شهداء الطائرة الباكستانية التى تحطمت فى القاهرة عقب عودتها من الأراضى السعودية . .

وقد اعترف بدفن الخمسة فى هذا المكان والد خالد الإسلامبولى نفسه . . بعد أن ظل هذا المكان مجهولا ، ومحاطا بالسرية حتى لا يتحول إلى مزار سياحى أو دينى .

لكن . .

فيما بعد . . وبالتحديد يوم ٢١ مارس ١٩٨٥ . . يوم عيد الأم ، أرسلت والدة خالد الاسلامبولى ، السيدة قدرية ، رسالة إلى الرئيس حسنى مبارك تطالبه فيها بالكشف عن المكان الذى دفن فيه ابنها لأنها لا تدرى حقيقة قصد الحكومة من إخفاء مكان دفن ابنها ، وهو ما يخالف شرائع الأرض والسماء . .

وناشدت الأم فى رسالتها الرئيس حسنى مبارك بإعادة النظر فى قرار الحكومة بحرمانها من تسليم جثمان ابنها أو حتى التعرف على مكان دفنه . .

أى أن الأب يقول إنه يعرف مكان جثة ابنه . .

أما الأم فتطالب بمعرفة المكان . .

ولا نعرف أين الحقيقة هنا بالضبط ؟

لكن . . من المؤكد أن عائلة الاسلامبولى قد رفعت دعوى قضائية لاستلام جثة ابنها ، وكسبتها . . ومن المؤكد أنها استخرجت شهادة وفاة له . . وأنها تسعى للحصول على معاش له ، ومكافأة عن سنوات خدمته . .

O O

أذيع خبر الإعدام رسميا فى مصر ، بعد ثمانى ساعات من تنفيذه ، فى نشرة أخبار الساعة الثانية والنصف على برنامج القاهرة العام . .

ولم تكرر الإذاعة المصرية النبأ . .

كما لم يتعرض له التليفزيون المصرى . .

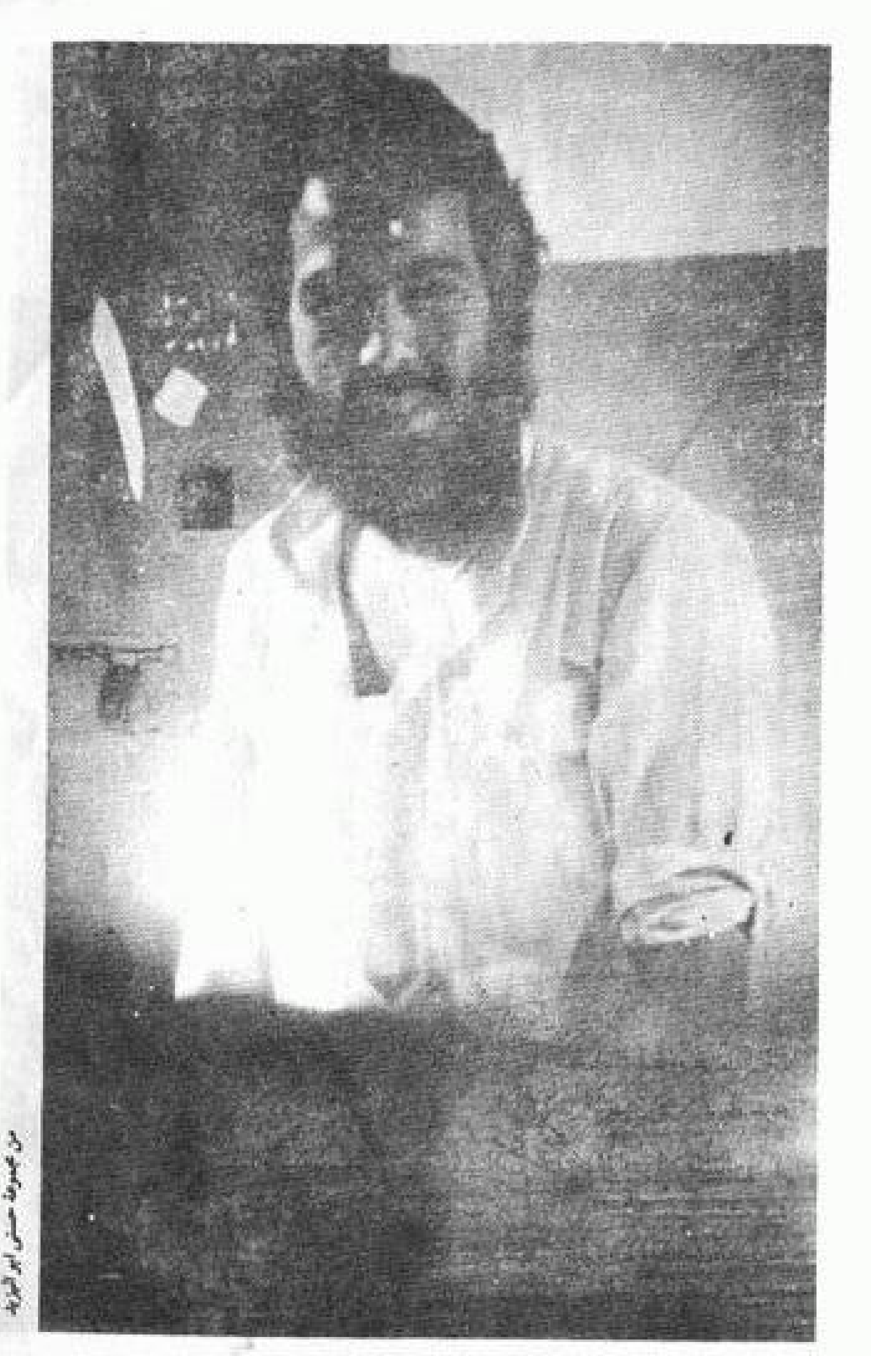
واكتفت الصحف الصادرة صباح اليوم التالى بنشر خبر مقتضب عن الإعدام . .

وكانت جريدة «الجمهورية» قد نشرت فى طبعتها الأولى التى تباع بعد العشاء ، فى يوم الإعدام ، خبرا عن تنفيذ الحكم ، ثم رفع الخبر فى الطبعات التالية . .

وفى اليوم السابق على الإعدام ، كتب أحمد بهجت مقالة ـ فى بابه اليومى «صندوق الدنيا» الذى ينشره فى جريدة «الأهرام» بعنوان «الشهداء» . . وقد نشرت المقالة فى الطبعة الأولى ، ثم رفعت من الطبعات الأخرى ، واستبدلت بمقالة أخرى . .

وكان أحمد بهجت يقصد بالشهداء : خالد الاسلامبولى ورفاقه . .

أما الصحف العربية ـ خاصة السعودية ـ فقد أبرزت نبأ الإعدام ، ونشرته



من مجموعة حسنى ابو اليزيد

خالد الاسلامبولى خارج زنزانته فى السجن الحربى

أغلبها بالبنط الكبير فى صدر صفحتها الأولى .. وفيها بعد أصدرت الحكومة الإيرانية مجموعة طوابع بريد عليها صورة خالد الإسلامبولى ..

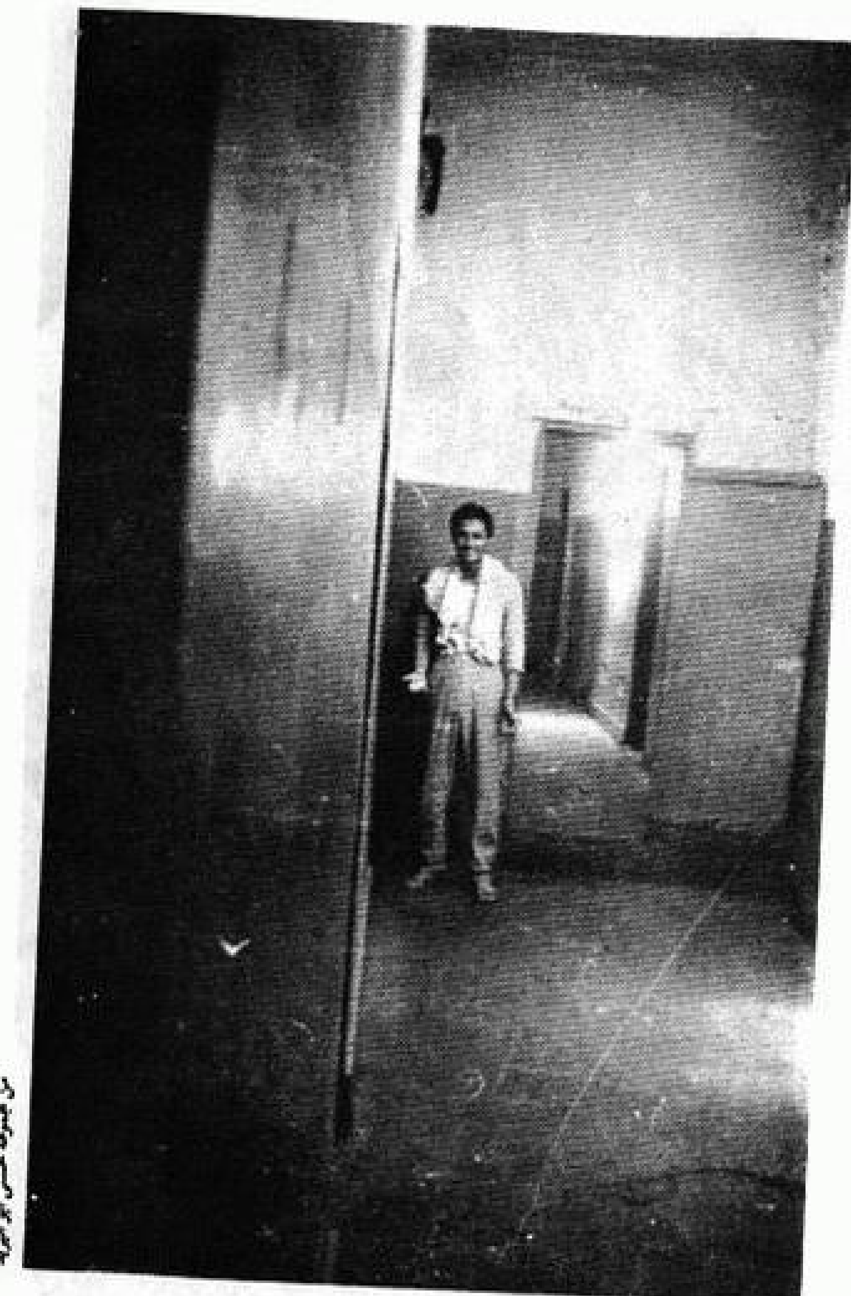
○ ○

ورغم ذلك كله ..

كان هناك سؤال غريب لا يزال يفرض نفسه ..

ـ هل صحيح أن خالد الاسلامبولى هو الذى قتل السادات ؟ أم أن هناك جناة ساهموا فى القتل ، ولم تمتد يد أحد اليهم ؟!

وكان السؤال مثيرا إلى حد اقناعنا بالبحث عن إجابة مناسبة له ؟!



من مجموعة حسني أبو اليزيد

حسين عباس محمد خارجا من دورة المياه في السجن الحربي .



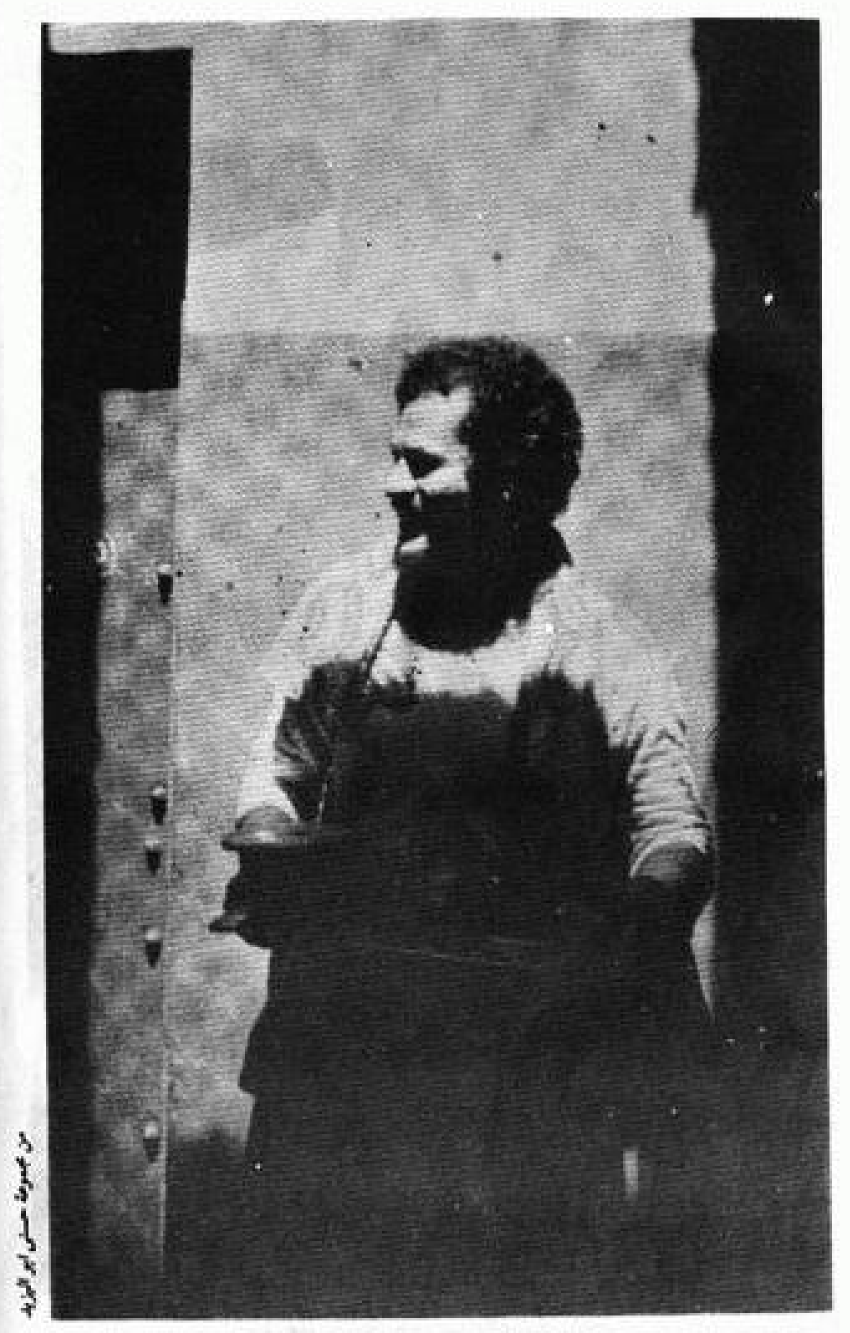
من مجموعة حسني أبو اليزيد

محمد عبد السلام [illegible] في السجن الحربي



من مجموعة حسن ابو الفريد

عطا طايل داخل زنزانته



من مجموعة حسن ابو الفريد

عبد الحميد عبد السلام يحمل طعامه داخل السجن

من وراء الاسلامبولى ؟

« خالد .. تكلمت أنا وفعلت أنت ، ولمثل غيرى وأديت أنت »
جمال الغيطانى ـ التجليات

دائما . .

هناك شك في وجود جناة مجهولين - غير المقبوض عليهم - في أية جريمة اغتيال سياسى !

وغالبا . .

ما يمتد الشك إلى جهاز ما . . أو تنظيم ما . . أو حكومة ما . .

فعندما اغتيل المرشد العام للإخوان : حسن البنا ، كانت أصابع الاتهام تشير إلى تورط الحكومة المصرية في ذلك الوقت ، في عملية الاغتيال . .

وعندما اغتيل الرئيس الأمريكى : جون كيندى اتجهت أصابع الاتهام إلى المخابرات المركزية . .

وحدث نفس الشيء عندما قتل مارتن لوثر كينج . . وعندما قتل روبرت كيندى . .

وفى كل هذه الحالات وغيرها كان الاعتقاد الخفى غير الاعتقاد المعلن . . وكان التصور الخاص غير التصور العام . . وكان التحليل السياسى غير التحليل الجنائى . .

فحسن البنا قتلته الحكومة المصرية لأنها لم تجد حلا آخر يخلصها منه ومن نفوذه السياسى والدينى المنافس لها . . وجون كيندى قتلته المخابرات المركزية لأنه تخطاها ، وتخطى خططها وأصبح خطرا عليها وجب التخلص منه . . ومارتن لوثر كينج قتلته المخابرات المركزية بعد أن تجاوز حدوده المسموح بها كزعيم زنجى في بلاد تسودها التفرقة العنصرية ويسيطر عليها الرجل الابيض . .

باختصار . .

هناك دائما حدود للتصرفات والأفراد والزعماء . . إذا تخطوها . . قتلوا . .

○ ○

طبقا لهذه القاعدة . .

تردد أن وراء قتلة السادات جهازا ، أو قوة ، أو دولة ما . .

وراح الذين رددوا هذا الاتهام يفتشون عن أدلة تدعم اتهامهم ، وتحوله من إشاعة إلى حقيقة . . ومن كلام «مصاطب» إلى كلام «معقول» . .

ووجد هذا الاتهام فرصا ومناخا ملائما ليكبر وينتعش وينمو بسهولة . .

فالطريقة التى قتل بها السادات مبتكرة . . وصعبة التنفيذ . . ولا يصدقها عقل . . مالم يكن وراء القتلة من سهل لهم كل شىء . .

وعلامات الاستفهام التى برزت ـ دون إجابة شافية ـ أثناء المحاكمة دعمت هذا الاعتقاد . . والسرية المتعمدة وإخفاء حقيقة ما حدث عن الرأى العام ساهم فى ذلك أيضا . .

○ ○

قيل . .

إن فريق الاغتيال الذى قاده خالد الإسلامبولى كان وراءه من يدعمه فى الجيش المصرى . .

ودعم هذا القول :

١ ـ اشتراك خالد فى العرض رغم تقرير المخابرات الحربية الذى يحرم عليه ذلك .

٢ ـ اشتراك خالد فى العرض رغم اعتقال شقيقه قبل العرض بشهر تقريبا ، والذى كان معروفا أنه عضو فى تنظيم الجهاد الذى حاول اغتيال السادات أكثر من مرة .

٣ ـ السهولة التى أدخل بها خالد زملاءه إلى أرض العرض .

٤ ـ استخراج بطاقات شخصية عسكرية بأسماء مستعارة لزملاء خالد ، واستخراج تصريح إلحاق مزور لهم .

٥ ـ ما أثير حول تحويل المقدم ممدوح أبو جبل من متهم أمد خالد ورفاقه بالرصاص ، إلى شاهد ملك ، فى قضية لا تحتاج إلى شاهد ملك .

٦ ـ إهمال الحرس الخاص بالسادات ، وتراجعه إلى خلف المنصة وصفوفها الأخيرة ، رغم إحساسهم أن حياة السادات فى خطر .

كما أن هناك من ينسفها بالقول : «إنه كان هناك إحساس متزايد بالأمن ، فلم يخطر ببال أحد أن مثل هذه العملية الجريئة يمكن أن تدور فى تفكير عاقل وسط عرض عسكرى حاشد على هذا النحو» . .

كذلك . . هناك من يرفض هذا الاتهام ويؤكد أن هذه الملاحظات ـ خاصة التى رصدت بعد عملية الاغتيال ـ كان سببها الارتباك الذى ساد الجيش عقب الحادث . . والخوف من وجود مؤامرة انقلاب أكبر من قتل رئيس الجمهورية . . الأمر الذى أوقعهم فى مطب تصرفات عصبية ، هيستيرية . . أدت بهم إلى هذه الأخطاء . . والملاحظات التى أخذت عليهم فيما بعد . .

ومما لاشك فيه أن تضارب الأقوال فى الصحف المصرية ساهم فى تأكيد الانطباع فى وجود «شىء ما» فى الجيش أكبر من إمكانيات أولئك الشبان الأربعة الذين اغتالوا السادات . .

ومما لا شك فيه أيضا أن ضرب ستار من الكتمان على أخبار القضية ، ووقائع جلسات المحاكمة السرية ، والاكتفاء بتسرب المعلومات من خلال بعض الصحف العربية والأجنبية ، ساهم فى تأكيد هذا الانطباع !

○ ○

وقيل . .

إن «الأمريكان» كانوا وراء عملية الاغتيال . .

وكان هذا الاتهام مفاجأة . . وخاصة فى البداية . .

فالسادات أعطى للأمريكان مالم يجرؤ عليه أى حاكم عربى آخر . . أعادهم لمصر بعد أن طردهم منها جمال عبد الناصر . . وتخلص من أعدى أعدائهم :

السوفيت . . وغير من تسليح الجيش المصرى فى اتجاههم ، تحت شعار «تنويع مصادر السلاح» . . وغير من سياسته الاقتصادية والاجتماعية : من الاشتراكية إلى الانفتاح . . واعتبر الولايات المتحدة شريكا كاملا فى عملية السلام بين مصر وإسرائيل ، وأعلن أن ٩٩٪ من أوراق اللعبة فى الشرق الأوسط . . فى أيديهم . . هم . . وحدهم !

باختصار . .

كان السادات أمريكيا قلبا وقالبا . .

وليس من الحكمة أن يقتلوه . . أو يتخلصوا منه . . لأنهم لن يجدوا بديلا عنه . . ولا صديقا مثله . .

لكن . .

أصحاب اتهام الأمريكان بقتل السادات يقولون :

ـ هذا صحيح تماما . . ولكن الأمريكان بعد فوز ريجان وسقوط كارتر ، بدأوا يشعرون أن السادات استنفد كل ما كان يدخره فى مخزنه السياسى . . وأن متاعبه أصبحت اكثر من ميزاته . . وانه لم يعد يملك شيئا يمكن أن يعطيه لهم . . وانه أصبح ضعيفا ومعزولا داخليا وعربيا . . ومن ثم . . لا مفر من التخلص منه واستبداله بشخص آخر قبل فوات الأوان . . وقبل أن يفلت الزمام منهم !

وبعبارات أخرى . .

وكما يقول هيكل :(١)

« طبقا لهذه النظرية» فإن الحكومة الأمريكية كانت قد بدأت تقلق من تطورات الأمور فى مصر ، وكانت تشعر بتزايد السخط والمعارضة لسياسات الرئيس السادات الداخلية والخارجية ، سواء من المعارضة المدنية ، أو المعارضة الدينية . .

ولقد تزايد إحساسهم بردود فعل الناس فى مصر تجاه الفساد والاستسلام لإسرائيل والعزلة التى فصلت مصر عن العالم العربى ، وهكذا . . ثم جاءت اعتقالات ٣ سبتمبر لتقنع «الولايات المتحدة» أخيرا ـ طبقا لهذه النظرية ـ أن

(١) هيكل ـ خريف الغضب ـ ص ٥٤١

السادات لم يعد قادرا على الإمساك بزمام الموقف . ومن وجهة نظرهم فإنه كان قد استنفد أغراضه وخصوصا فى موضوع الاعتراف بإسرائيل الذى كان لسنوات طويلة أهم أهداف السياسة الأمريكية . .

«والآن ـ طبقا لهذه «النظرية» ـ فإن السادات أصبح عبئا على الولايات المتحدة اكثر منه ميزة لها ، وبالتالى فقد أصبح الخلاص منه واردا كما حدث مع الرئيس «دييم» فى فيتنام ، وغيره من عملاء الولايات المتحدة . وطبقا لهذه النظرية أيضا فإن الوقت قد جاء لاستبدال السادات بشخص آخر يبدو اكثر تحررا ، وبالتالى يكون اكثر قبولا لدى الناس » . .

وبرغم كل المنطق الذى تحاول هذه «النظرية» أن تدعم به تصوراتها ، فإنها فى الواقع تظهر أمام أى بحث دقيق بدون أساس تستند اليه . ذلك انه بصرف النظر عن أسباب الضعف التى اعترت نظام الرئيس السادات فإن هذا النظام كان مايزال يملك القوة الكافية لمواجهة معارضيه فى الداخل . .

إن نظام السادات كان إحدى الدعائم الرئيسية فى سياسة ريجان المعادية للشيوعية فى المنطقة ، كما أن نظاما أستطاع ـ ويستطيع ـ التدخل بدون تردد فى بعض بؤر المتاعب الأفريقية مثل ليبيا وتشاد وزائير . وعلى وجه اليقين فإن الولايات المتحدة لم تكن تستطيع أن تتحمل فكرة الخلاص من «شاه آخر» بعد أقل من سنتين من سقوط الشاه الأصلى فى إيران . كذلك فإنه من الصعب تصور وجود تلاق ـ فى فكر أو عمل ـ بين وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وبين الجماعات الإسلامية » . .

ويضاعف من ضعف هذه النظرية عدم اطمئنان «الأمريكان» إلى أن من سيخلف السادات سيكون فى نفس أو مستوى درجة العطاء التى تعودوا عليها منه . .

إن عصفورا فى اليد بالنسبة لهم خير من مئة على الشجرة . .

ولا يمكن المخاطرة بها بين أظافرهم وأنيابهم ، بما هو فى علم الغيب . .

ومما لا شك فيه أن هذه النظرية جزء من تراث قديم ، تعيش فيه المنطقة العربية منذ اكثر من ٣٠ سنة . . فهناك دائما إحساس دائم بأن الأمريكان وراء كل حادث يقع لنا . . أو على أرضنا . . ونحن لا نعفى الأمريكان من كثير من

المصائب التى حلت بنا .. ولكن .. لا يعنى هذا أن كل ما يجرى لنا ، سببه الأمريكان ..

إننا ـ وخاصة بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ـ لم نعد نميل إلى تصديق أننا قادرون على فعل أى شىء .. فعندما عبرنا قناة السويس وخضنا ببراعة حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، لم نصدق أنفسنا ، ورحنا نؤكد أن ما حدث جزء من سيناريو امريكى .. أو فى أفضل الأحوال رحنا نردد أن هناك ملائكة حاربوا معنا .. ولولاهم لما فعلنا ما فعلناه ..

وعندما تخلص الشعب السودانى من حكم الطاغية : جعفر نميرى ، لم نشأ أن نصدق ذلك ، ورددنا أن الأمريكان هم الذين تخلصوا منه ..

بل .. اكثر من ذلك .. أصبحنا نتهم أنفسنا بالعجز ، وننسب الفعل للآخرين بأثر رجعى .. فرحنا ـ على سبيل المثال ـ نردد أن أجدادنا لم يبنوا الأهرامات ، وإنما بنتها كائنات فضائية ، هبطت من السماء .. من كواكب اخرى .. مجهولة ..

لذلك .. لم يكن غريبا ـ بعد كل هذا ـ أن نتصور أننا عاجزون عن فعل أى شىء .. عاجزون عن رد اعتبارنا الذى داسه السادات بقدميه .. عاجزون عن رد كرامتنا التى حولها السادات إلى قطعة «خيش» قديمة يمسح بها البلاط الذى يمشى عليه ..

اننا لم نصدق أن هناك من يتجرأ ويقتل حاكما ظالما ..

فكان علينا أن نشكك فى ذلك ، وننسب هذا الحادث الكبير ، لقوة كبرى ، أو لقوة نتصور نحن أنها كبرى ..

○ ○

وقيل ..

أن حادث الإغتيال كان الخطوة الأولى فى مؤامرة كبرى للإطاحة بالحكم فى مصر ..

أى أن عملية الاغتيال لم تكن مقصودة بذاتها ، وانما كانت مجرد بداية لتغيير شامل فى مصر ..

وقد تبنت جهات التحقيق الرسمية هذا الكلام .. أو .. هذا الادعاء ..

ودعم هذا الاتجاه ما حدث فى أسيوط بعد أيام ..

وما أسفرت عنه تحقيقات النيابة فى قضية تنظيم «الجهاد» فيما بعد ..

وما أوحى به عبود الزمر من أن من الأفضل تأجيل عملية الإغتيال إلى فرصة أخرى يمكن أن تعطيهم امكانية القيام بالثورة الإسلامية الشاملة فى البلاد على غرار ما حدث فى ايران ..

لكن ..

هذا الكلام اهتزت صورته عندما ثبت أن فريق إغتيال السادات لم يكن يريد سوى رأسه .. وان رصاصات فى بنادقهم بقيت بعد أن اطمأنوا إلى مصرعه ، كان من الممكن أن يفرغوها فى صدور أخرى لو أرادوا ما هو أكثر من الانتقام من السادات .. ثم .. إنهم أعلنوا الصيام كنوع من التكفير عن قتلهم نفسا ، خطأ ، بغير حق ..

○ ○

إن هذا الحادث ..

رغم كل ما قيل .. وما سيقال ..

لايزال يحتمل الكثير ..

○ ○

خالد .. تكلمت أنا وفعلت أنت ، تمنيت أنا ، وتمنى غيرى ، وأديت أنت !

جمال الغيطانى

كتاب التجليات

احداث الكتاب